كتاب

زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع

تأليف

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحملاوي

مدرس العلوم العربيه بمدرسة دار العلوم سابقا
وأحد علماء الأزهر الشريف
وناظر مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر الان

صرحت نظارة الداخلية الجليلة بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٠٥ نمرة ٣٢٦ بجواز طبع هذا الكتاب بناء على ما كتب لها من حضرة مولانا الاستاذ الاكبر صاحب السيادة والفضيلة السيد على الببلاوي شيخ الجامع الازهر بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٠٥ نمرة ٢٣٤

تمتاز هذه الطبعة بتنقيح مباحثها وزيادة فوائد هامة عن سابقتها

(الطبعة الثانية)

طبع على نفقة امين هندية

مطبعة هندية بالموسكي بمصر

سنة ١٣٣٣ هـ — ١٩١٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الصنع العليّ الشان الذي خلق الانسان علمه البيان لا اله الا هو قصرت عبارات البلغاء عن تادية معاني آياته وعجزت ألسن الفصحاء عن بيان كمالاته والصلاة والسلام على سيدنا محمد المسنَد اليه جميع الكمالات المؤيد بدلائل الاعجاز وبدائع الآيات نبيّ تناول مفتاح السعادة بيمينه وفاز بطالع السعد من اقتفى أثر دينه امتاز صلى الله عليه وسلم بالفصاحة والبلاغة في الاطناب والايجاز وفتح الى بلوغ الحقيقة أقوم طريق وأسهل مجاز وعلى آله وأصحابه وأصهاره وأنصاره المقتبسين من مكارم أخلاقه وسواطع أنواره والتابعين لهم في الكرامه الى يوم القيامه

﴿ وبعد ﴾ فاني لما كنت مدرسا للعلوم العربيه بمدرسة دار العلوم الخديويه أشار عليّ من إشارته حكم وطاعتـه غنم حضرة ناظرها اذ ذاك بجمع شتات فنون البلاغة في سِفْر مفيـد خال من الحشو والتطويل والتعقيد ليسـهل تناوله على الطلاب وليذّكر به أولو الالباب فقابلت اشارته بحسن الالتفات وسرحت النواظر في رياض المؤلفات حتى جمعت في فني المعاني والبيان ما قدرت عليه ووصل فكري القاصر اليه ولما شرعت في الفن الثالث اقتضت دواعي تنقلات

المعارف المشهوره نقلى الى مدرسة المنصوره فلويت عِنان اليراع عن براعة الاستهلال وسلامة الاختراع الى ان أُسْنِدت الىّ نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر وزال عني بعض الشواغل والكوارث فشرعت مستعينا بحول الله فى اتمام الفن الثالث فجاء بحمد الله سفرا يسفر عن حسن المقصود يسرّ الحبيب ويضرّ الحسود فأمعن نظرك فيه وقل ذلك فضل الله يؤتيه وان رأيت هفوة فقل لعلها سبق قلم فان ذلك من حسن الشيم ولا تغترّ بالحساد وأقوالها فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

ان الكريم اذا رأى عيبا ستر * أما اللئيم اذا رأى أفشى الخبر
ليس اللئيم يضر الا نفسه * والله يغفر للكريم كما غفر

وكان من تمام الحظ أن لبس ثوب الجمال وتحلى بحلية الكمال فى زمن من أزهرت رياض العلوم بعصره وافتخرت به على الملوك أبناء مصره المحفوظ بالسبع المثاني أفندينا الخديوي الافخم ﴿ عباس باشا حلمى الثاني ﴾ أدام الله دولته وعلو مجده قرير العين بانجاله وولي عهده وحفظ رجال حكومته الكرام وعلماء الاسلام الاعلام * وقد كمل حسن تنسيقه وترتيبه وتنقيحه وتهذيبه يوم الاثنين المبارك الذى هو فاتحة سنة ١٣٢١ احدى وعشرين بعد الثلثمائة والالف من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه ولما كان ذلك اليوم المبارك فاتحة العام الهجري الأجلّ وهو أول وجه من شرف الشمس فى برج الحمل تيمنت بهذا الطالع السعيد واقبال هذا العام المبارك الجديد وسميته ﴿ زهر الربيع فى المعاني والبيان والبديع ﴾ جعله الله خالصا لوجهه الكريم ونفع به النفع العميم انه سميع مجيب ومن قصده لا يخيب

﴿ مقدمة ﴾

(في الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة لغة الظهور والبيان يقال أفصح الرجل اذا أظهر مراده وفَصُح الاعجمى اذا خلصت لغته من اللكنة قال تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا أي أبين مني قولا * واصطلاحا تكون في الكلمة والكلام والمتكلم

والبلاغة لغة تنبئ عن الوصول والانتهاء يقال بلغ فلان مراده اذا وصل اليه و بلغ الركب المدينة اذا انتهى اليها * واصطلاحا تكون في الاخيرين فقط

فالفصاحة في الكلمة خلوصها من الغرابة ومن تنافر الحروف ومن مخالفة القياس و بذلك تسلم مادّتها وصيغتها ومعناها من الخلل فالغرابة كون الكلمة وحشية أي ليست ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال بالنظر للعرب كمسرّجا في قول العجاج

أزمان أبدت واضحا مفلجا * أغرّ برّاقا وطَرْفا أدعجا

ومقلة وحاجبا مزجَّجا * وفاحما ومَرْسِنا مسرّجا

فان مسرجا يحتاج الى التخريج على وجه بعيد فانه لا يدري أهو تشبيه بالسيف السريجى « أي المنسوب الى سريج وهو قين أى حدّاد تنسب اليه السيوف » في الدقة والاستواء أم بالسراج في الضياء واللمعان فلفظ مسرجا غير ظاهر الدلالة على ما ذكر لان فَعَّل بالتضعيف انما يدل على مجرد النسبة وهي لا تدل على التشبيه فأخذه منها بعيد ـ أو كون اللفظ محتاجا الى كثرة البحث والتفتيش في كتب اللغة حتى يعثر على معناه كاطْلَخمّ بمعنى اشتد من قول أبي تمّام

قد قلت لما اطلخمّ الامر وانبعثت * (١)عشواء تالية غبسا دهاريسا

وكتكأ كأ بمعنى اجتمع وافرنقع بمعنى انصرف من قول من اجتمعت عليه الناس حينما وقع عن دابته « مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جِنَّة افرنقِعوا » ـ أو لم يعثر على معناه في كتب اللغة أصلا نحو (جحلنجع) بجيم مفتوحة فمهملة ساكنة فلام مفتوحة فنون ساكنة فجيم مفتوحة فعين مهملة من قول أبي الهَمَيْسع

إن تمنعي صوبَكِ صوب المدمع * يجري على الخدّ (٢) كضِئب الثَّعْثَع

* من طَمْحة صَبِيرها جحلنجع *

قال صاحب القاموس ذكروه ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين وما كنا نكاد نفهم كلامه اه

وتنافر الحروف وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها ـ ويكون فى المفرد متناهيا وخفيفا ـ فمثاله متناهيا فى الشدة الظشُّ بالظاء المشالة والشين المعجمة للموضع الخشن والهعخع بالهاء المضمومة في أوله أو بابدالها حاء مهملة اسم نبت ـ ومثاله خفيفا النقَاخ بالنون المضمومة والقاف وفي آخره خاء معجمة للماء العذب الصافى ومستشزرات من قول امرئ القيس

غدائره مستشزرات الى العلا * تضل العقاص فى مثَنًّى ومرسل

أي ضفائر الشعر مرتفعات الى فوق ولكثرته تتيه عقصه فيما ثنى وما أرسل منه * ولا نظر لقرب مخارج الحروف و بعدها بل الامر فى ذلك موكول للذوق السليم

(١) العشواء الناقة لاتبصر ليلا والغبس جمع أغبس وهو الذى في بياضه كدرة والدهاريس جمع دهرس وهي الداهية اه منه

(٢) الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ أي كحب اللؤلؤ والطمحة النظرة والصبير السحاب المتراكم اه منه

ومخالفة القياس كون الكلمة جارية على خلاف القانون الصرفى كالأجلل فى قول الشاعر

الحمد لله العلىّ الاجلل * أنت مليك الناس رَبًّا فاقبل

وكموددة فى قول آخر

إن بنىّ للئام زَهَده * مالىَ فى صدورهم من موددة

وكجمع بوق على بوقات فى قول المتنبي

فان يك بعض الناس سيفا لدولة * ففي الناس بُوقات لها وطبول

فان القانون الصرفى الأجل والمودّة بالادغام وجمع بوق على أبواق ـ وزاد بعضهم أن لا تكون الكلمة ثقيلة على السمع بحيث يمجها ويانها نحو الجِرِشّى من قول المتنبي

مبارك الاسم أغرّ اللقب * كريم الجرشى شريف النسب

فان لفظ الجرشى بمعنى النفس ثقيل على السمع ـ والحق دخول ذلك فى الغرابة

والفصاحة فى الكلام أي المركب خلوصه من تنافر الكلمات ومن ضعف التأليف ومن التعقيد مع فصاحة كلماته

فتنافر الكلمات وصف فى المركب يوجب ثقله على اللسان وعسر النطق به وان كان كل جزء منه فصيحا * ويكون شديدا وخفيفا ـ فالشديد كالمصراع الثاني من قوله

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

ونحو قوله * في رفع عرش الشرع مثلك يشرع * ـ والخفيف نحو أمدحه أمدحه في قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معي واذا ما لمته لمته وحدي

فالأول شديد الثقل والثاني خفيفه ـ وانما جاء الثقل فيه من تكرار

لفظ أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق كما ذكره الصاحب اسمعيل بن عباد

وضعف التأليف كون المركب جاريا على خلاف القانون النحوي المشهور عند الجمهور كالاضمار قبل الذكر في نحو قوله

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزي سِنِمَّار

وكقول غيره

كساحلمُه ذا الحلم أثوابَ سؤدد * ورقى نداه ذا الندى في ذُرَى المجد

اذ الضمير فيهما عائد على متأخر لفظا ومعنى وحكما والقانون النحوي يوجب تقدم المرجع لفظا نحو حفظ محمد درسه أو معنى نحو حفظ درسه محمد اذ الفاعل متقدم معنى على المفعول أو حكما نحو نعم رجلا على قول وربُّه رجلا وقل هو الله أحد فهذه المثل وما شاكلها المرجع فيها مذكور قبلها حكما من حيث ان الحكم الاصلي تقدمه وانما خولف فيها لنكت تأتي ان شاء الله تعالى

والتعقيد اما لفظي وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل في نفس الكلام بسبب تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين موصوف وصفة أو بدل ومبدل منه أو مبتدإ وخبر نحو قول الفرزدق يمدح ابراهيم خال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

وجه الكلام وما مثل الممدوح في الناس حيّ يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه ففصل بين البدل والمبدل منه و بين الموصوف والصفة و بين المبتدا والخبر وقدم المستثنى على المستثنى منه فلم يكد يفهم منه المراد وكقول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الأغر دلائل

ووجه الكلام فيه جفخت أي افتخرت بهم شيم دلائل على الحسب الاغر وهم لا يجفخون بها والفصل بالاجنبي فيه ظاهر — وإما معنوي وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الاصلي الى المعنى المقصود بسبب ايراد اللوازم البعيدة المفتقرة الى كثرة الوسائط كقولك نشر الملك ألسنته في المدينة تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه وكقول الشاعر

سأطلب بُعْد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فراق الأحبة من الكآبة والحزن وأصاب لكنه أخطأ في جعل جمود العين كناية عما يوجبه التلاقي من الفرح والسرور فان الانتقال من جمود العين يكون الى بخلها بالدموع حال ارادة البكاء وهي حالة الحزن كقول الخنساء

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر ندى

لا الى ما قصده من السرور الحاصل بالملاقاة فالذهن لا يلتفت الى ذلك على أنه لم يسمع دعاء أحد لأحد بجمود عينه بمعنى أن يسرّ خاطره — هذا وقد زاد بعضهم في اشتراط فصاحة الكلام خلوه من التكرار وتتابع الاضافات ولكن لا داعي لذلك لانه ان اوجب ثقلا فقد احترز عنه بالتنافر والا لم يكن مخلا كما في التنزيل في قوله تعالى ونفس وما سوّاها الآيات وفي قوله ذكر رحمت ربك الاية

وفصاحة المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح في كل نوع من أنواع المعاني كالمدح والذم والرثاء والتشبيب وغير ذلك فعلم أن المدار على الاقتدار وان لم يوجد التعبير بالفعل وأن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من هذه الانواع لم يكن فصيحا

والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال أي حال الخطاب مع فصاحته ـ والحال ويرادفه المقام هو الامر الداعي للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية مّا وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضى التأكيد وذلك التأكيد اعتبارٌ مناسب هو مقتضى الحال ـ وكذلك المدح حال يدعو لايراد الكلام على صورة الاطناب ـ وذكاء المخاطب حال يدعو لايراده على صورة الايجاز فكل من المدح والذكاء حال وكل من الاطناب والايجاز مقتضى وايراد الكلام على صورة الاطناب أو الايجاز مطابقة للمقتضَى * ويتفاوت مقتضى الحال بحسب المقامات والاحوال اذ مقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام التقديم يباين مقام التاخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف والاطلاق يباين التقييد والفصل يباين الوصل والايجاز يباين الاطناب والمساواة وكذا مقام خطاب الذكي يباين مقام خطاب الغبي اذ الاول يناسبه الاعتبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة بخلاف الثاني ولذا كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت المقتضيات والاعتبارات وبقدر رعاية تلك المناسبات يرتفع قدر الكلام حسنا وقبولا ولذا كان القرآن الشريف في أقصى درجات البلاغة لصدوره عمن هو عالم بكميات الاحوال وكيفياتها فاستعمل كلامه تعالى في كل مقام على جميع مقتضيات الاحوال « تنزيل من حكيم حميد »

والبلاغة في المتكلم ملكة في النفس يقتدر بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده فلو لم يكن ذا ملكة لم يكن بليغا كما تقدم نظيره في الفصاحة فعلم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانها مأخوذة في تعريف البلاغة وأن البلاغة يتوقف

حصولها على أمرين الاول الاحتراز عن الخطا في تأدية المعنى المقصود والثاني تميز الكلام الفصيح من غيره والاول منهما يعرف بعلم المعاني والثاني بعلم البيان ولما كان علم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية ما تقدم جعل تابعا لهما اذ بهما يعرف التحسين الذاتي وبه يعرف التحسين العرضي اذ هو يكسو الالفاظ من الطلاوة أبهج جلباب ويكسبها رقة يسترق بها حر الالباب على أن فيه من الشواهد ما يعتبر تمرينا لقواعد سابقيه فانحصر المقصود من علم البلاغة وما يتبعها في ثلاثة فنون علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وقد شرعت في الاول بعون من عليه المعول فقلت

﴿ الفن الاول علم المعاني ﴾

هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال أي المقام وهو الامر الداعي لايراد خصوصية في الكلام وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال كما تقدم مثلا اذا خاطبت منكرا فانكاره حال يقتضي أن تؤكد له الكلام والتأكيد هو مقتضى الحال واذا كان بينك و بين مخاطبك عهد برجل معين فالعهد حال يقتضي ايراد الرجل معرّفا والتعريف هو مقتضى الحال فمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال اشتماله على تلك الخصوصية ـ والامر الداعي هو مدخول لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولنا في الذكر لكونه الاصل وفي الحذف للاستغناء عنه مثلا وهكذا

والكلام إما خبر وهو مايحتمل الصدق والكذب لذاته بقطع النظر عن المخبر والخبر ليدخل خبر الله تعالى و رسوله والبديهيات المألوفة والنظريات القطعية كالله قادر ـ أو هو ما لا يتوقف تحقق مدلوله على

النطق به نحو العلم نافع واجتهد محمد وإما انشاء وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب ـ أو هو ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو اجتهد ولا تكسل ونعم التلميذ المجتهد محمود

والخبر ان طابق مضمونه الواقع سمى صدقا والا فكذب وذلك لان هناك نسبتين نسبة دل عليها الخبر وفهمت منه وتسمى النسبة الكلامية ونسبة تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى خارجية فمطابقة النسبة الكلامية للخارجية ثبوتا ونفيا كما في قولك العلم نافع والجهل ليس بنافع صدق وعدم مطابقة الكلامية للخارجية بان تكون احداهما ثبوتية والاخرى سلبية كقولك الجهل نافع والعلم ليس بنافع كذب ـ وقيل صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر وان خالف الواقع واستدل قائله بما لا يصلح دليلا له ـ وأثبت الجاحظ الواسطة بين الصدق والكذب حيث زعم أن صدق الخبر مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه مطابق وكذبه عدمُ مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق وغير ما ذكر وهو المطابقة مع اعتقاد عدمها أو بدون اعتقاد أصلا أو عدم المطابقة مع اعتقادها أو بدون الاعتقاد أصلا ليس بصدق ولا كذب واستدل بما لا يوافق مدعاه والصحيح ما تقدّم أوّلا من تعريف صدق الخبر وكذبه وانحصاره فيهما

﴿ أحوال الاسناد الخبرى ﴾

الاسناد ضم كلمة أو ما يجري مجراها الى أخرى أو ما يجري مجراها على وجه يفيد الحكم باحداهما على الاخرى ثبوتا أو نفيا ـ والاصل في الكلام الخبري أن يلقى الى المخاطب لافادة الحكم الذى تضمنته الجملة نحو الاسلامُ حق لمن لا يعلم حقيّة الاسلام ويسمى ذلك الحكم

فائدة الخبر ـ أو لافادة كون المتكلم عالما بالحكم نحو قولك لحافظ القرآن أنت حفظت القرآن و يسمى لازم الفائدة

وقد يلقى لأغراض أخر منها تحريك الهمة الى ما يلزم تحصيله نحو هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ومنها الاسترحام كقول موسى رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير ومنها التحسر على فوات مأمول كقول أم مريم رب اني وضعتها أنثى ومنها اظهار الضعف كقول زكريا رب اني وهن العظم مني الى غير ذلك

ويجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يشخص حالته و يعطيه ما يناسبها ـ فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة لازائدا ولا ناقصا

فان كان المخاطب خالي الذهن لا يؤكد له أي لا يؤتى له بأداة من أدوات التأكيد كانّ واللام والقسم ونوني التوكيد والحروف الزائدة والتكرير وقد وغير ذلك لاستغنائه عن ذلك نحو أفلح المجتهد ويسمى هذا الضرب ابتدائيا وان كان مترددا في الحكم طالبا له يؤكد له استحسانا نحو ان الامير منتصر و يسمى هذا الضرب طلبيا وان كان منكرا للحكم الملقى اليه معتقدا خلافه يؤكد له وجوبا بقدر انكاره قوة وضعفا و يسمى هذا الضرب انكاريا فكلما اشتد انكاره زيد له في التأكيد قال تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حيث كذبوا في المرة الاولى انا اليكم مرسلون وفي المرة الثانية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فاكد في الاولى بانّ واسمية الجملة وفي الثانية (١) بالقسم وانّ واللام واسمية الجملة لشدة انكار المخاطبين

وايراد الكلام على هذه الاضرب يسمى مقتضى الظاهر أى ما يقتضيه

---

(١) أى لان ربنا يعلم في قوة علم الله و شهد الله فهو قسم من هذا الوجه فتنبه اه منه

ظاهر حال المخاطب ـ وقد يخرّج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فينزل العالم بالفائدة أولا زمها أو بهما منزلة الجاهل كقولك لتارك الصلاة مع علمه بوجوبها الصلاة واجبة توبيخا له على عدم عمله بمقتضى علمه وينزل الخالى منزلة السائل أى المتردد كقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويجعل المنكر كغير المنكر كقوله تعالى لمنكر الوحدانية إلهكم اله واحد من غير تأكيد لوجود الدلائل الرادعة ويجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الانكار عليه كقوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اذ الغفلة عن الموت تعدّ من أمارات الانكار وكقول الشاعر

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بنى عمك فيهم رماح

فشقيق لا ينكر رماح بنى عمه ولكن مجيئه واضعا رمحه على عرضه من غير تهيؤ للقتال بمنزلة أن بنى عمه عُزْل لاسلاح لهم فنزل منزلة المنكر فاكد له وخوطب خطاب التفات وفي البيت تهكم واستهزاء بشقيق حيث يرميه الشاعر بالجبن والضعف وهذا هو المناسب للمقام وقيل ان في البيت مدحا له بالشجاعة لقلة المبالاة ببنى عمه

ثم الاسناد مطلقا انشائيا كان أو اخباريا منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلى ـ فالحقيقة العقلية اسناد الفعل أو ما في معناه كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل الى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله بان لاينصب قرينة دالة على أنه غير ما هو له في اعتقاده وأقسامها أربعة ـ ما يطابق الواقع والاعتقاد معا كقول المؤمن أنبت الله البقل ـ وما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أنبت الربيع البقل ـ وما يطابق الواقع دون الاعتقاد كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها خلق الله الأفعال كلها ـ وما لا يطابق شيأ من الواقع والاعتقاد كقولك جاء زيد وأنت تعلم أنه لم يجىء دون المخاطب اذ لو

علم المخاطب أيضا لما تعين كونه حقيقة لجواز أن يجعل المتكلم علم السامع بعدم المجيء قرينة على عدم ارادة ظاهره فلا يكون اسنادا لما هو له عند المتكلم في الظاهر

والمجاز العقلى « ويسمى مجازا حكميا ومجازا في الاثبات واسنادا مجازيا » هو اسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له لملابسة مع قرينة صارفة عن أن يكون الاسناد الى ما هو له وذلك كاسناد الفعل المبنى للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل الى غير فاعله كالمفعول وغيره مما له ملابسة بالفاعل وكاسناد الفعل المبنى للمجهول وما في حكمه كاسم المفعول الى غير نائب الفاعل مما له ملابسة بنائب الفاعل كالفاعل وغيره من المصدر والزمان والمكان والسبب فالغرض الاحتراز عن اسناد الفعل المبنى للفاعل للفاعل واسناد الفعل المبنى للمفعول للمفعول اذ كل منهما حقيقة عقلية كما تقدم ـ مثال ما بنى للفاعل واسند الى المفعول به عيشة راضية فقد أسند راضية وهو مبنى للفاعل الى ضمير العيشة وهو مفعول لان العيشة مَرْضية والراضى صاحبها ـ ومثال ما بنى للمفعول وأسند للفاعل سيل مفعم بفتح العين لان السيل هو الذى يفعم أى يملأ ـ ومثال اسناد الفعل للمصدر جدّ جدّه ـ ولضميرى الزمان والمكان نهاره صائم ونهر جار ـ وللسبب بنى الامير المدينة

وكما يقع المجاز العقلى فى الاسناد يقع أيضا فى النسبة الاضافية بأن يضاف الى ملابس ما هو له كمكر الليل والنهار وجرىُ الانهار وشقاق بينهما فى الظرفية الزمانية والمكانية وغراب البين للسببية على زعمهم ـ وكذا يكون فى النسبة الايقاعية كقوله تعالى « وأطيعوا أمرى » « ولا تطيعوا أمر المسرفين » ونوّمت الليل وأجريت النهر للظرفية

وكما يكون فى الاثبات يكون أيضا فى النفى نحو فما ربحت تجارتهم

وما نام ليلى على معنى خسرت تجارتهم وسهر ليلى قصدا الى اثبات النفى لا نفى الاثبات ـ ويكون أيضا فى الانشاء كما سبقت الاشارة اليه نحو أصلاتك تأمرك ياهامان ابن لى صرحا وليصم نهارك وليجدّ جدّك وليت النهر جار وما أشبه ذلك

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لانهما اما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل ـ أو مجازان لغويان نحو أحيا الارض شباب الزمان اذ المراد باحياء الارض تهييج القوى النامية فيها واحداث نضارتها بأنواع الرياحين والاحياء فى الحقيقة اعطاء الحياة وهي صفة تقتضى الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة ـ أو المسند حقيقة لغوية والمسند اليه مجاز لغوى نحو أنبت البقلَ شبابُ الزمان ـ أو المسند اليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوى نحو أحيا الارض الربيع * ووقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير نحو ما تقدم ونحو واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وينزع عنهما لباسهما وأخرجت الارض أثقالها فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا

ولا بد له من قرينة صارفة عن ارادة المعنى الأصلى لان الفهم لولا القرينة يتبادر الى الحقيقة ـ والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الامير الجند وهو في قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند اليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عدّ ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى اليك لاستحالة قيام المجئ بالمحبة عقلا وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الامير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالامير وحده عادة وان أمكن عقلا وكأن يصدر من الموحد نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كرّ الغداة ومرّ العشيّ

فان صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن اسناد أشاب وأفنى الى كر الغداة ومر العشى مجاز ثم هذا غير داخل في الاستحالة اذ قد ذهب اليه كثير من المبطلين - ولا يجب أن يكون في المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف اسناده اليه حقيقة كما تقدم وتارة لا نحو قوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

فان اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى وليس لها أى الزيادة فاعل يكون الاسناد اليه معروفا حقيقة ومثله سرتنى رؤيتك وأقدمني بلدك حق لى عليك فهذه الامثلة ونحوها من المجاز العقلى الذى لا فاعل له يعرف الاسناد اليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر - وقيل لا بد له من فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ومعرفته إما ظاهرة نحو فما ربحت تجارتهم أي فما ربحوا في تجارتهم وإما خفية كهذه الامثلة والفاعل الله تعالى هذا وقد أنكر السكاكي المجاز العقلى ذاهبا الى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة فى سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه ويجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وسيأتى مذهبه ان شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية

﴿ تنبيه ﴾

ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية فى أحوال الاسناد من علم المعانى و بعضهم ذكرهما فى فن البيان عند تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز ولكل وجهة فمن نظر الى أنهما تحصل بهما المطابقة

لمقتضى الحال ذكرها فى علم المعـانى ومن نظر الى أنهما من أنواع الدلالة ذكرها فى علم البيان وقد جرينا على الاول

والخبر اما أن يكون جملة اسمية أو فعلية والجملة الاسمية المحضة أصل وضعها لافادة ثبوت شيء لشيء وقد تفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن كما في مقام المدح والذم نحو زيد قائم أي ثبت له القيام ولو انقطع بعد ونحو زيد فاضل وعمرو مؤذ أي الفضل والايذاء ثابتان وملازمان لهما ومنه قوله

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا ✻ لكن يمرّ عليهـا وهو منطلق

أى ان الانطلاق من الصرة ثابت له دائما وهو غاية في المدح

قال الشيخ عبد القاهر موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيأ فشيأ فلا تعرّض في قولك زيد منطلق لأكثر من اثبات الانطلاق فعلا (١) كما في زيد طويل وعمرو قصير اه

ثم الجملة الاسمية التي فيها الخبر جملة فعلية تفيد التجدد لا مجرد الثبوت ولا الثبات فلا تفيد الجملة الاسمية الثبوت باصل وضعها والثبات بالمقام والقرائن الا في حالتين ــ فيما اذا كان خبرها مفردا نحو زيد طويل وهو منطلق المذكور في البيت ــ وفيما اذا كان خبرها جملة ليس فيها فعل نحو محمد أبوه قائم وعليّ أبوه مكرم الضيفان

والجملة الفعلية أصل وضعها لافادة التجدد في زمن مخصوص مع الاختصار نحو قام زيد أي ثبت له القيام في زمن مضى وذلك أن الفعل يدل بصيغته على أحد الازمنة الثلاثة من غير احتياج لقرينة

---

(١) أي فان ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع وأما استفادة الدوام فمن الملازمة في هذين الوصفين وحينئذ فالتمثيل المنفى تأمل اه منه

بخلاف الاسم فانه انما يدل على الزمن بقرينة ذكر الآن أو غدا أو أمس

ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قارّ الذات أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الازمنة الثلاثة مفيدا للتجدد أيضا * وقد يفيد الاستمرار التجددي في المضارع بمعونة القرائن لا بحسب الوضع نظير الاستمرار الثبوتي في الاسمية نحو لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم أي لو استمر على اطاعتكم وقتا فوقتا لحصل لكم عنت ومشقة ونحو قول طريف بن متمم

أو كلما وردتْ عُكَاظَ قبيلةٌ * بعثوا اليّ عريفهم يتوسم

أي يحصل منه تفرّس الوجوه وتأملها شيأ فشيأ

ثم المسند إما مفرد فعلا كان أو اسما نحو اجتهد محمد ومحمود مجتهد وإما جملة وذلك في ثلاثة مواضع ـ أحدها أن يكون سببيا وهو عبارة عن كون الجملة معلقة على المبتدا بعائد لا يكون مسندا اليه في تلك الجملة نحو زيد أبوه قائم وزيد قام أبوه وزيد أبوه قام ـ ثانيها أن يقصد قصر الحكم على المسند اليه نحو أنا سعيت في حاجتك أي لا غيري ـ ثالثها أن يقصد تقوية الحكم بتكرير الاسناد نحو محمد اجتهد لتكرير الاسناد فيه مرتين ـ واما ظرف وذلك عند ارادة الاختصار نحو زيد عندك أو في المسجد انتقل ضمير استقر الى الظرف فاستقر فيه وحذف المتعلق وجعل نسيا منسيا لحصل الاختصار

﴿ احوال المسند اليه ﴾

المسند اليه هو المبتدأ أو الفاعل أو نائبه وأحواله الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير الى غير ذلك

(الذكر) يذكر وجوبا حيث لا قرينة تدل عليه عند حذفه ويترجح الذكر عند وجودها لوجوه ـ منها كونه الاصل ولا صارف عنه نحو هذه الشمس ـ ومنها ضعف التعويل على القرينة فتقلّ الثقة بها فلا يعتمد عليها لخفائها وضعفها ـ ومنها الاحتياط نحو القرآن شفاء للقلوب حيث لم تقو القرينة التي يعتمد عليها عند الحذف ـ ومنها التعريض بغباوة المخاطب وأنه لا يفهم الا بالتصريح كما تقول لسامع القرآن القرآن كلام الله ـ ومنها زيادة الايضاح والتقرير في ذهن المخاطب نحو أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون بتكرير اسم الاشارة ـ ومنها التبرك نحو نبينا قال كذا ـ ومنها التلذذ حقيقة كذكر المحبوب أو ادّعاء كذكر الممدوح ـ ومنها اظهار تعظيمه أو اهانته اذا كان الاسم مما يدل على ذلك نحو أمير المؤمنين حاضر واللص موجود ـ ومنها قصد التعجب في الحكم الغريب نحو زيد يقاوم الاسد ـ ومنها بسط الكلام لفائدة كما في مقام الافتخار كأن يقال لك من نبيك فتقول نبينا محمد حبيب الله سيد الانبياء وكما في مقام التلذذ مثل الحبيب حاضر وكما في مقام يكون فيه اصغاء السامع مطلوبا لعظمته وشرفه كقول موسى عليه السلام هي عصاي فى جواب وما تلك بيمينك يا موسى تلذذا بالخطاب مع أنه كان يكفيه أن يقول عصا ولذلك أجملَ بعضَ الخواص فى قوله ولي فيها مآرب أخرى رجاء أن يسئل عن تفصيلها فيتلذذ بالخطاب ـ ومنها التهويل نحو أمير المؤمنين يأمرك بكذا ـ ومنها الاشهاد فى قضية كأن يقول الشاهد زيد باع كذا ـ ومنها التسجيل على السامع أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم حتى لا يكون له سبيل الى الانكار

(والحذف) وهو خلاف الاصل يكون للاستغناء عن المحذوف

بسبب قرينة اذ لو ذكر معها لكان كالعبث فى جليّ النظر وذلك للاعتماد على انتقال الذهن اليه من أوّل وهلة ـ أو لتخييل العدول الى أقوى الدليلين العقلي واللفظي فان الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل والعقل أقوى لافتقار اللفظ اليه وانما أتى بلفظ تخييل لان الدال حقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة كقول المستهلّ الهلال والله ـ أو لضيق المقام من سآمة وضجر نحو

قال لي كيف أنت قلت عليل * سهر دائم وحزن طويل

أي أنا عليل والحذف فى البيت يحتمل أيضا تخييل العدول الى أقوى الدليلين ـ أو لانتهاز فرصة كقول الصياد غزال ـ أو لاختبار تنبه السامع عند القرينة ليعلم هل يتنبه بالقرينة أولا ـ أو مقدار تنبهه نحو مسهلة للصفراء أي السقمونيا ونوره مستفاد من نور الشمس أي القمر أو لاتباع الاستعمال الوارد على تركه نحو نعم الرجل زيد والحذف هنا واجب على أنه من حذف المبتدا قبل المخصوص بالمدح ونحو رمية من غير رام * وشنشنة أعرفها من أخزم * أي هي رمية وهي شنشنة أو الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح أو الذم أو الترحم ـ أو لايهام صون المسند اليه عن لسانك تعظيما له نحو مقرر للشرائع موضح للدلائل تريد المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ أو لايهام صون لسانك عنه نحو فاسدٌ تريد الشيطان ـ أو لتيسر الانكار عند الحاجة نحو فاسق فاجر عند قيام القرينة على أنه زيد مثلا ـ أو لتكثير الفائدة نحو فصبر جميل أي فأمري صبر جميل (١) أو فصبر جميل أجمل ـ أو لتعينه حقيقة نحو عالم الغيب والشهادة أو ادّعاء نحو وهّابُ الألوف

(١) هذا التقدير الأخير خاص بحذف المسند اه منه

أي السلطان ـ أو للمحافظة على سجع نحو من طابت سريرته (١) حمدت سيرته أو قافية نحو

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رَمَـادا بعد اذ هو ساطع
وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بُـدَّ يوما أن تردّ الودائع

ـ أو للعلم به او للخوف منه او عليه في نائب الفاعل

(التعريف) ـ اعلم اولا ان النكرة والمعرفة ما وضعا الا لمعين والا امتنع الفهم وانما الفرق بينهما ان المعرفة تدل على معين من حيث هو معين ففي لفظ المعرفة اشارة الى ان السامع يعرفه لدلالة اللفظ على التعين واما النكرة فالمفهوم منها ذات المعين فقط اذ ليس في لفظها دلالة على ملاحظة التعين ـ والتعين في المعرفة إِما بنفس اللفظ من غير احتياج الى قرينة خارجية كما في العَـلَم واما بقرينة تكلم او خطاب او غَـيْـبةٍ كما في الضمائر واما بقرينة اشارة حسية كما في اسماء الاشارة واما بنسبة معهودة كما في الاسماء الموصولة فانه لايتم التعين فيها الا بذكر الصلة ذات العائد المفهومة للمتخاطبين خارجا او ذهنا واما بحرف وهو المعرّف بأل او النداء او باضافة معنوية الى واحد مما ذكر

* فتعريفه بالعلمية ـ لاحضاره ابتداء في ذهن السامع باسم يخصه نحو وما محمد الا رسول ـ او للتبرك نحو الله المنعم الكريم ـ او للتلذذ نحو قوله

بالله ياظبيَـات القاع قلن لنا * ليلاي منكن ام ليلَـى من البشر

ـ او للتعظيم او الاهانة حيث اشعر العَـلَـمُ بذلك نحو سعد وسعيد فعلا كذا ونحو صخر و بطةُ فعلا كذا ـ او للكناية عنه نحو ابولهب فعل كذا كناية عن كونه جهنميا فان معناه الاضافيّ قبل العلمية

(١) المحذوف في هذا وما بعده المسند اليه الحقيقي وهو الفاعل وان كان المسند اليه في اللفظ وهو نائب الفاعل مذكورا اه منه.

ملازم اللهب فانتقل منه الى كونه جهنميا فان اللهب فى الحقيقة هو لهب جهنم ـ او للتفاؤل نحو سرور خادمك ـ او للتطير نحو حرب فى البلد

وبالضمير ـ لافادة التكلم او الخطاب او الغيبة مع الاختصار حيث اقتضى المقام ذلك نحو * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * ونحو قول المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر « انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب » ونحو * انت الحبيب وكلنا نهوا كا * ونحو * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته * ولا بد فى الأخير من تقدم مرجعه تحقيقا كما فى زيد ضرب او تقديرا نحو فى داره زيد او معنى لدلالة اللفظ عليه نحو اعدلوا هو اقرب للتقوى او لقرينة حال نحو فلهن ثلثا ما ترك اي الميت

والأصل فى الخطاب ان يكون لمعين نحو انت اكرمتني وقد يترك هذا الاصل فيخاطب غير المعين ليعم الكلام كل من يتأتى خطابه على سبيل البدل نحو فلان لئيم ان احسنت اليه اساء اليك وكقول المتنبي

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

وعليه قوله تعالى « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم » اي تناهت حالهم فى الشناعة والظهور لاهل المحشر فلا يختص برؤيتها راء دون آخر

(وبالاشارة) ـ لبيان البعد أو القرب أو التوسط نحو ذلك وهذا وذاك وهذا البيان وان كان مستفادا بالوضع اللغوى لا بالخواص والمزايا التي هي موضوع علم المعاني لكن لما كان البليغ قد يخاطب الغبي فيلزمه بلاغة أن يقتصر معه على افادة أصل المعنى ناسب ذكر هـذا في علم المعاني وذلك حيث تعينت طريقا لاحضاره في ذهن السامع بان يكون

حاضرا محسوسا ولا يعرف المتكلم أو السامع اسمه الخاص ولا معينا آخر ـ أو لكمال التمييز نحو قول الفرزدق

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَم

ـ أو للتعريض بغباوة السامع وأنه لا يفهم غير المحسوس نحو

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا ياجرير المجامع

ـ أو للتعظيم بالقرب أو البعد نحو ان هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم ونحو ذلك الكتاب لا ريب فيه ـ أو للتحقير كذلك نحو وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ونحو فذلك الذي يدعُّ اليتيم ـ أو لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع نحو

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

ـ أو للتنبيه على أن المشار اليه المعقب باوصاف جدير لاجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الاشارة نحو قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فالمشار اليه بأولئك هم المتقون وقد ذكر عقبه أوصاف هي الايمان بالغيب واقامة الصلاة وما بعدها ثم أتى بالمسند اليه اسم اشارة وهو أولئك وأولئك تنبيها على أن المشار اليهم أحقاء من أجل تلك الاوصاف المذكورة بالكون على هدى عاجلا والفوز بالفلاح آجلا

(وبالموصولية) ـ لعدم علم المتكلم أو السامع أو كليهما بشيء يخصه سوى الصلة نحو الذي كان معنا بالامس فعل كذا ـ أو لزيادة التقرير نحو وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وكونه في بيتها ولا يخدع مع تمام قدرتها عليه أدل على نزاهته فيكون لتقرير الغرض المسوق له الكلام الذى هو نزاهته ولم يقل زليخا أو امرأة العزيز لاستهجان التصريح

باسمها وقيل الموصول مسوق لتقرير المراودة لان كونه في بيتها أدل على كثرة الخلطة وزيادة الالفة ـ أو للتنبيه على خطا المخاطب نحو

ان الذين ترونهم اخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

أى من تظنون أخوتهم يحبون دمَاركم فأنتم مخطؤن في هذا الظن أو خطأ غيره نحو

ان التي زعمت فؤادك ملَّها * خلقت هواك كما خلقت هوًى لها

ـ أو للتفخيم نحو فغشيهم من اليَم ما غشيهم ـ أو لتمكن الخبر في الذهن اذا كان مضمون الصلة حكما غريبا نحو قول المعرّى

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

ـ أو للاشارة الى نوع الخبر من ثواب أو عقاب أو غيرهما نحو ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزُلا ونحو ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذلك انه بسماع الموصول وصلته يفهم ان الخبر الآتي من جنس الثواب أو العقاب اجمالا فاذا تم الكلام كان تفصيلا لما فهم وهذا شبيه بالارصاد في علم البديع اذ فاتحة الكلام في كل تدل على خاتمته* وربما جعلت الاشارة الى نوع الخبر وسيلة الى التعريض بتعظيم شأن الخبر أو غيره أو تحقيق الحكم فالاول نحو

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

اذ فيه اشارة الى أن الخبر أمر من جنس الرفعة وفيه تعريض بتعظيم بناء بيته لانه فعلُ منْ سَمَك السماء والثاني نحو الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ففيه الاشارة الى تعظيم شأن شعيب وخسران من كذبه والثالث نحو

ان التي ضربت بيتا مهاجرةً * بكوفة الجند غالت ودّها غُولُ

ففي ضربها البيت في مكان المهاجرة تحقيق للحكم بزوال محبتها وودّها
ويكون بالموصولية أيضا للترغيب نحو الذى حسنت أفعاله وكمل جماله محبوب ـ أو للتنفير نحو الذى شاه خَلْقه وساء خُلُقه مبغض ـ أو للحث على ترك الغلظة نحو الذى لا يرحم صغيرا ولا يوقر كبيرا ممقوت ـ أو الانعام نحو الذى خلص لك وداده ورسخ مع عدوّك عناده كذا ومنها غير ذلك

(وبأل) ـ للاشارة الى الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة ـ أو لبعض أفرادها نحو وأخاف أن يأكله الذئب ـ أو الى فرد أو أكثر من الحقيقة معهود بين المتخاطبين تقدم ذكره صريحا نحو فيها مصباح المصباح في زجاجة الخ أو كناية ـ نحو وليس الذكر كالانثى أى الذكر المكنى عنه بما في قولها اني نذرت لك ما في بطني محرّرا ـ أو لحضوره بذاته نحو هذا الرجل فعل كذا ونحو اليوم أكملت لكم دينكم في غير المسند اليه ويسمى عهدا حضوريا ـ أو للاشارة الى فرد فأكثر معهود ذهنا نحو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم في غير المسند اليه أيضا فان الاشارة فيه الى الفرد الحاضر في علم المتخاطبين ـ ويسمى كل من الخارجى والذهني تعريف العهد لكونه اشارة الى معهود خارجا أو ذهنا من أفراد مدلول اللفظ لا الى نفس المدلول ولذا يحتاج الى قرينة سبق ذكره أو حضوره خارجا أو ذهنا بخلاف لام الحقيقة المسماة باللام الجنسية فلا يحتاج معها الى قرينة ـ أو للاشارة الى جميع الافراد مطلقا لقرينة حالية نحو عالم الغيب والشهادة أى كل غائب وشاهد في غير المسند اليه أيضا أو مقالية نحو ان الانسان لفي خسر أى كل انسان بدليل الاستثناء ويسمى استغراقا حقيقيا ـ أو الى جميع الافراد مقيدا

نحو الصاغة جمعهم الامير اى صَـاغَـةُ بلده او مملكته ويسمى استغراقا عرفيا

واستغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع لان المفرد يتناول كل واحد واحد من الافراد وأما المثنى فيتناول كل اثنين اثنين والجمع يتناول كل جماعة جماعة بدليل صحة لارجال في الدار اذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف لارجل فانه لايصح اذا كان فيها رجل أو رجلان وهذا في النكرة المنفية مسلم وأما في المعرف باللام فلا بل الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الافراد نحو الرجال قوّامون على النساء

وقد يعرّف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند اليه بالمسند المعرفة وعكسه حقيقة نحو وهو الغفور الودود وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى او ادعاء للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند اليه نحو محمد العالم اى الكامل في العلم أو كماله في المسند نحو الكرم التقوى اى لا كرم الاهى

(وبالاضافة الى أحد المعارف المتقدمة) ـ لانها أخصر طريق الى احضار المسند اليه بوصفه الخاص كقول جعفر بن علبـة « بالموحدة بوزن غرفة »

هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثماني بمكة موثق

فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه والاختصار لازم الآن لضيق المقام وفرط السآمة لكونه في السجن والحبيب على الرحيل ـ أو لتعظيم شأن المضاف نحو عبد السلطان جالس أو المضاف اليـه نحو عبدى فعـل كذا ـ أو للتحقير كذلك نحو ابن الحجام حاضر وضارب زيدٍ غلامٌ ـ او لتعذر التفصيل نحو اجمع اهل الحق على كذا ـ او لتعسره كأجمع اهل القرية ـ او لاملاله نحو

قبائلنا سبع وانتم ثلاثة * وللسَّبع خير من ثلاث واكثر

فان تعداد قبائله السبع بأن يقول قبيلة كذا وقبيلة كذا لا تعذر فيه ولا تعسر لكنه يوقع السامع في ملل وسآمة ـ أو لتضمنها اعتبارا لطيفا مجازيا وتسمى الاضافة لأدنى ملابسة نحو

اذا كوكب الخرقاء لاح بسُحْرَة * سهيل أذاعت غزلها في القرائب

اى ان المرأة الحمقاء لم تهيأ في الصيف للشتاء باعداد الغزل حتى اذا طلع الكوكب المذكور في ابتداء الشتاء فرقت غزلها على القرائب ليغزلنه ـ او للاستهزاء نحو قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون

* (والتنكير) ـ يكون لقصد فرد غير معين نحو وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ـ او نوع نحو وعلى ابصارهم غشاوة اى نوع من انواع الاغشية عظيم وهو غطاء التعامي عن آيات الله ـ وللتعظيم نحو فيه هدى للمتقين ـ وللتحقير نحو ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ـ وللتقليل نحو ورضوان من الله اكبر ـ وللتكثير نحو وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اى ذوو عدد كثير وآيات عظام ويحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير قوله

له حاجب عن كل امر يَشينه * وليس له عن طالب العُرف حاجب

أى له مانع عظيم أو كثير وليس له مانع قليل أو حقير ومنه قوله

ولله عندى جانب لا أضيعه * وللَّهو عندى والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن * والفرق بين التعظيم والتكثير ان الاول بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة والثانى باعتبار الكميات والمقادير تحقيقا كما فى قولك ان له لابلا وان له لغنما او تقديرا نحو ورضوان من الله أكبر ويلاحظ ذلك في التحقير والتقليل أيضا

وينكر أيضا ـ لعدم علم السامع بجهة من جهات التعريف حقيقة او ادعاء نحو جاءني رجل ـ او لوجود مانع يمنع من التعريف نحو

اذا سئمت مهنده يمين * لطول العهد بدّله شمالا

لم يقل يمينه تحاشيا من نسبة السآمة ليمين الممدوح ـ وربما نكر غير المسند اليه للافراد أو النوعية نحو والله خلق كل دابة من ماء أى كل فرد من افراد الدواب من نطفة معينة اذ كل نوع من انواعها من نوع من انواع المياه المختصة بتلك الدابة ـ أو للتعظيم نحو فأذنوا بحرب من الله ورسوله اى حرب عظيمة ـ او للتحقير نحو ان نظن الا ظنا اى ظنا حقيرا لأن الظن مما يقبل الشدّة والضعف فالمفعول المطلق هنا للنوعية لا للتأكيد

* (والتقديم) ـ لكونه الاصل ولا صارف عنه ـ او للاهتمام من المتكلم او السامع ولو ادعاء ـ او لتعجيل المسرة تفاؤلا نحو سرور فى دارك وسعد في البلد او المساءة تَطيُّرا نحو السفّاح في دار صديقك ـ او للتشويق الى الخبر حيث اشتمل المسند اليه على ما يشوّق لسماعه ليتمكن في ذهن السامع نحو قول أبي العلاء

والذي حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جماد

قيل الحيوان هو الانسان والجماد الذى خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف فى اعادته للحشر وقيل غير ذلك

ـ او لايهام انه اى المسند اليه لا يزول عن الخاطر نحو رحمة الله ترجى ـ او للتبرك نحو اسم الله اهتديت به ـ او للتلذذ نحو ليلى وصلتُ وسلمى هجرتُ ـ او لبيان ان الخبر صار سمة وعلامة للمسند اليه المقدم حتى كانه وصف لا يفارقه نحو الخطيب يشرب ويطرب في جواب كيف الخطيب بخلاف ما لو قيل يشرب الخطيب فانه لا يفيد

اتصافه بالشرب دائما — او لافادة التعميم نحو كل اذا كان بعده نفى غير عامل فيه نحو كل رجل لم يقصر اى انهم اجتهدوا جميعا—ويقال له عموم السلب وشمول النفي بخلاف ما اذا كانت أداة العموم معمولة للنفي قدمت لفظا او اخرت نحو لم يقصر كل رجل وكلَّ ذنب لم أصنع فانه يفهم غالبا ان بعضهم قصر وانه عمل بعض الذنوب — ويقال له سلب العموم ونفى الشمول وجاء لعموم النفى قليلا نحو والله لايحب كل مختال فخور — او لتقوية الاسناد اذا كان الخبر فعلا نحو زيد قام فان فيه الاسناد مرتين اسناد الفعل الى ضمير زيد واسناد الجملة الى زيد ويقرب من نحو زيد قام زيد قائم لاشتماله على ضمير غير انه يشبه الجوامد لعدم تغير ضميره تكلما وخطابا وغيبة

والحكمة في عدم تغير ضمير الصفات ان المعنى على تقدير الموصوف فنحو انا قائم على تقدير انا رجل قائم وانت قائم على تقدير انت رجل قائم وهو قائم كذلك * والحاصل انه لاشتماله على الضمير كان كالفعل في افادة التقوية ولكون ضميره لايتغير كانت تقويته قريبة من الاولى لا مثلها

ـ او لافادة التخصيص بحسب المقام نحو رجل جاء اى لا امرأة او لارجلان ردا لمن تردد في ان الجائي رجل او امرأة او زعم انه امرأة لارجل او لمن تردد في انه واحد او اكثر او زعم انه اكثر من واحد * ونحو انا ما قلت بتأخير النفي لقصد تخصيصه بالخبر الفعلى ردا على من زعم انفراد غيرك بعدم القول او زعم مشاركته لك في عدم القول فهو قصر قلب او قصر افراد ونحو ما انا قلت بتقديم النفي ردا على من زعم انفرادك بالقول او مشاركتك لغيرك فيه فهو قصر قلب او افراد ايضا ويجوز كونه للتعيين ردا للمتردد

ومما تقدم تعلم انه لايصح ما انا قلت هذا ولا غيرى لان مفهوم ما انا قلت كونه مقولا للغير ومنطوق ولا غيرى كونه غير مقول للغير فيحصل التناقض ولا يصح ما انا ضربت الا زيدا لاقتضاء ان يكون غيرك ضرب كل احد الا زيدا وهو غير ممكن هذا — وقد يقصد من التقديم مطلقا التعجب والاستبعاد كقولك أتخدع بالزبيب بعد المشيب مع قولك أبالزبيب تنخدع بعد المشيب وقولك ابعد المشيب تنخدع بالزبيب فالاول في مقام التعجب من الانخداع والثاني في مقام التعجب من المخدوع به والثالث في مقام التعجب من المخدوع فيه ومنه قوله

أبعد المشيب المنقضي في الذوائب ✻ تحاول وصل الغانيات الكواعب

ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ مثل وغير اذا استعملا على سبيل الكناية في نحو مثلك لايبخل وغيرك لايجود بمعنى انت لاتبخل وانت تجود من غير ارادة تعريض بغير المخاطب

وانما كان التقديم كاللازم لكونه اعون على المراد بهذين التركيبين لان الغرض منهما اثبات الحكم بطريق الكناية التي هي ابلغ والتقديم لكونه يفيد التقوّى اعون على ذلك وليس معنى كاللازم انه قد يقدم وقد لا يقدم بل المراد انه كان مقتضى القياس جواز التأخير ولكن الاستعمال لم يرد الا بالتقديم

❋ فصل في تقييد المسند اليه بالتوابع ونحوها ❋

اعلم ان التقييد يكون لتمام الفائدة لما تقرر من ان الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية وكلما زاد خصوصية زادت فائدته لا فرق بين مسند اليه او مسند وغيرهما ولا بين تقييده بالتوابع او غيرها — فأما تقييده بالنعت فلامور منها كشفه اذا احتاج لكشف معناه كقولك

الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ونظيره فى غير المسند اليه ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا الآية اذ ما بعد هلوعا تفسير له وقوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية ومثله فى الكشف قوله

الألمعيّ الذي يظنّ بك الظّن كأن قد رأى وقد سمعا

— ومنها تخصيصه بصفة تميزه ان كان نكرة نحو جاءني رجل تاجر او توضحه ان كان معرفة نحو جاءني زيد التاجر — ومنها تأكيده نحو امس الدابر كان يوما عظيما — ومنها المدح نحو جاءني زيد العالم والذم نحو جاءني زيد البخيل والترحم نحو جاءني زيد المسكين

وبالتوكيد فلارادة مجرد التقرير وتحقيق المفهوم عند الاحساس بغفلة السامع — او لارادة انتقاش معناه فى ذهنه نحو قمت انت — او له ولدفع توهم المجاز او السهو او عدم الشمول نحو جاء السلطان السلطان او جاء السلطان نفسه مثلا لئلا يتوهم ان الجائي خادمه مثلا وانك سهوت او اردت غير الحقيقة ونحو فسجد الملائكة كلهم اجمعون

(و بعطف البيان فلكشفه) — وايضاحه باسم يخصه نحو اقسم بالله ابو حفص عمر وقدم صديقك خالد — وقد يكون عطف البيان للمدح نحو جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس فى غير المسند اليه فان البيت الحرام عطف بيان أتي به للمدح لا للايضاح كما تجيء الصفة لذلك

(و بعطف النسق) — فلتفصيل المسند اليه باختصار نحو جاء زيد وعمرو فانه اخصر من جاء زيد وجاء عمرو ومفيد لتفصيل المسند اليه بالنسبة لقولك جاءني الرجلان ولم يعلم منه تفصيل المسند اذ الواو لمطلق الجمع ولا دلالة فيه على مجيء احدهما قبل الآخر او بعده او معه

ويأتي العطف لتفصيل المسند ايضا مع الاختصار نحو جاء زيد فعمرو او ثم عمرو او جاءني القوم حتى عليّ فهذه الاحرف الثلاثة مشتركة فى تفصيل المسند غير ان الاول يفيد التعقيب بلا مهلة والثاني يفيده بمهلة والثالث يفيد ترتيب اجزاء ما قبله ذهنا من الاضعف للاقوى او بالعكس نحو مات الناس حتى الانبياء وقدم الحجاج حتى المشاة — او لرد السامع الى الصواب مع الاختصار ايضا نحو جاءني زيد لا عمرو لمن اعتقد ان عمرا جاءك دون زيد او انهما جاآك جميعا وللرد الى الصواب ايضا في العطف بلكن الا انها لا تنفي الشركة فنحو ما جاءني زيد لكن عمرو لا يقال الا لمن اعتقد ان زيدا جاءك دون عمرو لا لمن اعتقد انهما جاآك جميعا و بعض النحاة يجعله لمن اعتقد انتفاء المجيء عنهما جميعا — او لصرف الحكم الى آخر نحو ما جاء زيد بل عمرو — او للشك من المتكلم او التشكيك للسامع او للابهام نحو وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين — او للاباحة او التخيير كما فى العطف بأو واما بكسر الهمزة كأو لاحد الشيئين او الاشياء

وتستفاد هذه المعاني من المقام ففي الخبر يستفاد الشك او التشكيك او الابهام وفى الامر يستفاد التخيير او الاباحة وفى غير الخبر والامر لا يستفاد شيء كالاستفهام والتمني ونحوها

فائدة

قد تجيء الفاء للتعقيب فى الذكر دون الزمان اما مع ترتب ذكر الثاني على الاول كما فى تفصيل الاجمال نحو ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي الآية ونحو ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين لان ذم الشيء يكون بعد ذكره واما بدون

الترتب المذكور وذلك عند تكرير اللفظ الاول نحو بالله فبالله وقد تجيء ثم للتراخي فى الذكر دون الزمان اما مع الترتب المذكور نحو

ان مَنْ ساد ثم ساد ابوه * ثم قد ساد قبل ذلك جدّه

فان الغرض ترتيب درجات معالي الممدوح فابتدأ بسيادة نفس الممدوح لانها أخص به ثم بسيادة أبيه لقربها منه ثم بسيادة جده فبدأ بذكر الاولى فالاولى واما بدون الترتب المذكور نحو وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ـ ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى نحو ثم أنشأناه خلقا آخر أى بعد الاطوار السابقة وانما سلكوا ذلك في الفاء وثم تنزيلا للترتيب فيما ذكر منزلة الترتيب فى الزمان فاستعمالهما فيه مجاز

وبالبدل فلزيادة التقرير والايضاح وذلك لان البدل مقصود بالنسبة بعد التوطئة له بالمبدل منه فهو كتفسير بعد ابهام فيزداد تقرير المقصود في ذهن السامع نحو جاءني عليّ أخوك وأُكِلَت التفاحة ثلثها ونفعني الاستاذ عملهُ وأما بدل الغلط فلا يرد هنا لانه خارج عن الفصاحة و بعضهم أثبته لغرض المبالغة نحو وجهك بدر شمس

وكما يكون التقييد بالتوابع يكون أيضا بضمير الفصل لتخصيص المسند بالمسند اليه أى قصر المسند على المسند اليه نحو ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وذلك اذا لم يكن في التركيب ما يفيد القصر سوى ضمير الفصل ـ أو لتأكيد تخصيص المسند اليه بالمسند أو بالعكس حيث كان في التركيب مايفيد القصر كلام الجنس مثلا فالاول نحو ان الله هو التواب الرحيم والثاني نحو الكرم هو التقوى أى لا توّاب الا هو دون غيره ولا كرم الا التقوى دون غيرها

(تنبيه) بعض ما تقدم في الامثلة لا ينطبق على أحوال المسند

اليه وانما أتى به لكون المقام اقتضاه للمناسبة

احوال المسند

المسند هو المحكوم به وهو المحمول فعلا كان أو اسما ـ وأحواله هي الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وانما أخر الكلام على المسند لانه محكوم به والمسند اليه محكوم عليه والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه

(فذكره) ـ لانه الاصل ولا صارف عنه ـ وللرد على المخاطب نحو قوله تعالى قل يحييها الذي أنشاها أول مرة بعد قوله من يحيي العظام وهي رميم ـ وللتعريض بغباوة المخاطب نحو محمد نبينا في جواب القائل من نبيكم ـ ولافادة أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث أو اسم فيفيد الثبوت (وحذفه) للاحتراز عن العبث نحو قوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى أى لو تملكون تملكون لأن لو لا تدخل الا على الفعل فحذف احترازا عن العبث لوجود المفسر ثم جئ بضمير منفصل بدل المتصل اتباعا للقواعد في ذلك * ومن الاحتراز عن العبث مع اتباع الاستعمال قولك خرجت فاذا السبع أى موجود بناء على أن اذا ظرف زمان للخبر المحذوف وهو المختار من أقوال ثلاثة أى ففى وقت خروجى السبع موجود

ـ وللاختصار ـ وللتحسر ـ وللمحافظة على الوزن نحو

ومن يك أمسَى بالمدينة رحلُه * فانى وقَيَّار بها لَغَريب

اللام دليل على أن غريب خبر إني وخبر قيار وهو اسم فرسه أو جمله محذوف للمحافظة على الوزن وللاختصار ولضيق المقام بسبب التحسر

الذي يشير هو اليه بتشريك الجمل او الفرس معه فيه حيث قدمه على خبر سابقه ونحو

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

فلفظ راض دليل على حذف خبر نحن اذ لا يقال نحن راض ولو من المعظم نفسه

ـ ولقيام قرينة عليه كوقوعه جواب سؤال محقق نحو قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله أى خلقهن الله أو مقدّر نحو يسَبَّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال على قراءة يسبح بالبناء للمجهول كأنه قيل من يسبح له فقيل رجال وقوله تعالى فصبر جميل يحتمل حذف المسند أو المسند اليه أى فصبر جميل أجمل أو فامري صبر جميل وعليه فيكون الحذف لتكثير الفائدة

(وتقديمه) للتفاؤل نحو

سعِدت بغُرّة وجهك الأيامُ * وتزينت ببقائك الأعوام

ـ وللتشويق للمسند اليه اذا كان في المسند المتقدم طول يشوّق النفس الى ذكر المسند اليه نحو

ثلاثة تُشْرِق الدنيا ببهجتها * شمسُ الضحى وأبواسحق والقمر

ـ ولقصر المسند اليه على المسند نحو لكم دينكم ولى دين أى دينكم مقصور على الاتصاف بكونه لكم وديني مقصور على الاتصاف بكونه لى واللام لمجرد الملكية والاضافة وبالتقديم انقطع احتمال الشركة والقصر هنا اضافيّ والا فالدينان يتصفان بغير ما ذكر

ـ وللتنبيه من أول الامر على أنه خبر لا نعت نحو قول حسان ابن ثابت رضي الله عنه فى المصطفى صلى الله عليه وسلم

له همم لا منتهَى لكبارها * وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر كان البَر أندى من البحر

فلو قيل همم له وراحة له لربما توهم ابتداء أن له صفة لما قبله

(وأما تأخيره) فلعدم المقتضى للتقديم ولاتباع الاستعمال ولكون ذكر المسند اليه أهم كما تقدم

(وتعريفه) ليستفيد السامع الحكم بالمسند المعلوم له على المسند اليه المعلوم له أيضا فاذا كان السامع يعلم زيدا ولا يعلم أنه اخ له فقيل له زيد اخوك حصل له العلم بالنسبة التي كان يجهلها ولا يشترط اتحاد طريق تعريفهما بل قد يختلفان نحو الراكب هو المنطلق وزيد المنطلق ـ وقد يأتي التعريف لغير ذلك

(وتنكيره) يكون لعدم الموجب لتعريفه من ارادة الحصر او العهد نحو زيد كريم وعمرو امير ـ وللتفخيم نحو هدى للمتقين ـ وللتحقير نحو ما زيد شيأ ـ ولاتباع المسند اليه فى التنكير نحو رجل من الكرام حاضر

تتمة

اذا اجتمع متناسبان فأكثر تناسبا معنويا أخر الأبلغ للترقى من الأدنى للأعلى نحو زيد عالم نحرير الا لنكتة نحو لا تأخذه سنة ولا نوم قدم نفى السنة مع انه يلزم منه نفى النوم دون العكس فهو ابلغ منه نظرا للترتيب الوجودي فان السنة تعرض قبل النوم

احوال الفعل ومتعلقاته

الفعل لا يقع الا مسندا ولا يؤتى به الا لافادة التجدد والحدوث غالبا كما تقدم والاصل بناؤه للمعلوم وقد يبنى للمجهول فيسند لنائب

الفاعل بعد حذف الفاعل ــ وحذفه يكون للعلم به نحو وخلق الانسان ضعيفا أو لجهله نحو سرقت الساعة اذا لم يعلم السارق أو للخوف منه نحو سلب المال والسالب له السلطان أو عليه نحو عيب على الامير كذا اذا كان الفعل مما يؤاخذ عليه الفاعل أو للمحافظة على السجع نحو من طابت سريرته حُمدت سيرته أو لتأتى الانكار عند الحاجة أو لتعظيم الفاعل اذا كان الفعل خسيسا أو لقصد صونه عن اللسان نحو تكلم بما لا يليق اذا كان المتكلم شريفا أو لقصد صون اللسان عنه نحو تصدق بمائة دينار والمتصدق زبال مثلا أو غير ذلك * ومتعلقاته بكسر اللام وفتحها هى معمولاته كالمفاعيل وشبهها من حال وتمييز واستثناء * وأحوالها الذكر والحذف والتقديم والتأخير

ومثل معمولات الفعل معمولات ما يعمل عمله من اسمى الفاعل والمفعول وغيرها ـ فيؤتى بمفعول مطلق أو به أو فيه أو له أو معه لتربية الفائدة وتقويتها عند السامع فان زيادة التقييد تقتضى زيادة الخصوص الموجبة لقوة الفائدة فانه أوقع في النفس ـ ويؤتى بالحال لبيان هيأة صاحبها وتقييد عاملها ـ وبالتمييز لبيان ما أبهم من ذات أو نسبة والامثلة معلومة في النحو فلا نطيل بذكرها * ويؤخر المفعول عن الفعل لانه الاصل ـ ويقدم لافادة التخصيص نحو إياك نعبد ولك نصلى اذ المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به لا مجرد الاخبار بأن العبادة له فاستفادة التخصيص من التقديم انما هى بحسب المقام لا بأصل الوضع * أو لرد الخطا فى التعيين نحو زيدا رأيت لمن أعتقد أنك رأيت غيره * أو لردّ الخطا فى الاشتراك نحو زيدا أكرمت أى وحده لمن اعتقد أنك أكرمت زيدا وغيره * وكذا تقول راكبا جئت ونفسا طبت بتقديم الحال والتمييز ردّا لمن زعم

الانفراد أو الاشتراك * أو لرعاية الفاصلة نحو ثم الجحيم صلوه ونحو فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر *أو للتبرك نحو محمدا اتبعت* أو للاستلذاذ نحو ليلى وصلت * أو للاهتمام زيادة عن التخصيص المستفاد من التقديم ولهذا قدر متعلق بسم الله مؤخرا للاهتمام بشأن اسمه تعالى وللردّ على المشركين الذين كانوا يبدؤن بذكر آلهتهم وأما قوله تعالى اقرأ باسم ربك فأجيب بأن القراءة فيه أهم لانها أوّل سورة نزلت كما في الكشاف أو بأنه متعلق باقرأ الثانى كذا قيل وأما نحو زيدا عرفته فيحتمل تقدير المحذوف بعد زيدا فيفيد الكلام تخصيصا وقبله فيفيد تاكيدا ولذا كان نحو وأما ثمود فهديناهم بنصب ثمود لا يفيد الا التخصيص كما قيل لامتناع أن يقدّر الفعل مقدما ووجوب أن يقدّر مؤخرا اذ لا يقال أما فهدينا ثمود لالتزامهم وجود فاصل بين أما والفاء بل التقدير وأما ثمود فهدينا هديناهم بتقديم المفعول

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لانه الاصل ولا صارف عنه كالفاعل في نحو افتتح عمرو بن العاص مصر وكالمفعول الاول نحو اعطيت زيدا درهما لما فيه من معنى الفاعلية* او لان ذكر المقدم اهم كأقام العدل عمر * او لان فى التأخير اخلالا ببيان المعنى نحو وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فانه لو اخر قوله من آل فرعون عن قوله يكتم ايمانه لتوهم انه من صلة يكتم فلم يفهم ان ذلك الرجل كان من آل فرعون ـ او لان في التأخير اخلالا بالتناسب نحو فاوجس فى نفسه خيفة موسى ـ او لضرورة الشعر او غير ذلك

ويحذف لافادة التعميم مع الاختصار نحو والله يدعو الى دار السلام أى كل احد وهذا التعميم وان أمكن بذكر المفعول على صيغة العامّ لكن يفوت الاختصار المطلوب ـ او لاستهجان التصريح به كقول

عائشة رضي الله عنهـا ما رأيت منه ولا رأى مني تعني السوأة — أو لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيجعل المفعول نسيا بمعنى أنه لا يكون ملحوظا مقدرا ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا بل الغرض مجرد اثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم خاص أو عام والمعنى لا يستوى من ثبتت له حقيقة العـلم ومن لم تثبت له فلو ذكر المفعول لفات هذا الغرض — أو للاختصار نحو ربّ أرني أنظرْ اليك أى أرني ذاتك — او للبيان بعد الابهام كما في مفعول المشيئة والارادة اذا وقع شرطا فان الجواب يدل عليه ويبينه بعد ابهامه فيكون أوقع في النفس نحو ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم لهداكم فان كان تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا فلا يحذف نحو قول إسحق الخزيمى في رثاء ابنه

فلو شئت أن أبكى دَماً لبكيتـه * عليه ولكنْ ساحةُ الصبر أوسع
وأعددته ذُخرا لـكل ملمة * وسـهم المنايا بالذخائر أولـع

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول لتقريره في ذهن السامع — او لدفع توهم غير المراد كقول البحترى

وكم ذُدتَ عني من تحامل حادث * وسَوْرة أيام حَزَزن الى العظم

فحذف مفعول حززن وهو اللحم لئلا يتوهم السامع قبل ذكر قوله الى العظم ان الحز لم ينته الى العظم وانما كان في بعض اللحم فحذف دفعا لهذا التوهم

* والقيد في أبواب النواسخ هو نفس النواسخ فالتقييد في باب كان لافادة الاستمرار نحو كان الله عليما حكيما — ولحكاية الماضي نحو كنتم أمواتا فأحياكم — ولافادة الانتقال كما في صار وظل وبات او النفى نحو ليس او الدوام نحو ما زال او التوقيت نحو ما دام او القرب كما

في كاد * وفي باب ظن للاعتقاد كما في علم ورأى او الظن كما في خال وظن وحسب * وفي باب انّ لافادة التحقيق او التشبيه وهكذا

ويكون التقييد بالشرط لاعتبارات تظهر من معانى أدواته المبينة في علم النحو ولا بد من النظر هنا اوّلا في الجملة الشرطية وثانيا في ان واذا ولو لأن فيها أبحاثا كثيرة لم يتعرض لها فيه

فيؤتي بالجملة الشرطية لتقييد الجزاء بالشرط لاعتبارات تظهر من معانى أدواته وذلك لان الغرض من الجملة الشرطية هو النسبة التي يتضمنها الجزاء خبرية كانت او انشائية والشرط قيد لها قال السكاكي قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية فالجزاء ان كان خبرا فالجملة خبرية نحو ان جئتني أكرمك أى أكرمك لمجيئك وان كان انشاء فالجملة انشائية نحو ان جاءك زيد فاكرمه اى اكرمه وقت مجيئه فالحكم عنده في الجمل المصدّرة بان وامثالها في الجزاء واما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه وقد أخرجته الاداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب

وعند المنطقيين الحكم في هذه الجمل بين الشرط والجزاء واما هما فلا حكم فيهما أصلا فمفهوم قولنا كلما كانت الشمس طالعة فالنهار موجود باعتبار اهل العربية الحكم بوجود النهار في كل وقت من اوقات طلوع الشمس فالمحكوم عليه هو النهار والمحكوم به هو الوجود وباعتبار المنطقيين الحكم بلزوم وجود النهار لطلوع الشمس فالمحكوم عليه طلوع الشمس والمحكوم به وجود النهار فكم فرق بين الاعتبارين

أمّا ان واذا فيفيدان وقوع مضمون الجزاء بسبب وقوع مضمون الشرط في المستقبل — وتغلب ان في المشكوك فيه نحو إن زرتني أكرمتك ولذا لاتقع في كلام الله تعالى على الأصل الا حكاية نحو

قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فانه عن لسان اخوة يوسف او على ضرب من التأويل كأن يقال هو بالنظر لحال المخاطب الغير الجازم بوقوع الشرط — واذا في المجزوم به والمظنون نحو اذا طلعت الشمس زرتك واذا شفاني الله تصدقت بكذا ولهذا كانت الأحوال النادرة ولفظ المضارع مواقع لان ولفظ الماضي والأحوال الكثيرة مواقع لاذا نحو قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فلكون الحسنة محققة جعلت هي والماضي مع اذا ولكون السيئة نادرة جعلت هي والمضارع مع ان كما يشير اليه تعريف الجنس في الحسنة وتنكير السيئة الدال على التقليل

وقد تستعمل ان في مقام الجزم تجاهلا كما اذا سئل الخادم عن سيده هل هو في الدار مع علمه بانه فيها فيقول ان كان فيها أخبرك — أو لتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل كقولك لمن يؤذى أباه ان كان أباك فلا تؤذه — او تغليب غير المتصف به « اى الشرط » على المتصف به كما اذا كان القيام قطعيّ الحصول لعمرو غير قطعيه لزيد فتقول ان قمتما كان كذا

وقد تستعمل اذا في المشكوك فيه على خلاف الأصل لغرض كالاشارة الى ان مثل ذلك الشرط لا ينبغى ان يكون مشكوكا فيه نحو اذا كثر المطر اخصب الناس وكعدم الشك من المخاطب وكتنزيله منزلة الجازم

وشرطوا في جملتي ان واذا الاستقبال ولا يخالف ذلك الا لنكتة كابراز غير الحاصل في معرض الحاصل لتوفر اسبابه نحو قولك ان اشتريت كان كذا حال انعقاد اسباب الشراء وكالتفاؤل او اظهار الرغبة في وقوع الشرط نحو ان ظفرت بحسن العاقبة فهو المأمول فانه يصلح

مثالا لهما وكالتعريض نحو لئن أشركت ليحبطنّ عملك جيء بالماضي ابرازا للاشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض تعريضا للمشركين بانهم قد حبطت أعمالهم — ونظيره في التعريض قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون لم يقل ومالكم الخ لاسماعهم الحق على وجه لايزيد غضبهم حيث لم يصرح بنسبتهم الى الباطل وهـذا أدخل فى امحاض النصح حيث لا يريد المتكلم لهـم الا ما يريده لنفسه ويقرب منه وان لم يكن من الشرط قوله تعالى وإنا او إياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ردّد الضلالة بينه وبينهم ولم يقل انا على هدى وأنتم في ضلال تحاشيا من التصريح بنسبتهم الى الباطل

وأما لو فتفيد انتفاء الشئ بسبب انتفاء غيره في الماضي نحو ولو شاء لهداكم أجمعين اى انتفت هدايته اياكم بسبب انتفاء مشيئته لها

وقد تستعمل مع المضارع لقصد الاستمرار في الماضي نحو لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم اى امتنع عنتكم اى وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم وذلك انهم التزموا في جملتها عدم الثبوت وعدم الاستقبال اذ هي للتعليق وهو ينافي الثبوت وللمضي وهو ينافي الاستقبال فلا يعدل في جملتها عن الفعلية الماضوية الا لنكتة كقصد الاستمرار في الماضي كهذه الآية

ونظير هذه الآية في قصد الاستمرار قوله تعالى الله يستهزئ بهـم عدل به عن مستهزئ مع مناسبته لانما نحن مستهزؤن قصدا الى استمرار الاستهزاء وتجدده وقتا فوقتا — او لتنزيله منزلة الماضي نحو ولو ترى اذ وقفوا على النار كان الظاهر ان يقال ولو رأيت ولكن عدل عنه لصدوره عمن لاخلاف في اخباره اذ هذا في القيامة لكن لما كان هذا الأمر المستقبل في التحقيق ماضيا بحسب التأويل كان كأنه قيل قد انقضى

هذا الامر وما رأيت ولو رأيته لرأيت امرا فظيعا ونظيره ربما يودّ الذين كفروا عدل عن الماضي للمضارع مع أن الفعل الواقع بعد رب المكفوفة بما يجب مضيه لتنزيله منزلة الماضي لصدوره عمن لا تخلف في خبره سبحانه

تتمة

اذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول المطلق فالمفعول به بلا واسطة حرف فبواسطته فظرف الزمان فالمكان فالمفعول له فالمفعول معه كما هو مبين في النحو

تمرين عام على جميع ما تقدم

ميز من العبارات الآتية كل نوع من الانواع السابقة وردّ كل نوع منها الى موضعه وهي

ـ رُب جفنةٍ مُثْعَنْجِره * وطعنةٍ مُسْحَنْفِره * تبقى غدا بأَنْقِره * (١) اى جفنة ملأى وطعنة متسعة تبقى ببلد أَنقرة

ـ وازْورّ من كان له زائرا * وعاف عافى العُرف عرفانه

ـ ألا ليت شعري هل يلومنّ قومُهُ * زهيرا على ما جَرَّ من كل جانب

ـ انّ قارون كانَ من قوم موسى فبغى عليهم

ـ قالت عَهِدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

ـ رَبِّ اني لا أستطيع اصطبارا * فاعف عني يا من يقيل العِثَارا

---

(١) هو من كلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه فهويته بنت الملك وبلغ ذلك قيصر فوعده أن يتبعه الجنود اذا بلغ الشأم أو يأمر من بالشأم من جنوده بنجدته فلما كان بأنقرة بعث اليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك فقال رب جفنة الخ اه منه

ـ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ـ الصدق حسن جميل والجنة ميعاده والكذب سيئ قبيح وأسوأ منه مَعَاده ـ العلم شيء بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يرى في المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الآباء والاعمام بل هو شيء لا يدرَك الا بافتراش المَدَر واستناد الحجر وركوب الخَطَر وإدمان السهر وكثرة النظر واعمال الفكر ـ واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة

ـ عباسُ عباسٌ اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع
ـ اليوم يستقبل الآمال راجيها * وينجلي عن سماء المجد داجيها

ـ ادخل السوق واشتر اللحم ـ علماء الدين أجمعوا على كذا ـ أخو الامير ارسل اليّ ـ هذا قريب اللص ـ وانا لاندري أشرّ أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا ـ الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى ـ الرئيس كلمني في امرك والرئيس امرني بعقابك ـ (تخاطب غبيا) ـ الامير نشر المعارف وأمن المخاوف (جوابا لمن سأل ما فعل الامير) ـ الجدار مشرف على السقوط (تقوله بعد سبق ذكره تنبيها لصاحبه) ـ منضجة الزرع مصلحة الهواء (اي الشمس)

ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
ـ ثلاثة ليس لها إياب * الوقت والجمال والشباب
ـ ما انا اسقمت جسمي به * وما انا اضرمت في القلب نارا

ـ ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ـ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

ـ انى اقول لنفسي وهى ضَيِّقة * وقد اناخ عليها الدهر بالعجب
صبرا على شدّة الأيام ان لها * عُقْبَى وما الصبر الا عند ذى الحسب
ـ البؤس يعقبه النعيم وربما * لاقيت ما ترجوه مما ترهب
ـ لكل قضاء جالب ولكل دَرّ حالب
ـ اذا اذن الله فى حاجة * اتاك النجاح بغير احتباس
فيأتيك من حيث لم تدره * مرادك بالنجح بعد الاياس
ـ اذا ضيقت امرا ضاق جدا * وان هوّنت ما قد عز هانا
فلا تهلكْ لما قد فات غما * فكم شيء تعصب ثم لانا
ـ اسير الخطايا عند بابك واقف * على وَجَل مما به انت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك علمها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذى يُرْجَى سواك ويتقى * ومالك فى فصل القضاء مخالف
فياسيدى لا تخزنى فى صحيفتى * اذا نُشِرت يوم الحساب الصحائف

القصر

هو فى اللغة الحبس ومنه حور مقصورات فى الخيام و فى الاصطلاح تخصيص امر بأمر بطريق مخصوص من الطرق الآتية نحو ما نجح الا المجتهدون فانه يفيد تخصيص النجاح بهم — وهو قسمان حقيقيّ

واضافيّ فالحقيقيّ ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع بحيث لا يتجاوز المقصور ما قصر عليه الى غيره حقيقة او ادّعاء فالاول نحو لا معبود بحق الا الله والثانى نحو لا كريم الا عليّ — والاضافيّ ما كان التخصيص فيه بحسب الاضافة الى شيءٍ آخر معين لا لجميع ما عداه نحو وما محمد الا رسول اى لا يتجاوز الرسالة الى التبرى من الموت فلا ينافى انه متصف بغيرها كالصحة واللون وغير ذلك * والفرق بين الحقيقيّ والاضافيّ ظاهر من التعريفين واما بين الحقيقيّ حقيقة والحقيقيّ ادّعاء فهو ان الثاني مبني على المبالغة بفرض ان ما عدا المقصور عليه معدوم لا يعتدّ به بخلاف الاوّل فانه منظور فيه الى الحقيقة في ذاتها واما الفرق بين الحقيقيّ ادعاء و بين الاضافيّ فهو ان الاوّل لا بد فيه من الفرض كما سبق بخلاف الثانى فانه خال مما ذكر والملاحظ فيه نفى بعض ما عدا المقصور عليه لا كله وان كانا مشتركين بحسب الواقع فى وجود بعض ماعدا المقصور عليه — وكل من الحقيقى والاضافى قصر موصوف على صفة وقصر صفة على موصوف والمراد بالصفة هنا المعنوية وهى أعم من الصفة النحوية فتشمل الفعل ونحوه مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقيّ حقيقة ما زيد الا عالم اذا اردت انه لا صفة له في الواقع غير العلم وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيءٍ حتى يمكن اثبات شيءٍ منها ونفى ما عداه بالكلية ـ ومثال قصر الصفة على الموصوف منه ما ممدوح الا الكمال اي صفة الممدوحية مقصورة عليه ـ ومثالهما من الحقيقيّ ادّعاء ما زيد الا عالم وما عالم الا زيد اذا لم تعتدّ بغير المقصور عليه ـ ومثال قصر الموصوف على الصفة من الاضافىّ ما زيد الا كاتب اى ناثر تقوله لمن يعتقد اتصافه بالشعر

والكتابة معا فيكون افرادا او بالشعر لا الكتابة فيكون قلبا او لمن تردّد فيكون تعيينا ـ ومثال قصر الصفة على الموصوف منه لا كاتب الا زيد لمن اعتقد اشتراك عمرو وزيد في الكتابة او ان الكاتب غيره فقط او تردد بينهما وحينئذ فكل من قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف من الاضافي ثلاثة أقسام قصر قلب وقصر افراد وقصر تعيين فالأوّل للرد على من يعتقد عكس ما تقول والثاني للرد على من يعتقد الشركة والثالث يخاطب به المتردد بين شيئين فاكثر

ويشترط في قصر الموصوف على الصفة افرادا عدم تنافي الوصفين ليتاتى اعتقاد اجتماعهما في موصوف واحد

طرق القصر

اعلم ان طرق القصر كثيرة منها ضمير الفصل وتعريف ركني الاسناد كما سبق وقد يحصل بالتصريح بلفظ وحدَه أولا غير او فقط او مادة الاختصاص او القصر وان كان ذلك ليس من طرقه الاصطلاحية ولكن المعتدبه في هذا الباب من طرقه أربعة الاول انما والثاني العطف بلا او لكن او بل والثالث النفي والاستثناء والرابع تقديم ما حقه التأخير من خبر او معمول فعل

مثال انما قولك انما زيد كاتب في قصر الموصوف وانما قائم زيد في قصر الصفة افرادا او قلبا او تعيينا على حسب المقامات ـ وتمتاز انما على العطف بانه يعقل منها الحكمان أعني الاثبات للمذكور والنفي عما عداه في آن واحد بخلاف العطف ـ واحسن مواقعها التعريض نحو انما يتذكر أولو الألباب تعريضا بان الكفار لا يتذكرون وانهم مثل البهائم

ومثال العطف زيد شاعر لامنجم وما بكر كاتب بل شاعر او لكن شاعر في قصر الموصوف وزيد شاعر لاعمرو وما بكر كاتب بل عمرو او لكن عمرو في قصر الصفة إفرادا او قلبا او تعيينا بحسب الاقتضا آت فاذا كثر النفي قيل لا غير او ليس غير او ليس الا نحو زيد يعلم النحو لا غير اي لا غير النحو فهو قائم مقام لا الفقه ولا الصرف ولا الكلام الخ وقيل ان لا في قولك لا غير لنفي الجنس لا عاطفة

ولا يجتمع العطف مع الاستثناء فلا يقال ما زيد الا قائم لا قاعد لئلا يشتمل الكلام على أزيد من قدر الحاجة والنفي يجامع انما والتقديم فيقال انما انا نحويّ لا فقهيّ وهو مستظرف لاعمرو لأن النفي فى انما وفى التقديم غير مصرح به

ومثال النفي والاستثناء ما زيد الا شاعر في قصر الموصوف وما شاعر الا زيد فى قصر الصفة افرادا وقلبا وتعيينا بحسب الدواعى ـ ثم هو يقابل الاصرار اي الانكار الشديد دون انما لان القصر من اسباب التأكيد وحيث كان النفي صريحا كان التاكيد أقوى فينبغي ان يكون لشديد الانكار نحو ان أنتم الا بشر مثلنا لاصرارهم على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة فى البشر واما انما انت منذر من يخشاها فللاشارة الى انه ليس مما ينبغي الاصرار على خلافه — واما ان انت الا نذير فلمبالغة الرسول في الدعوة نزل منزلة من يظن نفسه مالكا لهدايتهم لحرصه عليها كل الحرص فخوطب بالنفي والاستثناء * وعلى الجملة فالاستثناء لقوّته يكون لرد الانكار الشديد اعنى الاصرار حقيقة نحو ان انتم الا بشر مثلنا او ادّعاء نحو ان انت الا نذير ولفظ انما لضعفه يكون لرد الانكار في الجملة حقيقة او ادعاء هذا هو التحقيق

ومثال التقديم والمراد به تقديم ما حقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدا

وتقديم بعض معمولات الفعل عليه مما يصح تقديمه نحويّ أنا لا منطقيّ فى قصر الموصوف وأنا سعيت فى حاجتك أي لا غيرى فى قصر الصفة افرادا وقلبا وتعيينا على حسب ما يناسب اعتقاد المخاطب ـ ودلالة التقديم على القصر ليست بطريق الوضع كالثلاثة قبله بل بالذوق فان ذا الذوق السليم اذا تأمل فى نحو قرشيّ أنا فهم منه القصر وان لم يعرف استعمال التقديم في القصر (هذا) وكما يقع القصر بين المبتدا والخبر يقع بين الفعل والفاعل نحو ما اجتهد الا محمد و بين الفعل ومعمولاته نحو ما تعلم محمد الا البيان وماعَلَّمت خليلا الا الصَّرف الا المفعول معه و بين المفعولين نحو ما كسوت المصحف الا حريرا وما كسوت حريرا الا المصحف

ثم اذا كان القصر بما والا ونحوها من أدوات الاستثناء أخر المقصور عليه معها نحو ما تعلم البيانَ الا عليّ ويقلّ التقديم نحو ما تعلم الا عليّ البيان ونحو قول الشاعر

فلم يدر الا الله ما هيجت لنا * عشيَّةَ لاقينا جذاما وحميرا

ـ واذا كان القصر بانما أخر المقصور عليه وجوبا نحو انما تعلم عليّ البيان ولا يجوز تقديم المقصور عليه بها لئلا يحصل الالتباس فيما لو قلت فى انما ضرب زيد عمرا انما ضرب عمرا زيد بخلاف النفي والاستثناء فانه لا التباس فيه اذا قدم المقصور عليه لوقوعه بعد الا مطلقا قدم أو أخر ثم ان قصر الفعل المسند الى الفاعل هو من قصر الصفة على الموصوف ـ ولفظ غير وسوى كالا فى جميع الاحكام المتقدمـة

تمرين

بين أنواع القصر فى الآيات والعبارات الآتية

— انما المؤمنون اخوة — ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأ كلان الطعام

— انما الدنيا هبات * وعوارٍ مستردّه
شِدّة بعد رخاء * ورخاء بعد شدّه

— وما يجحد بآياتنا الا الظالمون — انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى — ما على الرسول الا البلاغ — وانْ من أمة الا خلا فيها نذير — لا دولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال — لا ينفع غير العلم ولا يضر سوى الجهل — لا يألف العلم الا ذكيّ ولا يجفوه الا غبيّ — ماحفظ الكتاب الا محمد وما حفظ الا محمد الكتاب — * انّ الشباب جنون برؤه الكبر * — لكم دينكم ولي دين — انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ — انما عليك البلاغ وعلينا الحساب — انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء —
أنا الذائدُ الحامى الذِّمار وانما * يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى
— على الله توكلنا — ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم — الدين المعاملة — * ايّاكِ أعني واسمعى ياجاره * اياك نعبد واياك نستعين — لأمرٍ مّا جدع قَصِير أنفه

الانشاء

هو بالمعنى المصدرى القاء الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه

أو لا تطابقه وبالمعنى الاسمى نفس الكلام المُلْقَى المذكور وينقسم باعتبار المعنى الاول الى قسمين طلبيّ وغير طلبي فغير الطلبي كصيغ العقود والتعجب والمدح والذم وجملة القسم ولعل ورب وكم الخبرية ولا دخل لهذا القسم فى علم المعانى والطلبي هو الأمر والنهي والدعاء والتمنى والاستفهام والعَرْض والتحضيض والنداء والمقصود من الطلبي هنا الأمر والنهي والتمنى والنداء والاستفهام لاختصاصها بمزايا زائدة على أصل المعنى بحسب المقامات

فالامر طلب الفعل وصيغه أربع الاولى فعل الامر نحو اجتهد والثانية المضارع المقرون بلام الامر نحو لتقم والثالثة اسم فعل الامر نحو صه والرابعة المصدر النائب عن فعله نحو قراءة وكتابة

والنهي هو طلب الانكفاف عن الفعل وصيغته واحدة نحو لا تتكاسل ولا يسمى كل منهما أمرا ولا نهيا الا ان كان الطلب من الاعلى للادنى بأن يعدّ الطالب نفسه عاليا سواء كان عاليا في الواقع أو لا فان كان الطلب من متساويين سمى التماسا وان كان من الادنى للاعلى سمى دعاء

ثم ان اشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ماعليه الاكثر من الماتريدية والامام الرازى والآمدى من الاشعرية وأبو الحسن من المعتزلة وذهب الاشعرى الى انه لا يشترط ذلك وبه قال كثير من الشافعية ـ والاشبه أن الصدور من المستعلى يفيد ايجابا في الامر وتحريما في النهي نحو أقيموا الصلاة ولا تقربوا الزنا اذ بالمخالفة يخاف ترتب العقاب عاجلا أو آجلا هذا ما عليه الجمهور وخالفهم في ذلك غيرهم وهذه المسألة من موضوع علم الاصول وهى فيه محررة

ثم قد يستعمل كل من الامر والنهي مجازا عند قيام قرينة لامور

منها في الامر التهديد نحو اعملوا ما شئتم والتعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله والتسخير نحو كونوا قردة خاسئين والاكرام نحو ادخلوها بسلام آمنين والاهانة نحو قل كونوا حجارة أو حديدا والندب نحو فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا والاباحة نحو واذا حللتم فاصطادوا ونحو فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله والالتماس كقولك لمساويك افعل كذا والدعاء نحو ربنا اغفر لنا ذنوبنا والامتنان نحو فكلوا مما رزقكم الله والتمني نحو

يا ليلُ طُل يا نوم زُلْ * يا صبح قِفْ لا تطلع

والدوام نحو اهدنا الصراط المستقيم ـ ثم ان الامر للطلب مطلقا ويستفاد الفور أو التراخى من القرائن ولا يوجب الاستمرار والتكرار فى الاصح وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام الا بقرينة وهو ما اختاره السكاكى

ومنها فى النهي مجيئه للتهديد كقولك لخادمك الذي لا يمتثل أمرك لا تمتثل أمرى وللاستهانة لمتعلق الفعل نحو ولا تمدّن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم أي فانك قد أوتيت النعمة العظمى التى فاقت كل نعمة وللدوام نحو ولا تحسبن الله غافلا وقيل هو هنا للتنزيه وللارشاد نحو لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وللتيئيس نحو لا تعتذروا اليوم وللالتماس كقولك للمساوى لا تفعل وللدعاء نحو ربنا لا تؤاخذنا وللتمني كلا تطلع الذى فى آخر البيت السابق

ثم ان النهي للفور والاستمرار ويكون بالقرينة للتراخى والمرة كما هو مذهب الجمهور

والتمني هو طلب أمر محبوب مستحيلا كان نحو

ليت الكواكبَ تدنُو لى فأنظمها * عقود مدح فما أرْضَى لكم كلمى

أو ممكنا غير مطموع فى حصوله كليت لى خبرة بفن الطب مثلا وان كان مطموعا فى حصوله كان ترجيا ويعبر فيه بلعل وعسى وقد تستعمل فيه ليت كقوله

فيا ليت ما بينى و بين أحبتى * من البُعْـد ما بينى و بين المصائب

وألفاظ التمنى ثلاثة ليت كما تقدم وهى الاصل وهل نحو هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ولو نحو فلو أنّ لنا كرة فنكون من المؤمنين

ويتمنى بلعل لبعد المرجو فكأنه مما لا يرجى حصوله فيناسبه التمنى نحو لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع * وقد يتمنى بهلاَّ وألاَّ ولو ما ولو لا وأصلها هل ولو ركبتا مع ما ولا وأصل ألا هلا قلبت الهاء همزة وانما فعل ذلك ليتعين معنى التمنى ويزول احتمال الاستفهام فى هل والشرط فى لو فيتولد بذلك معنى التندم فى الماضى نحو هلا اجتهدت ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلا تقوم

والنداء هو طلب الاقبال بحرف ناب مناب أدعو وحروفه يا وأيا وهيا وهى للبعيد وأي والهمزة للقريب وقد ينزل القريب منزلة البعيد فتستعمل له أدواته لعلو المدعو نحو يا ألله أو سهوه أو نومه أو لانحطاط درجته عن مجلس الداعى نحو تأدب ياهذا وقد ينزل البعيد منزلة القريب فتستعمل له أدواته اشارة الى أنه نصب العين نحو

أسُكَّان نَعمانِ الاراك تيقنوا * بأنكُم فى ربع قلبيَ سكان

وقد يستعمل النداء فى غير الطلب كالاغراء نحو يا مظلوم أقبل قصدا الى اغرائه وحثه على زيادة التظلم وكالندبة والاستغاثة والاختصاص فى معرض بيان أو فخر أو تواضع الا أنه لا يجوز فى الاختصاص اظهار حرف النداء وكالتحير والتضجر فى نداء الاطلال ونحوها نحو

* أيا منازل سلمى أين سلماك * ونحو

ياناق سيرى فقد أفنت أناتك بى * صبرى وعمرى وأحلاسى وأنساعى

وكالتحسر نحو

فياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

وكالزجر والملامة كما فى قول السيد امام القصبى رحمة الله عليه

أفؤادى متى المتاب ألما * اصح والشيب فوق فودى الما

وللتذكر والتحسر معا كقوله

ايا منزلى سلمى سلام عليكما * هل الازمن اللاتى مضين رواجع

(والاستفهام) وهو طلب الفهم وادواته الهمزة وهل ومن وما وايّ وكم وكيف ومتى وايان واين وانّى — فالهمزة لطلب التصوّر اي ادراك المفرد نحو ازيد عندك ام عمرو ولطلب التصديق اي ادراك النسبة نحو اعندك زيد والجواب فى الاول بالتعيين وفى الثانى بنعم او بلا وعلى كل فيجب ان يليها المسؤل عنه كالفعل فى نحو أفهمت المسألة وكالفاعل فى نحو اانت تادّبت اذا علم التأدب وجهل فاعله وكالمفعول فى نحو اعلم الصرف تعلمت اذا علم تعلم المخاطب علما من العلوم وجهل عينه وكالحال فى نحو اراكبا جئت والزمن فى نحو اليلة الخميس قدمت الا اذا قامت قرينة كذكر المعادل فى نحو اضربت زيدا ام عمرا فان ذكره قرينة على ان المسؤل عنه المفعول لا الفعل

وهل لطلب التصديق فقط أي انها لطلب ادراك الحكم فلا معادل لها وعليه فيمتنع هل زيد قام أم عمرو لان أم لطلب التعيين اذ وقوع المفرد بعدها يدل على انها متصلة والمتصلة لطلبه فلا بد أن يعلم أوّلا أصل الحكم وهل لايناسبها ذلك لانها لطلب التصديق أى ادراك الحكم فالحكم فيها غير معلوم والا لم يستفهم عنه بها ولذلك قبح هل زيدا ضربت لان التقديم يستدعى حصول التصديق باصل الحكم

وهو وقوع الضرب فيلزم طلب حصول الحاصل — وهي كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال ولاختصاصها بالتصديق وتخليص المضارع للمستقبل قوى اتصالها بالفعل لفظـا أو تقديرا نحو هل عليّ مجتهد وقد يعدل عن ذلك الاتصال لابراز ما يحصل في معرض الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله نحو هل عليّ مجتهد ولذا كان فهل أنتم شاكرون أدلّ على طلب الشكر من فهل أنتم تشكرون وأفأنتم شاكرون أما الاول فلان ابراز ما سيحصل في معرض الحاصل أدل على كمال العناية بحصوله وأما الثاني فلانّ ترك الفعل مع ما هو أدعى له وهو هل أدلّ على كمال العناية بحصول مدلوله الذى سيتجدد من تركه اى الفعل مع ما هو دونه وهو الهمزة ولذا لا يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ لانه هو الذي يقصد به الدلالة على الثبوت وابراز ما سيحصل في معرض الحاصل — ثم هي على ضربين بسيطة وهي التي يطلب بها فهم وجود الشئ فى نفسه أو عدم وجوده نحو هل الادب موجود أو هل هو غير موجود ومركبة وهى التي يطلب بها فهم وجود شئ لشئ أو عدم وجوده له نحو هل الاجتهاد مستمر أو هل هو غير مستمر ففي الاولى شئ غير الوجود هو الادب او عدمه وفي الثانية شيئآن هما الاجتهاد والاستمرار او عدمهما

وباقى الادوات لطلب التصور فقط — فمن لطلب تعيين ذى العلم نحو من هذا — وما لطلب شرح الاسم اى ايضاحه نحو ما البر فيجاب بلفظ أشهر كالقمح ولطلب ماهية المسمى اى حقيقته التي لا يتحقق الا بها نحو ما الشمس فيجاب بانه كوكب نهاريّ — وتقع هل البسيطة بين ما التي لشرح الاسم والتي لطلب الماهية كما هو مقتضى الترتيب الطبيعى فمن كان يجهل معنى البشر مثلا يسأل أوّلا بما عن شرحه فيجاب

بانسان ثم بهل البسيطة عن وجوده فيجاب بنعم ثم بما عن ما هيته فيجاب بحيوان ناطق

وأىّ لطلب تعيين واحد من المضاف اليه نحو أىّ الرجال عندك وأىّ الحزبين أحصى وأيهم يكفل مريم — وكم لطلب بيان العدد نحو كم لبثتم — وكيف للسؤال عن الحال نحو كيف أنت — ومتى للزمان مطلقا نحو متى نصر الله — وأيان للمستقبل خاصة نحو أيان مرساها وتستعمل في الامور العظام نحو أيان يوم الدين — واين للمكان نحو أين بيتك — وأنّى تكون تارة بمعنى كيف نحو أنى أقبلت ويجب أن يليها الفعل كما هنا وتارة بمعنى من أين نحو أنى لك هذا والجواب فى الجميع بالتعيين

وقد تخرج تلك الادوات الى غير الاستفهام كالاستبطاء نحو كم دعوتك — والتقرير نحو ألم نشرح لك صدرك — والتعجب نحو مالي لا أرى الهدهد ولمجرد الانكار نحو أإله مع الله أو له مع التوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغي وقوعه نحو أتأتون الذكران من العالمين او لا يليق تحققه نحو أتعصى مولاك او له مع التكذيب بمعنى لم يكن او لا يكون نحو أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا اى لم يكن ونحو أنلزمكموها وأنتم لها كارهون اى لا ينبغي ان يكون ـ وللنفي مع التوبيخ نحو وماذا عليهم لو آمنوا بالله — وللتحقير نحو من هذا استخفافا له — وللتنبيه على الضلال نحو فاين تذهبون — وللتهكم نحو أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا — وللاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى — الى غير ذلك

فمتى تجردت ادوات الاستفهام عنه تولد عنها بمعونة القرائن ما يناسب المقام ولا يختص ذلك بالمعانى المذكورة ولا بأداة مخصوصة بل المدار

على تتبع التراكيب وسلامة الذوق — والانشاء كالخبر في كثير من احوال الاسناد والمسند اليه والمسند ومتعلقات الفعل والقصر والله اعلم

تمرين

بين أنواع الانشاء من الآيات والجمل الآتية وهي

— يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون — يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم — سعيا في الخير — لينفق ذو سعة من سعته

ـ اولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ـ اعمل ما بدالك ولا ترجع عن غيك — لا أبالي قعد أم قام — أليس الله بكاف عبده — وهل يجازى الا الكفور — ألم نربك فينا وليدا

ـ * ليت ايام الصبا رواجعا * ـ * أسكان العقيق كفى فراقا *

ـ اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه

ـ يالَبَكر أنشِروا لى كليبا * يالبكر أين أين الفرار

ـ ادخلوها بسلام آمنين — كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا

ـ لاتعتذروا قدكفرتم بعد ايمانكم — ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء — هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ـ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الاسواق

اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

يؤتي بالكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال وقد مر لك بعضه وبقيت منه انواع منها تجاهل العارف كقول فاطمة الخارجية

اياشجر الخابور مالك مُورِقا * كأنك لم تجزع على ابن طَريف

تجاهلت لاظهار شدة التحير والتضجر ومورقا حال من الكاف في لك ونحو

ألمع برق سرى ام ضوء مصباح * ام ابتسامتها بالمنظَر الضاحِي

ومنها التعبير بالخبر في مقام الانشاء مجازا باستعماله فيه وعكسه فالاول للتفاؤل نحو وفقك الله — ولاظهار الحرص على وقوعه نحو قولك في غائب رزقني الله لقاءه — وللاحتراز عن صورة الامر تأدبا نحو رحم الله فلانا — وللتنبيه على سرعة الامتثال نحو واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم في مقام لاتسفكوا مبالغة في النهى حتى كأنهم نهوا فامتثلوا — او لحمل المخاطب على ايجاد الفعل بالطف وجه وابلغه كقولك لمن يعز عليه تكذيبك تأتيني غدا بدل ائتني لانه ان لم يا تك غدا صرت كاذبا بحسب الظاهر لان الظاهر الاخبار والثانى للرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب نحو من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فى مقام يتبوأ

ومنها التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى وعكسه فالاوّل للتنبيه على تحقق وقوعه نحو ونادى أصحاب الجنة ـ والثانى لاستحضار الصورة العجيبة نحو الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا بدل فأثارت

ومنها التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل نحو ان الدين لواقع أو المفعول نحو ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وذلك لان

الوصفين المذكورين حقيقة فى الحال مجاز فيما سواه

ومنها الاضمار فى مقام الاظهار وعكسه فالاول يكون لادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور نحو أقبل وعليه الهيبة والوقار أو لقصد تمكين ما يعقب الضمير فى نفس السامع وذلك فى باب نعم و بئس نحو نعم عالما محمد اذ فى نعم ضمير مبهم عينا وجنسا فيبين الجنس بالتمييز والعين بالمخصوص وفى باب ضمير القصة والشأن نحو هي الدولة استعدّت وهو الحق ظهر ــ والثانى ان كان المظهر اسم اشارة فللاهتمام بالمسند اليه نحو

هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

اذ باختصاص المسند اليه بحكم غريب وهو جعل الاوهام حائرة استحق أن يبرز فى صورة المحسوس فأشير اليه بهذا ــ أو لكمال غباوة المخاطب و بلاهته كقول الفرزدق يهجوا جريرا

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ــ أو لكمال فطانته حتى كأن غير المحسوس عنده بمنزلة المحسوس نحو قوله

تعاللتِ كي أشجَى وما بك علة * تريدين قتلى قد ظفرتِ بذلكِ

أي بقتلى * وان كان علما فلزيادة تمكين المسند اليه فى ذهن السامع نحو الله الصمد * وان كان وصفا فلتربية المهابة أو تقوية أسباب الامتثال نحو أمير المؤمنين يأمرك بكذا بدل أنا ومنه فاذا عزمت فتوكل على الله بدل عليّ لما فى لفظ الجلالة من تقوية الداعى الى التوكل لدلالتـه على ذات متصفة بكمال القـدرة الباهرة ــ أو للاستعطاف كقوله

الهى عبدك العاصى أتاكا * مقرّا بالذنوب وقد دعاكا

فان تغفر فأنت لذاك أهل * وان تطرد فمن يرحم سواكا

لم يقل انا عصيتك لما فى ذكر العبد من اظهار كمال الخضوع المقتضى للشفقة والرحمة

ومنها التغليب كتغليب المذكر على المؤنث نحو وكانت من القانتين وتغليب العاقل على غيره نحو الحمد لله رب العالمين وتغليب الجنس على فرد من جنس آخر نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس فهو وان كان من الجن لكنه أدخل فى عموم الملائكة تغليبا وعلى هذا القول يكون الاستثناء متصلا وتغليب الاكثر على الاقل من جنسه نحو لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ فى ملتنا فشعيب عليه السلام لم يكن على ملتهم وخرج منها حتى يعود اليها لكن جعل كذلك بحكم التغليب وتغليب المعنى على اللفظ نحو بل أنتم قوم تجهلون بتاء الخطاب وظاهره التعبير بياء الغيبة لان الضمير للقوم ولفظه غائب لكنه لكونه عبارة عن المخاطبين بأنتم غلب جانب المعنى على جانب اللفظ وتغليب المتكلم على المخاطب أو الغائب نحو أنا وأنت فعلنا كذا وأنا وزيد ضربنا عمرا والمخاطب على الغائب نحو أنت وزيد فعلتما كذا وكتغليب أحد المتناسبين على الآخر كالابوين والقمرين والعمرين والحسنين للاب والام والشمس والقمر وأبى بكر وعمر والحسن والحسين الى غير ذلك

ومنها الالتفات وهو عند الجمهور نقل الكلام من التكلم أو الخطاب أو الغيبة لغيره منها وأما عند السكاكى فلا يشترط التعبير عنه بالغير فهو عنده أعم منه عند الجمهور فقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك التفات على مذهبه لان مقتضى الظاهر أنا آمرك لا على مذهب الجمهور لعدم تقدم خلافه * فمثاله من التكلم الى الخطاب ومالي لا أعبد الذى

فطرنى واليه ترجعون بدل أرجع ـ والى الغيبة انا أعطيناك الكوثر فصل لربك بدل لنا * ومثاله من الخطاب الى التكلم يا نفس قصرت فما يمنعني من الاجتهاد بدل يمنعك ـ والى الغيبة حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة بدل بكم * ومثاله من الغيبة الى التكلم الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه بدل فساقه ـ والى الخطاب نحو مالك يوم الدين اياك نعبد بدل اياه نعبد والنكتة العامة فيه تنشيط السامع وايقاظه للاستماع لان النفس مجبولة على حب المتجدد فاذا نقل الكلام من أسلوب الى آخر كان أدعى للاقبال عليه ـ وربما اختص كل موضع منها بلطائف ونكت المدار فيها على الذوق كما في الفاتحة فان القارئ انتقل من الحمدلة الى كونه رب العالمين ومنه الى كونه ذا الرحمة الباهرة فى الدنيا والآخرة ومنه الى كونه مالك يوم الدين أي الجزاء وما زال يترقى فى ذكر تلك الصفات شيأ فشيا حتى صح أن يرى نفسه واقفا بين يدي ربه مقبلا عليه متوجها اليه فقال اياك نعبد الخ أي يامن هذه صفاته نخصك بالعبادة ولا نعبد سواك اذ لا يستحق العبادة الا أنت

فائدة

مما هو شبيه بالالتفات وليس منه مسئلتان ذكرها السيوطى فى شرح عقود الجمان ـ الاولى التعبير بالمفرد أو المثنى او الجمع عن آخر منها وهو من انواع المجاز بخلاف الالتفات وبخلاف المسئلة الآتية فانهما حقيقتان * مثال المفرد عن المثني قول الاعشى

فَرَجِّى الخير وانتظرى إيابى * اذا ما القارظ العنَزِيُّ آبا

والاصل القارظان لان المثل لا آتيك او يؤوب القارظان * ومثاله

عن الجمع * وذبيان قد زلت بأقدامها النعل * اي النعال - ومثال المثنى عن المفرد القيا فى جهنم كل كفار اي الق وعن الجمع ثم ارجع البصر كرتين اذ المراد التكثير لا مرتان فقط - ومثال الجمع عن المفرد رب ارجعون اي ارجعني وعن المثنى فقد صغت قلوبكما اي قلباكما

المسئلة الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة الى آخر منها - مثاله من الخطاب لواحد الى الاثنين قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض - والى الجمع يا أيها النبي اذا طلقتم النساء * ومثاله من الاثنين الى الواحد قال فمن ربكما ياموسى ومن الاثنين الى الجمع ان تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة * ومثاله من الجمع الى الواحد وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين — والى الاثنين يامعشر الجنّ والانس ان استطعتم الى قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان — وبالتأمل في هاتين المسئلتين ترى ان الاولى أشبه بالالتفات على مذهب السكاكى اذ هو لا يشترط تقديم غير ما خالف مقتضى الظاهر وان الثانية أشبه به على مذهب الجمهور اذ لابد من سبق التعبير بغير المخالف المذكور

ومنها أسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه او السائل بغير ما يطلبه تنبيها على أنه هو الاولى بالقصد وبالالتفات اليه فالاول يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله كقول القبعثرى للحجاج وقد توعده بقوله لأحملنك على الأدهم مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فقال له الحجاج اردت الحديد فقال القبعثرى لان يكون حديدا خير من ان يكون بليدا أراد الحجاج بالادهم القيد وبالحديد المعدن المخصوص وحملهما القبعثرى على الفرس الادهم الذي ليس بليدا وسبب ذلك ان الحجاج بلغه أنه لما جرى ذكره بين القبعثرى وأصحابه فى

بستان قال اللهم سوّد وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فلما مثل بين يدي الحجاج وسأله عن ذلك قال اردت العنب فقال الحجاج ما تقدم — ومثل ذلك ما وقع لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما توجه لفتح الحيرة أتى اليه من قبل أهلها رجل معمر ذو تجربة ودربة يقال له عبد المسيح فقال له خالد من أين فقال من صلب أبي فقال فيم أنت فقال في ثيابي فقال علام أنت فاجاب على الارض. فقال كم سنك قال اثنتان وثلاثون فقال اسألك عن شيء تجيب بغيره فقال انما أجبت عما سألت و بعد ذلك سأله فاجابه عما سأله

والثاني يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحال السائل نحو قوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج سألوا عن سبب اختلاف شكلها من ابتدائها دقيقة وتكملها تدريجا وعودها الى ما كانت عليه كذلك فاجيبوا بمنافعها من كونها معالم يوقت بها ما يحتاجون اليه من المزارع والمتاجر واوقات عباداتهم كالحج والصوم تنبيها على ان السؤال عن هذا أولى

ومنها القلب وهو جعل أحد اجزاء الكلام مكان الآخر وعكسه لنكتة اما رعاية جانب اللفظ كوقوع المسند اليه نكرة والمسند معرفة كقول القطامي

قفي قبل التفرق يا ضباعا ﴿ ولا يك موقف منك الوداعا

اذ تنكير المبتدا مطلقا مع تعريف الخبر لم يقع في الجملة الخبرية في كلام العرب أي قفي ياضباعة لأودّعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفا ـ واما رعاية جانب المعنى نحو قوله تعالى ثم دنا فتدلى اذ الظاهر ثم تدلى فدنا ونحو أدخلت العمامة في رأسي وعرضت الناقة على الحوض وأصله أدخلت رأسي في العمامة لان الظرف هو العمامة

وعرضت الحوض على الناقة لان العرض يكون على ما له ادراك — والنكتة فيه ان الظاهر أن يحرك المظروف نحو الظرف وان يؤتى بالمعروض لا بالمعروض عليه وههنا بالعكس فقلب الكلام رعاية لكثرة وقوعه فى التراكيب ولانه يورث الكلام ملاحة على رأى السكاكى واما عند الجمهور فلا يقبل هذا النوع الا اذا تضمن اعتبارا لطيفا كقوله

ومهمه مغبرة ارجاؤه * كأنّ لون أرضه سماؤه

أى كأن لون سمائه أرضه ففيه المبالغة بوصف لون السماء بالغبرة والمعنى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه وكقول القطامى من القصيدة التي مطلعها البيت المتقدم وهو قي الخ يصف ناقته بالسمن

فلما أن جَرَى سِمَن عليها * كما طينت بالفَدَن السِّيَاعا

أي كما طينت الفدن وهو القصر بالسياع أى الطين الذى يبسط على الحائط لتسويته اراد بذلك المبالغة في كثرة الشحم فقلب فى الكلام

الفصل والوصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعض بالواو ونحوها مما يفيد التشريك فى الحكم والفصل تركه وكلامنا هنا فى الواو خاصة لانها للربط والجمع المطلق ولان العطف بغيرها لا يقع فيه اشتباه والقصد بالاتيان بالواو فى الوصل الاشارة الى الاجتماع والاعلام به والا لكفى في افادة الربط والجمع مجرد القران فى الذكر — وحيث لا سابق فيقدر معطوف عليه مناسب للمقام نحو اوكلما عاهدوا عهدا يقدّر أكفروا وكلما عاهدوا عهدا لان الهمزة تستدعى فعلا

— وانما يكون الوصل بين متناسبين لا متحدين ولا متباينين

— ويجب الفصل فى ستة مواضع والوصل فى ثلاثة مواضع

مواضع الفصل

الاول أن يكون بين الجملتين تمام الاتحاد وكمال الاتصال بأن تكون الثانية بدلا من الاولى نحو بل قالوا مثل ما قال الاوّلون قالوا أئذا متنا الآية فى بدل الكل ونحو أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بانعام وبنين وجنات وعيون فى بدل البعض ونحو

أقول له ارحَلْ لا تقيمنّ عندنا ✻ والا فكن فى السر والجهر مُسْلما

فى بدل الاشتمال لانّ عدم الاقامة وان غاير الارتحال مفهوما الا أن بينهما ملابسة ـ أو بيانا لها نحو فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم الآية ونحو يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم لم يعطف قال يا آدم على وسوس ولا يذبحون على يسومونكم لكونه بيانا له وانما عطف فى سورة ابراهيم ويذبحون بالواو اشارة الى أنه الغاية فى جنس العذاب فكأنه جنس آخر والنكات لا تتزاحم ـ أو تأكيدا لها لخوف غفلة السامع أو لزيادة التقرير أو لدفع توهم المجاز او الغلط نحو ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين لما كان قوله ذلك الكتاب بسبب ايراد المسند اليه اسم اشارة وايراد المسند معرفا باللام بمكان من الكمال وكان فيه مظنة جزاف أتى بقوله لا ريب فيه مؤكدا بها تأكيدا معنويا ـ ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة محل استبعاد أكد بقوله هدى للمتقين تأكيدا لفظيا حتى كأنه نفس الهداية فمنزلة هدى للمتقين من ذلك الكتاب بمنزلة زيد الثانى من جاء زيد زيد لكونه مقررا لذلك الكتاب مع اتفاقهما فى المعنى ومنزلة لا ريب فيه منه بمنزلة نفسه من جاء زيد نفسه لانه يخالفه معنى

(الموضع الثانى) أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع بدون

ايهام خلاف المراد كما اذا كانت احدى الجملتين خبرا والاخرى انشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط فالاول كقوله

وقال رائدهم أرْسُوا نزاولها * فحَتْفُ كل امرئٍ يجري بمقدار

لم يعطف نزاولها على أرسوا لان أرسوا انشاء لفظا ومعنى ونزاولها خبر كذلك — والثانى نحو سافر فلان سلمه الله فالاولى خبرية لفظا ومعنى والثانية خبرية لفظا انشائية معنى وأما ان اختلفا لفظا فقط فالوصل نحو وقولوا للناس حسنا عطفا على قوله لا تعبدون الا الله لانه بمعنى النهي والعطف بمراعاة المعنى كثير نحو والطير صافّات ويقبضن لانه بمعنى يصففن وكما اذا لم يكن بين الجملتين تناسب فى المعنى او فى السياق وان تناسبا معنى — فالاول نحو زيد كاتب عمرو طويل اذ لا مناسبة بين طول عمرو وكتابة زيد — والثانى نحو ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون لم يعطف ان الذين كفروا على ما قبله مع أن بينهما مناسبة معنى بالتضاد من حيث انه مبين لحال الكفار وسابقه مبين لحال المؤمنين لان بيان حال المؤمنين غير مقصود بل ذكر بطريق الاستتباع لبيان حال الكتاب وليس بين حال الكتاب وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل

(الموضع الثالث) أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع وذلك اذا منع من العطف مانع خارجي كقوله

وتظنّ سلمى أنني أبغي بها * بدلا أَرَاها فى الضلال تهيم

اذ لو عطف أراها على أبغي لتوهم أنه من مظنونات سلمى وليس مرادا وهذا مانع خارجي يمكن دفعه بخلاف المانع فى المنقطعتين فانه ذاتيّ فلا يدفع

(الموضع الرابع) ان يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال وذلك

بأن تكون الثانية فى محل جواب سؤال ناشئ عن الاولى نحو اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام اي فماذا قال لهم فأجيبوا بأنه أجابهم بقوله سلام وتسمى الجملة الثانية مستأنفة والسؤال اما عن سبب عامّ للحكم نحو قوله

قال لى كيف أنت قلت عليل * سَهَر دائم وحُزْن طويل

أى فما سبب علتك وأما عن سبب خاص كقوله تعالى وما أبرئ نفسى إن النفس لأمّارة بالسوء كأنه فى جواب هل النفس أمارة بالسوء * وهذا النوع يحسن فيه التأكيد كما تقدم فى أحوال الاسناد الخبرى لان السائل متردد فى هذا السبب الخاص هل كان سببا فى الحكم أو لم يكن ـ واما لا عن سبب نحو

زعم العواذل أننى فى غَمْرة * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى

كأنه قيل أصدقوا أم كذبوا فقيل صدقوا

(الموضع الخامس) ما اذا توسطت الجملتان بين غاية الانقطاع والاتصال وذلك بأن يكون للاولى حكم ولم يقصد اعطاؤه للثانية كقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم على قالوا لئلا يلزم اختصاص استهزاء الله بهم بحال خلوهم الى شياطينهم والواقع خلافه

(الموضع السادس) ما اذا توسطت الجملتان بين غاية الانقطاع والاتصال ولم يقصد تشريكهما فى اعراب وذلك بأن يكون للاولى محل من الاعراب ولم يقصد اعطاؤه للثانية لئلا يلزم من العطف ما هو غير مقصود كما فى الآية المتقدمة لم يعطف الله يستهزئ بهم على انا معكم ولم يقصد تشريكه له فى كونه مفعولا لقالوا لئلا يلزم أن يكون من مقول المنافقين وليس مرادا فهذه مواضع الفصل

مواضع الوصل

وأما الوصل فى ثلاثة مواضع ـ الاول أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الايهام بأن تكون احداهما خبرية والاخرى انشائية لكن لو ترك الوصل لاوهم خلاف المراد نحو لا وايدك الله فان القصد الدعاء للمخاطب ولو ترك العطف لأوهم أنه دعاء عليه

سأل هرون الرشيد نائبه عن شيء فقال لا وأيد الله الامير فلما سمع الصاحب اسمعيل بن عباد ذلك قال هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح

(الموضع الثانى) أن تكون الجملتان متوسطتين بين الكمالين مع اتحادهما فى المعنى خبرا وانشاء بأن كانتا خبريتين لفظا ومعنى نحو ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم أو خبريتين معنى لا لفظا نحو قولك لآخر من قال لك اضرب الغلام واستحق الملام أي ما قلت لك أن تضرب الغلام وتستحق الملام ـ أو الاولى انشائية صورة والثانية خبرية نحو ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألاّ يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه أي أخذ عليهم ودرسوا ما فيه ـ أو الاولى خبرية والثانية انشائية صورة نحو قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون أي أشهد الله وأشهدكم * أو كانتا انشائيتين لفظا ومعنى نحو كلوا واشربوا ولا تسرفوا ونحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ـ أو كانتا انشائيتين معنى خبريتين لفظا ـ أو الاولى خبرية صورة والثانية انشائية ومثالهما قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا الى وقولوا للناس حسنا فان قدر تحسنون فالجملتان خبريتان لفظا

انشائيتان معنى لان المعنى لا تعبدوا الا الله واحسنوا ليناسب وقولوا للناس حسنا وان قدر احسنوا فالاولى خبرية لفظا والثانية انشائية وكذلك باعتبار عطف قولوا على لا تعبدون تكون الاولى خبرية صورة والثانية انشائية ـ او كانت الاولى انشائية والثانية خبرية صورة كقولك لخادمك اذهب الى فلان وتقول له كذا وكذا

وبالتأمل فيما تقدم تكون الصور ثمانيـة خبريتان لفظا ومعنى أو خبريتان معنى لا لفظا أو الاولى خبرية معنى لا لفظا او بالعكس — او انشائيتان لفظـا ومعنى او معنى لا لفظا او الاولى خبرية صورة والثانية انشائية او بالعكس

(الموضع الثالث) أن يقصد تشريك الثانية للاولى في حكم الاعراب حيث لا مانع منه نحو زيد يعطى ويمنع فهذه مواضع الوصل الثلاثة

ويشترط في الموضعين الأخيرين وجود جهـة بين الجملتين بها يتجاذبان اى امر جامع باعتبار طرفيهما به يتآخذان وذلك الجامع اما عقلى او وهمى او خيالي

(فالجامع العقلى) أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين فى القوة المفكرة كالاتحاد في المسند او المسند اليه او في قيد من قيودهما نحو زيد يصلى ويصوم ويصلى زيد وعمرو وزيد الكاتب شاعر وعمرو الكاتب منجم وزيد كاتب ماهر وعمرو طبيب ماهر ـ وكالتماثل والاشـتراك فيهما او في قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما او بالقيد لا مطلق تماثل فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن الا اذا كان بينهما مناسبة لها نوع اختصاص بهما كصداقة او اخوة او شركة او نحو ذلك — وكالتضايف بينهما بحيث لا يتعقل أحدهما الا بالقياس الى الآخر كالابوة مع البنوة والعلة مع المعلول والعلو والسفل

والأقل والأكثر الى غير ذلك

(والجامع الوهمى) أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكرة كشبه التماثل نحو لوني البياض والصفرة فان الوهم يبرزها فى معرض المثلين من جهة انه يسبق اليه انهما نوع واحد زيد فى أحدها عارض بخلاف العقل فانه يدرك انهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون — وكالتضادّ بالذات وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف يتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض او بالعرض كالاسود والابيض لانهما ليسا ضدين بالذات لعدم تعاقبهما على محل واحد بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض — وكشبه التضاد كالسماء والارض فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وانخفاضا لكن لا يتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض

(والجامع الخياليّ) أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين فى المفكرة بان يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة او عرف عام كالقدوم والمنشار والمثقاب في خيال النجار والقلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب وكالسيف والرمح والدرع في خيال المحارب

وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب كقوله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فالمناسبة بين الابل والسماء و بينها و بين الجبال والارض غير موجودة بحسب الظاهر ولكن لما كان الخطاب مع العرب وليس في مخيلاتهم الا الابل لانها رأس المنافع عندهم والارض لرعيها والسماء لسقيها وهى التي توصلهم الى الجبال التي

هى حصنهم عند ما تفجؤهم حادثة او تلم بهم ملمة أورد الكلام على طبق ما في مخيلاتهم وقد أورد صاحب المفتاح في باب الخيال من الامثلة ما تطمئن له النفوس ويرتاح له البال فقال على لسان جوهري يصف الكلام أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه في سمط ألفاظه فحملته نحور الرواة ـ وقال على لسان صيرفي أحسن الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنه معيار البلاغة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه بهرج ـ وعلى لسان صائغ خير الكلام ما أحميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا في معنى وجيز ـ وعلى لسان جمال يصف بليغا البليغ من أخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم يند عن الاذهان ولم يشذ عن الآذان ـ وعلى لسان حداد أحسن الكلام ما نصبت عليه منفاخ الروية وأشعلت فيه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ودققته (١) بفطيس الاوهام ـ وعلى لسان خمار أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمته دنان الحكمة وصفاه راووق الفهم فتمشت فى المفاصل عذوبته وفى الافكار رقته وفى العقل حدته ـ وعلى لسان بزاز أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طى ـ وعلى لسان كَحَّال كما أن الرمد قذى العين كذلك الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة الى غير ذلك مما أورده لتشحيذ ذهن الطالب وليكون سلما يرتقى منه الى اوج القياس باختراع الامثلة مما يجعله مالكا لزمام باب الفصل والوصل الذى هو اصعب ابواب البلاغة

(١) الفطيس بوزن سكين المطرقة الكبيرة اه قاموس

مأخذا وادقها فهما حتى لقد سئل بعضهم عن البلاغة فقال هي معرفة الفصل والوصل

ومما يزيد الوصل حسنا توافق الجملتين كيفية كأن تكونا اسميتين متفقتين فى كون الخبر اسما او فعلا ماضيا او مضارعا او فعليتين ماضويتين او مضارعيتين الا اذا قصد التجدد فى احداهما والثبات فى الاخرى كقوله تعالى اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين فانه لوحظ فى الاولى احداث تعاطى الحق وفى الثانية الاستمرار على اللعب والثبات على احوال الصبا ــ او قصد الاطلاق فى احداهما والتقييد فى الاخرى نحو قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر فالاولى مطلقة والثانية مقيدة بالانزال اذ الشرط مقيد للجواب كما تقدم ــ أو دعا داع لايراد احداهما ماضوية والاخرى مضارعية كقوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون عبر بالمضارع حكاية للحال الماضية واستحضارا لصورتها الفظيعة أو للدلالة على أنهم الآن يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولولا عصمة الله له لقتلوه

خاتمة

لما كانت الحال تجيء جملة وقد تقترن بالواو وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل ختموا هذا الباب بالكلام عليها ※ وحاصل ذلك أن جملة الحال ان كانت مؤكدة لمضمون جملة نحو هو الحق لا شك فيه امتنعت الواو وان كانت منتقلة فاما أن تكون اسمية تاليـة لعاطف وحينئذ يمتنع اقترانها بالواو نحو فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وإما أن لا تكون تالية له وحينئذ يجب الاقتران بها نحو فلا تجعلوا الله أندادا وأنتم تعلمون وندر حذفها والاكتفاء بالضمير نحو كلمتـه فوه الى فيّ

ويحسن تركها اذا وقعت الجملة الاسمية الحالية بعد حال مفردة كقول ابن الرومي

والله يبقيك لنـا سالما * برداك تبجيل وتعظيم

واما أن تكون فعلية فالمضارع المثبت يمتنع اقترانه بها نحو وجاؤا أباهم عشاء يبكون وأما قمت وأصك وجهـه ونجوت وارهنهم مالكا فعلى اعتبار حذف المبتدا اى وانا اصك وانا أرهن أو صاكا وراهنا وقيل الواو للعطف باعتبار ما بعد الواو فيهما ماضيا معنى اى قمت وصككت ونجوت ورهنت واختاره عبد القاهر والمضارع المنفي يجوز فيه الاقتران وعدمه فمن الاول قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان بتخفيف النون على قراءة ابن ذكوان وقول مالك ابن رفيع حينما طلبـه مصعب بن الزبير ليقتله

بغاني مصعب وبنو ابيه * فأين أحيد عنهم لا أحيد

اقادوا من دمي وتوعدوني * وكنت وما ينهنهني الوعيد

ومن الثاني قوله تعالى ما لنا لا نؤمن بالله وقول خالد بن يزيد بن معاوية

لو أن قوما لارتفاع قبيلة * دخلوا السماء دخلتها لا أُحْـجب

وأما الماضي فيجوز اقترانه بالواو مثبتا كان أو منفيا نحو جاء زيد وقد قام أبوه أو وما قام أبوه مالم يقع بعد إلا أو أو العاطفة والا امتنع الاقتران بها نحو وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ونحو لا ضربنه عاش أو مات وقوله

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا * ولا تشحّ عليه جاد أو بخلا

ــ ومما تقدم يستفاد أن الواو تمتنع مع الجملة الحالية فى عدة مواضع ــ

وتوجيه الاقتران وعدمه أن أصل وضع الحال لافادة حصول معنى حال نسبة العامل الى صاحب الحال فيلزم فيها الحصول والمقارنة مطلقا

مؤكدة أو منتقلة مفردة كانت أو جملة اسمية أو فعلية أو ظرفية مثبتة أو منفية فامتنعت الواو في المفردة بقسميها للاتحاد نحو زيد أبوك عطوفا وأقبل عمرو راكبا وامتنعت في المضارع المثبت لقوة ارتباطه معنى لدلالته على الحصول والمقارنة ولذلك وجب الاقتران في الاسمية التي لم تل العاطف لانتفاء الحصول والمقارنة اذ هي انما تدل على الثبوت . وامتناع الاقتران فيها مع العاطف لاستثقال اجتماع حرفي عطف ولعدم تلك المقارنة في الماضي لدلالته على حصول متقدم جاز الامران الا أنه يحسن ذكر الواو في المثبت مع وجوب اقترانه بقد ملفوظة نحو انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر او مقدرة نحو أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا واذا لم تقترن بالواو قدرت ايضا قد نحو اذ جاءوكم حصرت صدورهم وانما وجب اقترانه بقد تحقيقا او تقديرا لتقربه من حال النسبة ويحسن ترك الواو في المنفي لانه هيأة للفعل عروضا لا بالذات لان قولك جاء زيد ليس راكبا في قوة جاء زيد ماشيا ولانه مستمر غالبا فيغلب مقارنته فبالنظر للحصول والمقارنة تترك وبالنظر لعروض كونه هيأة للعامل وعدم القطع باستمراره تذكر هذا في الماضي لفظا ومعنى ومثله الماضي معنى وهو المضارع المنفي بلم أو لما نحو انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ونحو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ونحو أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ونحو قول الشاعر

فقالت له العينان سمعا وطاعة * وحدرتا كالدر لَمّا يثقب

ويجوز الذكر وعدمه في الظرف والجار والمجرور الذي بعده اسم مرفوع نحو جاء فلان على كتفه رمح وجاء فلان بين يديه نور إن قدر المتعلق فعلا وما بعد الظرف فاعله وان قدر المتعلق اسم فاعل امتنع لان

الحال حينئذ مفردة والمفردة لا تكون بالواو كما سبق وجميع ما تقدم فيما اذا كان صاحب الحال معرفة أما اذا كان نكرة فتجب الواو فرقا بين الوصفية والحالية نحو ما جاء رجل و يسعى أو وسعى أو و يده على رأسه وهكذا ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم والله أعلم

تمرين

بين دواعي الوصل والفصل فيما مر من تمرين الانشاء وفيما يأتي

لم لم يوصل كأنّ في أذنيه وقرا من قوله تعالى « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » ـ لم لم يعطف انْ وما بعدها على ما قبله في الآيات الآتية وهي

ـ ما هذا بشرا انْ هذا الا ملك كريم ـ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ـــ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ـــ وفي قوله

ـ زعم العواذل أن ناقة جندب * بجَنُوب خَبْت عرّيت وأجمت

كذب العواذل لو رأين مناخنا * بالقادسية قلن لج وذلت

ـ زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم إلف وليس لكم إلاف

ـ مَلَّكته حَبْلِي ولكنه * ألقاه من زهد على غاربى

وقال اني في الهوى كاذب * انتقم الله من الكاذب

ـ ولم عطف فيما سيأتي

ـ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيا تهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم

ساء ما يعملون ـ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

الايجاز والاطناب والمساواة

هذه الثلاثة تعدّ من البلاغة ان اقتضاها الحال والا فلا كما سبق (فالمساواة) هي التعبير عن المقصود بعبارة مساوية له بحسب متعارف الاوساط الذين لم ترتق درجتهم الى حدّ البلاغة ولم تنحط بهم الى حدّ العيّ والحَصَر فهي الحد المتوسط الذي ينسب اليه الايجاز والاطناب فما نقص عن هذا الحدّ بدون اخلال فايجاز وما زاد عنه لفائدة فاطناب ومثلوا للمساواة بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وقوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره لأن لفظ الآيتين بقدر معناهما

(والاطناب) أداء المعنى بلفظ زائد عن اصل المراد لفائدة فان لم يكن لفائدة كان تطويلا ان لم يتعين الزائد نحو قوله

(١) وقدَّدت الأديم لراهشَيْه ❊ وألفَى قولها كذبا ومَيْنا

وحشوا ان تعين الزائد سواء كان مفسدا للمعنى اولا فالأول كالندى في قوله

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندَى ❊ وصبر الفتى لولا لقاء شَعُوب

اى لا فضل في الحياة لما ذكر لولا الموت فعدم الفضيلة على تقدير عدم الموت لا يظهر الا في الشجاعة والصبر لتيقن الشجاع حينئذ عدم الهلاك

(١) وقددت من التقديد وهو التقطيع والأديم الجلد والراهشان عرقان في باطني الذراعين منهما يفصد المرء فيموت وألفى أى وجد والضمير فيه لجذيمة الأبرش والضمير في قددت وفي قولها للزباء وقصتهما مشهورة اه منه

وتيقن الصابر زوال المكروه بخلاف الباذل لما له اذا تيقن الخلود وعرف شديد حاجته الى المال دائما فان بذله حينئذ يكون افضل مما اذا تيقن الموت وتخليف المال فقوله والندى حشو مفسد للمعنى * وغاية ما اجيب به عنه ان في الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس و يسهل الم البؤوس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل * والثاني نحو قبله من قوله

واعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عَـمِـى

وكل من التطويل والحشو معيب مخل بالبلاغة دائما بخلاف الايجاز واخويه فقد تخل بها ان لم يقتض الحال وقد لا تخل ان اقتضى الحال كما سبق

ومثال الاطناب الذى هو الزيادة لفائدة قوله تعالى انّ فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون بدل أن يقال ان فى وقوع كل ممكن لآيات للعقلاء فانه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة لتكون دليلا على القدرة الباهرة وقوله تعالى رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا بدل شِخْت لانه لما كان فى مقام الشكاية وطلب استنزال الرأفة والرحمة ناسب ذكر ما يستوجب الشفقة و يستلزم الاحسان اليه

(والايجاز) هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف وافٍ بالمراد والا كان اخلالا وهو قسمان ايجاز قصر وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى بلا حذف نحو ولكم فى القصاص حياة فان معناه كثير

ولفظه يسير اذ معناه ان الانسان متى علم أنه ان قتل يقتل امتنع عن القتل فكان فى ذلك حياته وحياة غيره وهذا أوجز مما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بل هو أفضل منه من وجوه فيفضله بقلة حروف مقابله منه أعنى فى القصاص حياة دون لكم و بتعظيم الحياة بالتنكير و بالنص على المطلوب وهوالحياة فان كل قصاص حياة وليس كل قتل أنفى للقتل و بعدم التكرار فى الآية الشريفة دون قولهم و بغير ذلك من المزايا ونحو قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فانه ثلاث كلمات اشتملت على واجبات الرسالة ونحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فانه قد جمع مكارم الاخلاق ونحو قول الزمخشرى استند أو استفد فانه قد جمع من نفائس النصائح وكمال الادب ما يغنيك عن مطالعة كتاب حافل فى هذا المعنى

وايجاز حذف بان يحذف من التركيب ما لا يخل بالفهم مفردا مضافا كان نحو واسئل القرية أي أهلها أو مضافا اليه نحو يا رب أي يا ربى أو صفة نحو يأخذ كل سفينة غصبا أي صالحة بدليل فأردت أن أعيبها أو موصوفا نحو أن اعمل سابغات أي دروعا ونحو

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أي أنا ابن رجل جلا ـ أو جملة نحو أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق ـ أو جملا نحو فأرسلون يوسف أيها الصدّيق أي فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف ـ أو شرطا نحو أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي أي ان أرادوا أولياء فالله هو الولي ـ او جواب شرط والحذف فيه للاختصار نحو واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الآية والمحذوف اعرضوا بدليل وما تأتيهم من آية من آيات

ربهم الا كانوا عنها معرضين او للتعريض بانه شيء لايحيط به الوصف او ذهاب السامع كل مذهب ممكن نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم اي لرأيت امرا فظيعا ـ او جواب قسم نحو والفجر وليال عشر الآية أي لتعذبُنَّ يا كفار مكة ـ او حرف عطف مع المعطوف نحو لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي ومن انفق من بعده وقاتل

ثم المحذوف قد يدل عليه دليل كأن يقام شيء مقامه نحو وان يكذبوك فقد كذبت رسل اي فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل ولا يصح ان يكون الجواب فقد كذبت رسل لعدم ترتبه على الشرط لان تكذيبهم للرسل سابق على تكذيبهم له * وقد يدل العقل على المحذوف ويدل المقصود الاظهر على تعيينه نحو حرّمت عليكم الميتة اي اكلها لأن الحكم لا يتعلق الا بالفعل لا بالذات ودل المقصود الأظهر على تعيين المحذوف اذ المقصود الاظهر من هذه الاشياء الاكل وقد يدل العقل على المحذوف وعلى تعيينه كما فى قوله تعالى وجاء ربك اي امره وقد يدل عليه بالشروع نحو بسم الله الرحمن الرحيم فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له كأتوضأ اوآكل او نحو ذلك ـ او بالاقتران كما يقال للمتزوج بالرفاء والبنين اي اعرست الى غير ذلك

ومن الاطناب ذكر الخاص بعد العام لمزية نحو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى او عكسه نحو وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

ومنه الايغال وهو ختم الكلام بنكتة يتم المعنى بدونها كزيادة الحث وتحقيق التشبيه فالاول نحو قوله تعالى يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون فقوله وهم مهتدون فيه

زيادة الحث على الاتباع والا فالرسول مهتد والثانى نحو قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ※ كأنه علم في رأسه نار

فقولها فى رأسه نار ورد بعد تمام التشبيه لتحقيق معناه

ومنه الايضاح بعد الابهام ويكون لايراد المعنى الواحد فى صورتين مختلفتين ليتقرر فى نفس السامع نحو رب اشرح لي صدري فان اشرح يفيد طلب شرح لشيء مّا وصدرى موضح له ليتمكن فى ذهن السامع اشد تمكن — او لتفخيم شأن المبين وتعظيمه نحو واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت بدل قواعد البيت

ومنه التوشيع وهو ان يؤتى فى آخر الكلام بمثنى ويفسر بمفردين نحو يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ونحو عليكم بالشفاءين العسل والقرآن

ومنه الاعتراض وهو ذكر كلام بين كلامين متناسبين لنكتة كالتنزيه والدعاء نحو ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ونحو

إنّ الثمانين وبلغتها ※ قد احوجت سمعى الى تَرْجُمان

وقد يكون الاعتراض بجملة كما تقدم وبأكثر نحو قوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فقوله تعالى ان الله يحب الخ اعتراض بأكثر من جملة وكذا قوله تعالى انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم ※ وبعضهم لم يشترط وقوعه بين كلامين متناسبين فجوز وقوعه فى الآخر مطلقا سواء وليه ماله ارتباط بما قبله أو لا نحو فلان ينطق بالحق والحق أبلج وعليه فيكون عنده يشمل التذييل الآتى

ومنه التكميل ويسمى الاحتراس وهو أن يؤتى بما يدفع توهم

خلاف المراد نحو اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالذلة يوهم ان يكون ذلك سببه الذلة والضعف فقوله تعالى اعزة على الكافرين دفع لذلك التوهم اشعارا بان ذلك من المؤمنين تواضع ونحو

فسقَى ديارَك غير مفسدها * صوبُ الربيع ودِيمةٌ تهْمِي

فقوله غير مفسدها احترس به عما ينشأ من دوام المطر

ومنه التتميم وهو الاتيان بفضلة لنكتة دون دفع توهم خلاف المراد كليلا من قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فذكره مع ان الاسراء مغن عنه لانه لا يكون الا ليلا للدلالة على تقليل المدة اي فى جزء قليل من الليل

ومنه التذييل وهو ان يؤتى بجملة كالتأكيد للاولى وهو ضربان ضرب خرج مخرج المثل وضرب لم يخرّج مخرجه *مثالهما قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت فقوله أفائن مت فهم الخالدون تذييل لم يخرج مخرج المثل وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت تذييل لذلك التذييل وهو خارج مخرج المثل — ثم هو قد يكون لتأكيد المفهوم كقوله

ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلُمُّه * على شَعث اي الرجال المهذب

فان صدر البيت دلّ بمفهومه على نفي الكامل فى الرجال واكده بقوله ايّ الرجال المهذب — وقد يكون لتأكيد المنطوق نحو وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

ومنه التكرير لنكتة كتأكيد الانذار فى نحو كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون فان فى التكرير تأكيدا للردع والانذار اي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ اذا شاهدتم هول المحشر — او الارشاد الى الطريقة المثلى نحو اوْلَى لك فأولى ثم اولى لك فأولى

ـ او لطول الفصل كما فى قوله

وإنّ امرأ دامت مواثيق عهده * على مثل هذا انه لكريم

ـ او لزيادة الترغيب فى العفو كما فى قوله تعالى انّ من ازواجكم واولادكم عدوّا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم والشاهد فى تكرير انّ فى كل من الموضعين ـ او للتنبيه نحو وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ـ او للتحسر نحو قوله

فيا قبر مَعْنٍ أنت أوّل حفرة * من الارض خُطَّت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعا

(ثم اعلم) أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار الكثرة والقلة فى الحروف بالنسبة الى كلام آخر مساو له فى أصل معناه فيقال للاكثر حروفا انه مطنب وللاقل انه موجز نحو قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون مع قول الحماسى

وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

أي نحن نغير ما نريد من قول الغير ولا يجسُر أحد على الاعتراض علينا فالآية ايجاز بالنسبة الى البيت لان الآية شملت كل فعل وقول والبيت خاص بالقول مع قلة حروف الآية وكثرة حروف البيت فكلام الله سبحانه وتعالى أجلّ وأكمل

الفن الثانى البيان

البيان علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه كان تخبر عن جود انسان بقولك فلان كالبحر فى الامداد

أو رأيت بحرا عم انعامه الأنام أو قذفت أمواجه بالدر أو فلان كثير الرماد أو جبان الكلب أو مهزول الفصيل وبتقييد الاختلاف بالوضوح تخرج الالفاظ المترادفة التى هي طرق مختلفة لايراد المعنى الواحد لكن لا فى الوضوح والخفاء بل فى اللفظ والعبارة فليست من موضوع هذا العلم*والمراد بالمعنى الواحد كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم وارادته فاللام فيه للاستغراق العرفى فلو عرف المتكلم ايراد معنى واحد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عارفا بالبيان والمراد بالطرق التراكيب

والدلالة هي فهم أمر من أمر فالامر الاول المدلول والثانى الدال وهي اما غير لفظية ولا علقة لنا بها واما لفظية وهى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى عند الاطلاق بالنسبة الى العالم بوضعه وتنقسم الى ثلاثة اقسام مطابقية وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الانسان على الحيوان الناطق لمطابقة اللفظ للمعنى ـ وتضمنية وهي دلالة اللفظ على جزء معناه اى من حيث كونه جزأً للمعنى الموضوع له كدلالة الانسان على الحيوان او الناطق والتزامية وهي دلالة اللفظ على لازم معناه الذهنى وهو أمر خارج عن المعنى الموضوع له ولازم له ذهنا بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له فى الذهن حصوله فيه أيضا فورا أو بعد التامل فى القرائن ولو كان اللزوم عرفيا كدلالة حاتم على الجود مثلا والاسد على الشجاعة ولا يشترط اللزوم الخارجى ليدخل مثل العمى فانه يدل على البصر التزاما لانه عدم البصر عما من شأنه ان يكون بصيرا مع التنافى بينهما فى الخارج * والدلالة الاولى عند البيانيين تسمى وضعية والثانية والثالثة تسميان عقليتين وعند المنطقيين الكل وضعية لان للوضع مدخلا فيها والعقلية عندهم ما تقابل الوضعية

والطبيعية كدلالة الدخان على النار مثلا * وموضوع هذا العلم الكلام العربى من حيث التفاوت فى وضوح الدلالة العقلية وذلك لانها هي القابلة للوضوح والخفاء حسب اختلاف مراتب لزوم الجزء للكل ومراتب لزوم اللازم لملزومه قربا و بعدا بخلاف الوضعية فان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها اوضح عنده من بعض وان لم يكن عالما بذلك لم يكن كل واحد منها دالا عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع

(واعلم) ان اللفظ ان استعمل فيما وضع له أوّلا فحقيقة فان كان التخاطب بين اهل اللغة فحقيقة لغوية كالاسد للحيوان المفترس اَو بين ارباب العرف العامّ فعرفية عامّة كالدابة لذات الاربع أو بين ارباب الشرع فشرعية كالصلاة فى الاقوال والافعال أو بين ارباب العرف الخاص فعرفية خاصة واصطلاحية كالرفع للحركة المخصوصة المجلوبة بالعامل فى نحو جاء زيد فخرج بالاستعمال اللفظ قبل استعماله فانه لا يوصف لا بحقيقة ولا بمجاز وبالوضع الغلط نحو خذ هذا الدرهم مشيرا الى كتاب مثلا ويقابل الحقيقة المتقدمة باقسامها الحقيقة العقلية وهي اسناد الفعل او ما فى معناه الى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله كقول المؤمن انبت الله البقل وقد تقدّمت هي والمجاز العقلى بأقسامهما فى احوال الاسناد الخبرى فى علم المعانى اذ بهما تحصل المطابقة لمقتضى الحال و بعضهم ذكرها فى البيان لانهما من انواع الدلالة ولكل وجهة ـ وان استعمل اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة فان منعت القرينة من ارادة المعنى الاصلى فمجاز لغوي استعارة ان كانت العلاقة المشابهة والا فمجاز مرسل ـ وان لم تمنع القرينة فكناية ثم المجاز منه الاستعارة وهي مبنية على التشبيه فانحصر

مقصود هذا العلم فى التشبيه والمجاز والكناية

التشبيه

التشبيه هو الحاق أمر بأمر فى معنى مشترك بالكاف ونحوها واختلف فيه فقيل انه حقيقة لان كلا من اركانه مستعمل فيما وضع له وقيل انه مجاز لان القائل زيد كالبدر لم يرد المعنى الوضعى بل أراد انه فى غاية الحسن ونهاية اللطافة ولما كان المجاز بالاستعارة مبناه على التشبيه كما سبق لما فيه من الاعتبارات اللطيفة وجب تقديمه

وأركانه أربعة مشبه ومشبه به ويقال لهما طرفان وأداة تشبيه ووجه شبه نحو العلم كالنور في الهداية فالعلم مشبه والنور مشبه به والكاف أداة التشبيه والهداية وجه الشبه — ونحو الكاف مثل وشبه وكأنّ وكل ما يؤدى معنى التشبيه كالمضاهاة والمحاكاة والمشابهة والمماثلة والاصل في كأنّ وشابه وماثل وما يرادفها أن يليها المشبه وفي الكاف ومثل وشبه أن يليها المشبه به وقد يليها غير المشبه به اذا كان التشبيه مركبا نحو قوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح فان المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة رُوَائها في المبدإ وذهاب حسنها وتلاشى رونقها شيأ فشيأ في الغاية بحال النبات الذي يحصل من الماء فتزهو خضرته ثم ييبس شيأ فشيأ ثم يتحطم فتطيره الرياح فيصير كأن لم يكن شيأ مذكورا

(ثم الغرض منه) أوّلا بيان حال المشبه كتشبيه ثوب بآخر فى البياض وثانيا مقدار حاله كما في تشبيه غير الثلج بالثلج في شدة البرودة وثالثا تقرير حاله فى نفس السامع كتشبيه من سعيه في ضلال بمن يكتب على الماء ورابعا تحسينه أو تقبيحه عند السامع فالاول كما في تشبيه

وجه أسود بعقلة الظبي ومنه قول الفرزدق في مدح الشيب

تفاريق شَيْب في الشباب لوامع * وما حُسْن ليل ليس فيه نجوم

أراد بتفاريق الشيب كون بعض الشعر أبيض و بعضه أسود والثاني نحو

واذا أشار محدّثا فكأنه * قرد يُقَهْقِه أو عجوز تلطم

وخامسا بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود نحو

فان تَفُقِ الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

أي انه لا استغراب في فوقانك للانام مع أنك واحد منهم لان لك نظيرا وهو المسك لانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا وبهذا التشبيه زال الاستبعاد وسادسا استطرافه بالمهملة أي عده طريفا حديثا كما فى تشبيه جمر متقد ببحر من المسك موجه الذهب وكقوله

ولا زَوَرديَّة تزهو بزرقتها * بين الرياض على حُمْر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضَعُفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

وجه استطراف الاول ابرازه في صورة الممتنع عادة والثاني ندرة حضور صورة الكبريت المذكورة في الذهن عند حضور صورة البنفسج المذكورة * وفائدة التشبيه فيما مر كله عائدة على المشبه وقد تعود على المشبه به لايهام أن المشبه أتم من المشبه به في وجه الشبه كما في التشبيه المقلوب فى نحو

وبدا الصباح كأنّ غُرَّته * وجه الخليفة حين يمتدح

وكقوله تعالى حكاية عن الكفار انما البيع مثل الربا في مقام انما الربا مثل البيع عكسوا لايهام أن الربا عندهم أحل من البيع لان القصد منه الربح وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع فيكون أحق بالحل و يكون التشبيه لبيان الاهتمام بالمشبه كما في تشبيه الجائع وجه حبيبه

في الاستدارة والحسن بالرغيف و يسمى اظهار المطلوب ثم محل ماتقدم من التشبيه اذا أريد الحاق ناقص بكامل في وجه الشبه وأما عند تساوي الامرين فيه ولو ادّعاء فالاحسن العدول الى المشابهة نحو

رَقَّ الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قَدَح * وكأنما قدح ولا خمر

حكم أولا بالتشابه كما هو الأحسن ثم شبه كلامنهما بالآخر وهو لا يخرج عن الحكم بالتشابه * ثم اذا كان الغرض من التشبيه نفس المحاكاة بين الشيئين فلا يكفي فيه مجرد الادعاء بل يجب لحصول هذا الغرض أن يتحقق وجه الشبه في الطرفين بحسب الواقع كقوله

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يُغَطِّيها
زِنْجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

تقسيمات التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه الى حسيين وعقليين ومختلفين — والى مفردين ومركبين ومختلفين — والى ملفوف ومفروق — والى تسوية وجمع — فالطرفان الحسيان مايدركان او مادتهما باحدى الحواس الخمس الظاهرة فالاول نحو زيد كالبدر وهذا الورق كالحرير وعَرّف هند كالمسك وصوت دعد كالرعد وطعم التفاح كالعسل — والثاني هو المعدوم الذي فرض مجتمعا من عدة أمور كل واحد منهما يدرك بالحس ويسمى بالخيالى كقوله

وكأن محمرّ الشقيـ * ـق اذا تصوّب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

فان كلا من الاعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس على انفراده

لكن المركب الذي مادته هذه الامور ليس بمحسوس لانه غير موجود والحس خاص بالموجودات ومنه أيضا قوله

خـود كأن بنانهـا * في خضرة النقش المزرَّد
سمك من البِـلَّوْر في * شَبَكٍ تكوّن من زبرجد

أى ان أصابعها المعبر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدى أى المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس والمركب غير موجود — والطرفان العقليان ما يدركان بالعقل نحو العلم كالحياة والجهل كالممات — والمختلفان نحو له خلق كالعطر وكلامه كالخلق الحسن — ويلحق الوهمى بالعقلى وهو ما اخترعه الوهم من عند نفسه باستعمال المخيلة من غير أن يركبه من محسوسات كقوله

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زُرْق كأنياب أغوال

فان أنياب الاغوال مما لا تدرك بالحس لعدم وجودها ولو أدركت لم تدرك الا بحس البصر * ومثل الوهميات الوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما في الحاقها بالعقلى

ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب فيشبه أحد الضدين بالآخر على جهة التمليح والظرافة أو التهكم والاستهزاء كما فى تشبيه رجل بخيل بحاتم أو ألكن بقس فالمثالان المذكوران صالحان لهمـا والفرق بينهما بحسب المقام والقرائن فان كان الغرض مجرد الملاحة بدون قصد استهزاء وسخرية فتمليح والا فتهكم

(والطرفان المفردان) نحو زيد كالبدر وهما اما مطلقان كما مثـل واما مقيدان بوصف أو باضافة أو ظرف أو حال أو نحو ذلك كقوله

فكم معنى بديع تحت لفظ * هناك تزاوجٌ كل ازدواج

كراح فى زجاج أو كَرُوح * سرت فى جسم معتدل المزاج

أو المشبه مطلق والمشبه به مقيد كقوله * والشمس كالمرآة فى كف الأشل * أو عكسه كتشبيه المرآة فى كف الأشل بالشمس بجامع الهيئاة الحاصلة من الاستدارة مع سرعة الحركة المتصلة والاشراق المتعرّج

(والمركبان) كقوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تَهَاوى كواكبه

شبهت هيأة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة فى وسط الغبار بهياة كواكب تتساقط فى ليل مظلم ووجه الشبه أن كلا له هيأة حاصلة من تساقط أجرام لَمَّاعة مستطيلة في وسط شئ مظلم وكقوله

البدر منتقب بغيم أبيض * هو فيه بين تفجر وتبلج

كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوّج

أي ان البدر فى حال استتاره بالسحاب الرقيق الأبيض وظهوره منه كوجه البكر الحسناء عند ما تنظر فى المرآة كمال حسنها وجمالها وتتنفس متحسرة على ضياع شبابها من غير زوج فيقع كالف تنفسها على صفحة المرآة فيستر حسن وجهها و رواء منظرها ثم يزول شيأ فشيا

(والمركب أحدهما) كقوله

وكأنّ محمرّ الشقيـ * ـق اذا تصوّب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

فالمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب وهو الهيأة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤس أجرام خضر مستطيلة — والعكس وهو تشبيه المركب بالمفرد كتشبيه النهار الذى لم يستر شمسه غيم وقد خالط النبات الشديد الخضرة حتى نقصت من ضوء شمسه فصار

يَضْرب الى السواد بالليل المقمر فى قوله

يا صاحبيّ تقصَّيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمسا قد شابَهُ * زهر الربَى فكأنما هو مقمر

أى قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر فالمشبه الهيأة المنتزعة من النهار المذكور الحاصلة من تلك الامور العديدة والمشبه به الليل المقيد بكونه مقمرا

(والتشبيه الملفوف) ما أتى فيه بالمشبهات أوّلا على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبهات بها كذلك كقوله

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحَشَفُ البالى

(والمفروق) ما أتى فيه بمشبه فمشبه به ثم آخر فآخر وهكذا نحو

النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الأكف عَنَم

(وتشبيه التسوية) هو ما تعدد فيه المشبه دون المشبه به سمى بذلك للتسوية فيه بين مشبهاته كقوله

صدغ الحبيب وحالى * كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء * وأدمعى كاللآلى

(وتشبيه الجمع) عكس سابقه وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه سمى بذلك للجمع فيه بين مشبهات بها كقول البحترى

بات نديما لىَ حتى الصباح * أغيدُ مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضد أو بَرَد أو اقاح

شبه ثغره المفهوم من يبسم بثلاثة اشياء اللؤلؤ وهو الجوهر المعلوم والبرد وهو حب الغمام والاقاح جمع أقحوان بضم الهمزة وهو زهر نبت طيب الرائحة حوله ورق ابيض ووسطه أصفر

الوجه

وجه الشبه هو عبارة عن المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه وهو اما حقيقى وهو ظاهر او تخييليّ وهو ما لا يوجد الا على سبيل التخيل كتشبيه النجوم بين الظلمات بالسنن بين البدع فى ان كلا هيأة حاصلة من اشياء مشرقة بيض فى جانب شيء مظلم اسود من قوله

وكأن النجوم بين دُجَاها ❊ سنن لاح بينهن ابتداع

(وينقسم الوجه) الى غير خارج عن حقيقة الطرفين وذلك كما فى تشبيه ثوب بآخر فى جنسهما او نوعهما او فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذاك فى كونهما كتانا او قطنا ــ والى خارج عن حقيقتهما ولا بد ان يكون صفة قائمة بهما ضرورة اشتراكهما فيها وتنقسم تلك الصفة الى حقيقية واضافية فالحقيقية هي الهيأة المتمكنة فى الذات والمتقررة فيها بحيث تستقل الذات بالاتصاف بها لكونها ليست معنى متعلقا بشيئين وتنقسم الى حسية وعقلية فالحسية ما كان ادراكها بالحواس الخمس الظاهرة كما سبق مثل الأشكال والمقادير والحركات والقبح والحسن المدركة بالبصر وكالاصوات المدركة بالسمع وكالطعوم المتنوعة الطعم المدركة بالذوق وكالروائح المدركة بالشم وكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة واللين والصلابة والملاسة المدركة باللمس والمراد بالحسى هنا ما تحس افراده كما يؤخذ من الامثلة ومن مقابلته بالعقلى والعقلية من الصفة الحقيقية هي ما لا تحس افراده بل تدرك بالعقل ويكون لها فى الخارج تحقق كالكيفيات النفسانية من ذكاء وغضب وعلم وحلم وكرم وشجاعة

والاضافية هي ما لا تكون هيأة متقررة فى الذات بل تكون معنى

متعلقا بشيئين كازالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس فان الازالة المذكورة ليست هيأة متقررة فى ذات الحجة والشمس ولا فى ذات الحجاب اذ ليس لها وجود فى الخارج بل هي امر اعتبارى يعتبره العقل ويتصف به الموصوف فى نفس الامر

(وينقسم) ايضا الى واحد ـ والى ما هو بمنزلة الواحد بأن يكون مركبا من متعدد تركيبا حقيقيا بأن يكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة او اعتباريا بأن يكون هيأة انتزعها العقل من عدّة أمور ـ والى متعدد بأن يقصد اشتراك الطرفين فى عدة امور كل منها وجه شبه على حدته لا على معنى جعل الهيأة الانتزاعية وجه شبه كما هو فى المركب المنزل منزلة الواحد * وكل من الثلاثة ينقسم الى حسى وعقلى ويزيد الثالث بكونه مختلفا أي بعضه حسى و بعضه عقلى ـ فالاول وهو الواحد اما حسى ولا يكون طرفاه الا حسيين اذ كون الوجه حسيا يستلزم كون الطرفين حسيين كتشبيه الورق باللبن فى البياض واما عقلى وطرفاه اما عقليان كتشبيه وجود عديم النفع بعدمه فى الخلو من الفائدة اذ كل من الطرفين ووجه الشبه أمر عقلى واما حسيان كتشبيه الرجل بالاسد فى الجراءة فان الوجه عقلى والطرفين حسيان واما المشبه عقلى والمشبه به حسى كتشبيه العلم بالنور فى الهداية فان كلا من الوجه وهو الهداية والمشبه وهو العلم عقلى والمشبه به وهو النور حسى واما المشبه حسى والمشبه به عقلى كتشبيه العطر بخلق الكريم فى ارتياح النفس وطيبها به

والثانى وهو ما فى حكم الواحد اما حسى كتشبيه سقط النار بعين الديك فى الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروى والمقدار المخصوص وكتشبيه الثريا بعنقود العنب فى الهيأة الحاصلة من تقارن

الصور البيض المستديرة الصغار فى رأى العين على كيفية ومقدار معينين فى قول الشاعر

وقد لاح فى الصبح الثريَّا كما ترى * كعنقود مُـلاَّحيَّـة حين نورا

وكتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل فى الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع تموج الاشراق وسرعة الحركة المتصلة حتى يرى كأن الشعاع يهم بالانبساط ثم يبدو له الرجوع الى الانقباض ـ واما عقلى كتشبيه ذات الجمال الرديئة الاصل بخضراء الدمن بجامع حسن المنظر مع سوء المخبر

والثالث وهو المتعدد اما حسى كتشبيه فاكهة بأخرى فى اللون والطعم والرائحة فالوجه فيه اوصاف حسية قصد جعل كلٍّ وجهَ شبه على حدته ـ واما عقلى كتشبيه طائر بالغراب فى حدّة النظر وشدّة الحذر واخفاء السفاد فالوجه فيه أوصاف عقلية قصد جعل كل واحد منها وجه شبه على حدته ـ واما مختلف بأن يكون وجه الشبه المتعدد بعضه حسي و بعضه عقلى كتشبيه انسان بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن فوجه الشبه فيـه وصفان قصد جعل كل واحد منهما وجه شبه بانفراده واولهما حسى وثانيهما عقلى

تقسيم التشبيه باعتبار الوجه

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا الى تمثيل وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد كما تقدم فى قوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكقوله تعالي مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فالوجه فى الآية أمر عقلى منتزع من متعدد وهو حرمان

الانتفاع بالمحمول الذى هو وعاء العلم مع تحمل التعب فى استصحابه وشرط السكاكى كونه أمرا عقليا كما ذكر فى الآية ـ والى غير تمثيل وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة

وينقسم ايضا باعتبار الوجه الى مجمل والى مفصل فالمجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه سواء كان الوجه ظاهرا يفهمه كل أحد نحو زيد كالأسد او خفيا لا يدركه الا الخواص كقول فاطمة الانمارية وقد سئلت عن بنيها أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها أي هم متناسبون فى الشرف كما ان الحلقة متناسبة الاجزاء فى الصورة فيمتنع تعيين احدهم فاضلا والآخر مفضولا كما انه يمتنع تعيين بعض الحلقة طرفا و بعضها وسطا لكونها مفرغة منضمة الجوانب كالدائرة ☼ ومن المجمل ما لم يذكر فيه وصف أحد الطرفين نحو زيد كالأسد ومنه ما يذكر فيه وصف المشبه به وحده كقولها هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ومنه ما يذكر فيه وصف المشبه والمشبه به جميعا كقوله

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ☼ عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك رَيّقُه ☼ وان ترحلت عنه لَجَّ فى الطلب

فقد وصف المشبه وهو الممدوح بأن مواهبه فائضة عليه أعرض عنه أم لم يعرض ووصف المشبه به وهو الغيث بأنه يصيبك جئته او ترحلت عنه والوصفان مشعران بوجه الشبه أعنى الافاضة فى كل حال

والمفصل هو ما ذكر وجهه كقوله

وثغره فى صفاء ☼ وأدمعى كاللآلى

☼ وقد يتسامح بذكر لازم الوجه مكانه كقولهم للكلام الفصيح هو

كالعسل فى الحلاوة فليست الحلاوة هنا وجه الشبه وانما هو ما يلزمها من ميل الطبع

(وينقسم) ايضا باعتبار الوجه الى قريب مبتذل و بعيد غريب فالقريب المبتذل هو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه الى المشبه به من غير احتياج الى شدة نظر وتامل لظهور وجهه اما لوحدته نحو زنجى كالقار أو تجانس طرفيه نحو عنبة كإجّاصة فى اللون والشكل والمقدار فوجه الشبه فيه مركب ولكن سهل الانتقال من المشبه الى المشبه به تجانس الطرفين او لكثرة حضور المشبه به كالبدر والورد ونحو ذلك

والبعيد الغريب ما احتاج فى الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودقة نظر لخفاء وجهه بكثرة التفصيل نحو * والشمس كالمرآة فى كف الا شل * أو بندرة حضور المشبه به عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت والمراد بالتفصيل فى وجه الشبه اعتبار وجود الاوصاف أو عدمها أو وجود البعض وعدم البعض وعلى كل من الثلاثة اما ان يكون فى امر واحد او اكثر * وأحسن الجميع قبولا اعتبار وجود البعض وعدم البعض الآخر كقوله

حملت ردينيا كأن سنانه * سنا لهب لم يتصل بدُخَان

فانه اعتبر فى اللهب الشكل واللون واللمعان ولم يعتبر الاتصال بدخان * ويلى هذا أن يعتبر جميعها كتشبيه الثريا بعنقود ملاحية فى قوله

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى * كعنقود ملاحيــة حين نورا

بجامع الهيأة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار فى رأى العين على كيفية معينة ومقدار مخصوص والملاحية بضم الميم وتشديد اللام او تخفيفها عنب أبيض فى حبه طول وتخفيف اللام أكثر ونوّر تفتح نَوْره واكثر التشبيه البليغ ـ وهو ما حذفت فيه

الاداة ووجه الشبه ـ من قسم البعيد الغريب*ومنه وان لم يكن بليغا قوله

ونارنجها بين الغصون كأنها * شموس عقيق فى سماء زبرجد

هذا وكلما كان أدق كان أرق وانظر الى قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الاية فانها جمعت من كمال الدقة وتمام الرقة فى التشبيه ما يبهر العقول ـ وقد يقترن بالقريب المبتذل ما يخرجه عن الابتذال ويقربه الى البعد والغرابة كقوله

لم تلقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارنا * الا بوجه ليس فيه حياء

فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل لكن ذكر الحياء وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه الى الغرابة أي لم تعارضه فى الحسن والبهاء الا بوجه ليس فيه حياء ـ ومثل هذا التشبيه يسمى بالتشبيه المشروط لتقييد المشبه أو المشبه به أو كليهما بشرط نحو قوله

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول

تقسيم التشبيه باعتبار الاداة

ينقسم التشبيه باعتبار الاداة الى مؤكد ومرسل فالمؤكد ما حذفت فيه الاداة لفظا سواء كانت مقدرة في نظم الكلام نحو قوله تعالى وهى تمرّ مرّ السحاب وكقول الشاعر

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذَهبُ الاصيل على لُجَين الماء

أو لم تكن مقدّرة في نظم الكلام بل جعل المشبه به محمولا على المشبه مبالغة نحو زيد أسد على معنى زيد كالاسد وجه المبالغة فيه أنه يشبه الاستعارة من حيث الظاهر وليس باستعارة عند الجمهور اذ هو على تقدير الاداة فالتشبيه ملحوظ والاستعارة مبنية على تناسى التشبيه ـ

والمرسل ما ذكرت أداته لفظا فصار مرسلا من التاكيد المستفاد من حذف الاداة

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى مقبول والى مردود فالمقبول هو ما وفى بالاغراض السابقة بان يكون المشبه به اعرف شئ بوجه الشبه في بيان الحال أو يكون أتم في الحاق الناقص بالكامل أو يكون في بيان الامكان مسلم الحكم ومعروفا عند المخاطب * والمردود ما لم يوف بالغرض كأن يكون قاصرا عن افادته بان لايكون على شرط المقبول السابق — هذا وبقية ما يتعلق بالغرض من التشبيه تقدم الكلام عليه فى أول الباب

تذييل

اعلم أن التشبيه يتفاوت في المبالغة قوة وضعفا باعتبار ذكر الاركان وتركها فالمشبه به دائما يكون مذكورا والمشبه اما أن يحذف واما أن يذكر وعلى كل فوجه الشبه اما مذكور أو محذوف وعلى كل فالأداة اما مذكورة أو محذوفة فالصور ثمانية أعلاها ما حذف فيه الوجه والاداة سواء حذف المشبه نحو أسد في مقام الاخبار عن زيد أو لم يحذف نحو زيد أسد ـ ويلى ما ذكر حذف الوجه أو الاداة اما فقط واما مع حذف المشبه نحو زيد كالاسد ونحو كالاسد عند الاخبار عن زيد ونحو زيد أسد في الشجاعة ونحو أسد في الشجاعة عند الاخبار عن زيد وأما الاثنتان الباقيتان وهما ذكر الوجه والاداة جميعا سواء ذكر المشبه أم لا نحو زيد كالاسد في الشجاعة ونحو كالاسد في الشجاعة مخبرا عن زيد فضعيفتان هذا وسنورد عليك من الآيات القرآنية الشريفة

والاحاديث النبوية المنيفة وأشعار العرب والمولدين المشتملة على أنواع التشبيه ومحاسنه ما به يرتاح خاطرك ويكون لك سلما ترتقي به الى التمكن من معرفة أنواعه

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي

محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ـ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّيّ الآية ـ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته الآية ـ فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر ـ وقول ابن المعتز

نِخِلْتَ الدجى والليل قد مدّ خيطه ❊ رداء مُوَشًّى بالكواكب معْلَما

ـ وقوله أيضا

والليل كالحلّة السوداء لاح به ❊ من الصباح طراز غير مرقوم

ـ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضا

ـ ولقد ذكرتك والزمان كأنه ❊ يومُ النوى وفؤادُ من لم يعشَق

ـ كأنّ انتضاء البدر من تحت غيمه ❊ نَجَاء من البأساء بعد وقوع

ـ وقول ابن بابك

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها * وقد كحّل الليلَ السماكُ فابصرا

ـ وقوله أيضا

كأنّ سيوفه بين العوالى * جداول يَطَّرِدْن خلال غاب

ـ وقوله أيضا

كأنّ سيوف الهند بين رماحه * جداول في غاب سما وتاشّبا

ـ وقول البحتري

وتراه في ظُلَم الوغى فتخاله * قمرا يكر على الرجال بكوكب

ـ وقوله أيضا

شقائق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابي في خدود الخرائد

ـ وقول المتنبي

يزور الأعادي في سماء عجاجة * أسنّتُه في جانبيها الكواكبُ

ـ وقول عمرو بن كلثوم

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم * سقفا كواكبه البِيضُ المباتير

ـ وقول البحتري

كأنما المرّيخ والمشترِى * قدّامه فى شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة * قد أسرجت قدّامه شمعه

ـ وقول ابن المعتز

كأنه وكأنّ الكاس فى فمه * هلال أوّل شهر غاب فى شفَق

ـ بياض فى جوانبه احمرار * كما احمرت من الخجل الخدود

ـ وكأنّ أجرام النجوم لوامعا * درَر نثرن على بساط أزرق

ـ اني رأيتك فى نومى تعانقني * كما تعانق لامُ الكاتب الا لفا

ـ ولصفى الدين الحلى فى وصف فصل الربيع

فالورد فى أعلى الغصون كأنه * ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لنرجسه الجنيّ كأنه * طَرْف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد فى السماء مآتما * والارض فى عرس الزمان وعيده

باب المجاز

المجاز ينقسم الى عقلى وقد تقدم ذكره فى أحوال الاسناد الخبرى فى علم المعاني ـ والى شرعى وهو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له عند أهل الشرع كاستعمال الصلاة عندهم فى الدعاء ـ والى عرفى وهو استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له عند أهل العرف سواء كان العرف عاما كاستعمال الدابة فى الانسان أو خاصا كاستعمال الفعل عند النحوي فى الحدث ـ والى لغوى وهو موضوع هذا العلم وينقسم الى مفرد ومركب

المجاز اللغوى المفرد

هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلى * والعلاقة هى المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه سميت بذلك لان بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالاول فينتقل الذهن من الاول للثاني وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيرا الى فرس مثلا اذ لا علاقة هنا ملحوظة ـ ثم ان كانت علاقته المصححة له غير المشابهة فمجاز مرسل وان كانت المشابهة فاستعارة

والقرينة هي الامر الذي يكون دليلا على أنه أريد باللفظ غير ما وضع له وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فان قرينتها

لا تمنع من ارادة المعنى الاصلى كما سيجئ ـ وهى اما لفظية أو غير لفظية وعلى كل اما معينة أو غير معينة كما تقدم في المجاز العقلى وكما سيظهر لك مما سيأتي ان شاء الله تعالى

المجاز المرسل

والمرسل هو ما كانت علاقته غير المشابهة كما تقدم سمى بذلك لانه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة أو لعدم تقييده بعلاقة واحدة بل هو دائر بين عدة علاقات ـ كالسببية نحو رعينا الغيث أي النبات الذي سببه الغيث ـ والمسببية نحو أمطرت السماء نباتا أي غيثا يتسبب عنه النبات ـ والكلية نحو يجعلون أصابعهم في آذانهم أي أناملهم ـ والجزئية نحو فتحرير رقبة مؤمنة * ويشترط في هذه العلاقة أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفا كالرأس والرقبة بخلاف الظفر والاذن واليد للانسان أو يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المطلوب من الكل المسمى باسم الجزء كالعين في الجاسوس واليد في الشئ المعطى ـ والحالّية نحو ففي رحمة الله هم فيها خالدون أى الجنة التي تحل فيها الرحمة بمعنى آثارها المنعم بها مجازا عن الرحمة بمعنى رقة القلب فهو مجاز عن مجاز عن مجاز ان لم تجعل الرحمة بمعنى المرحوم به مجازا عن الرحمة بمعنى الانعام مجازا عن الرحمة بمعنى رقة القلب والا كان مجازا عن مجاز فقط وتكون العلاقة حينئذ التعلق والاشتقاق في الاول واللزوم في الثاني ـ والمحلية نحو فليدع ناديه على احتمال ـ واللازمية كاطلاق الشمس وارادة الضوء ـ والملزومية كاطلاق الضوء وارادة الشمس ـ والعموم وهو استعمال العام في الخاص كاستعمال الدابة في الفرس وكقوله تعالى أم يحسدون الناس وقوله تعالى الذين قال لهم الناس

فالمراد بالناس في الاول محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني نعيم بن مسعود الاشجعي — والخصوص كاستعمال الفرس في مطلق الدابة وكاطلاق تميم أبي القبيلة وارادة القبيلة قبل أن يغلب عليها — واعتبار ما كان نحو وآتوا اليتامى أموالهم سموا يتامى بعد البلوغ اعتبارا بما كانوا عليه * واليتيم من نوع الانسان صغير لا أب له ومن سائر الحيوانات رضيع لا أم له — واعتبار ما يكون ظنا نحو انى أرانى أعصر خمرا أى عنبا يؤول الى كونه خمرا أو قطعا كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون على احتمال — والمجاورة كاطلاق الراوية على ما يحمل على الحيوانات من أوعية الماء وكاطلاق الباب على اللوح الخشب والعلم على الظن والعكس — والآلية نحو واجعل لى لسان صدق في الآخرين أى ذكرا صادقا وثناء حسنا — والبدلية نحو قوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة أى أديتموها فهو مجاز مرسل تبعى لانه في الفعل — والمبدلية كقول القائل أكلت دما أى دية ومنه قول الشاعر يتأفف من عشرة زوجته ويتمنى موتها ويتوعدها بالزواج عليها ان لم تمت وقدكان الوباء بدمشق اذ ذاك

دمشقُ خذيها لا تفُتْك فلَيْلة * تمر بعودَيْ نعشها ليلة القدر
أكلت دما ان لم أرُعْكِ بضَرة * بعيدة مهوى القُرْط طيِّبة النشر

ـ والتعلق الاشتقاقى في نحو هذا خلق الله أى مخلوقه ونحو ولا يحيطون بشيء من علمه أى معلومه على بعض الاحتمالات — والاطلاق — والتقييد هذا — والقصد من العلاقة انما هو تحقق الارتباط والذكى يعرف مقال كل مقام فاطلاق الدال على المدلول مثلا يجوز أن تعتبر فيه علاقة المجاورة بتخيل أن الدال مجاور للمدلول ويجوز فيه اعتبار الحالية نظرا الى أن الدال محل للمدلول اذ الالفاظ قوالب للمعانى

والاطلاق والتقييد والسببية والمسببية على حسب ما يرشدك اليه الذوق ويدلك عليه الفهم

ثم العلاقة قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي وهذا هو الراجح وقيل تعتبر من جهة المنقول اليه لانه المراد وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقهما

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحا بالنسبة الى معنى واحد لان يكون مجازا مرسلا واستعارة باعتبارين فاذا وجد فى الكلمة المجازية علاقتان أو أكثر فالمعتبرة هي الملحوظة للمتكلم فان لم يعلم ما لحظه المتكلم فيجرى فى الكلمة احتمالان فأكثر ولكن بعض الاحتمالات أرجح من بعض على حسب تفاوت العلاقات فى القوة أو كثرة الاستعمال والاعتبار فترجح علاقة المشابهة على غيرها لانها أقوى والمشابهة الحقيقية على الصورية أو التنزيلية المبنية على التضاد مثلا لفظة مِشْفر فى الاصل اسم لاحدى شفتي البعير الزائدة فاذا أطلق على شفة الانسان فان لوحظ فى اطلاقه عليها المشابهة فى الغلظ فهو استعارة وان لوحظ أنه من اطلاق اسم المقيد على المطلق كان مرسلا بمرتبة ان نقل من شفة البعير واستعمل فى شفة الانسان من حيث انها مطلق شفة أو بمرتبتين ان نقل منها واستعمل فى شفة الانسان معتبرا خصوص كونها شفة انسان

وينقسم المجاز المرسل الى أصلى وهو ما كان فى اسم جنس كالامثلة المتقدمة — والى تبعى وهو ما كان فى مشتق نحو فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم تجوّز بالقراءة عن ارادتها لعلاقة السببية واشتق منه قرأ بمعنى أراد القراءة على سبيل المجاز المرسل التبعى ونحو ما تقدم فى علاقة البدلية

الاستعارة

هي بالمعنى الاسمى نفس اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لقرينة الخ ـ وبالمعنى المصدرى هي استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلى ـ وأركانها على هذا ثلاثة مستعار وهو اللفظ ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه ولا بد فيها من تناسى التشبيه وادّعاء أن المشبه فرد من افراد المشبه به ولا بد أيضا أن لا يذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه لا لفظا ولا تقديرا والا كان تشبيها لا استعارة ولا يصح أن يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه بان يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو فى حكم الخبر عنه كخبر كان وانّ والمفعول الثانى لظن أو حالا أو صفة أو مضافا كلجين الماء فان ذلك كله من التشبيه البليغ

ثم التشبيه الذى يجب تناسبه فيها هو ما من أجله وقعت الاستعارة فقط فلا مانع من ان نقول رأيت أسدا فى الحمام مثل الفيل فى الضخامة ولا بد أن يكون المشبه به كليا كاسم الجنس وعلمه حتى يصح ادعاء دخول المشبه فى المشبه به فلا تتأتى الاستعارة فى العَلَم الشخصى لعدم امكان دخول شيء فى الحقيقة الشخصيه لان نفس تصور الجزئى يمنع من تصور الشركة فيه اللهم الا اذا تضمن الشخصى وصفا به يصح اعتباره جنسا كتضمن حاتم للجود وقُس للفصاحة فيقال رأيت حاتما وقسا بدعوى كلية حاتم وقس ودخول المشبه فى جنس الجواد والفصيح فكأن قسا مثلا موضوع للموصوف بالفصاحة سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره الا أنه يطلق على المعهود حقيقة وعلى غيره ادعاء وقال بعضهم انّ منع الحقيقة الشخصية

من الدخول لا يمنع جريان الاستعارة فكما تكون فى الاجناس لتشبيه فرد بالجنس وادعاء دخوله فيه مبالغة تكون فى الشخصى بدعوى الاتحاد ولكن لا بد أن يكون العَـلَـم مشتهرا بوصف حتى يدل عليه التزاما ــ ولهذا قيل ان غاية ما تقتضيه الاستعارة وجود لازم مشهور له نوع اختصاص بالمشبــه به فان وجد ذلك فى مدلول اسم جازت استعارته سواء كان علما أو غير علم

ــ وقد اختلف فى الاستعارة فقيل مجاز لغوى لأن لفظ أسد فى قولك رأيت أسدا فى الحمام مستعمل فى الرجل الشجاع لا فيما وضع له وهو الحيوان المفترس وقيل مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فى أمر عقلى هو المعانى بجعل بعضها نفس غيرها لا لغويّ لانها لم تطلق على المشبه الا بعد دخوله فى المشبه به كان استعمالها فيما وضعت له بالجعل والادعاء ولهذا صح التعجب فى قول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز علي من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

فلولا أنه ادّعى لتلك النفس معنى الشمس الحقيقى وجعلها شمسا حقيقة لما كان لهذا التعجب فائدة ولهذا أيضا صح النهي عن التعجب فى قوله

لا تعجبوا من بِـلَـى غِلالته * قد زرّ أزراره على القمر

فلولا انه جعله قمرا حقيقة لما كان للنهي عن التعجب وجه اذ الثوب لا يسرع اليه البلى الا بملابسة القمر الحقيقى لا بملابسة انسان يشبه القمر وأما تسميتها استعارة على هذا القول فباعطاء حكم المعنى للفظ لان المستعار فى الحقيقة على هذا هو معنى المشبه به ولما تبع ذلك اطلاق اللفظ سمى استعارة ــ وردّ بأن هذا الادعاء لا يجعله موضوعا له

لضرورة العلم بأن أسدا فى قولك رأيت أسدا مستعمل فى الرجل الشجاع والموضوع له الاسد الحقيقى لا الادّعائى وهو الرجل الشجاع وذلك لانه ادّعى أن للاسد صورتين احداهما متعارفة وهى التى لها الاقدام والبطش فى الهيأة المعروفة للحيوان المعلوم وثانيتهما غير متعارفة وهي التى لها الجرأة والقوة لكن لا فى هيأة السبع بل في هيأة الانسان فاستعمل لفظ أسد الموضوع للسبع الذى هو على الصورة المتعارفة في السبع الذى هو على الصورة الغير المتعارفة فاستعماله في غير المتعارف استعمال فى غير ما وضع له والقرينة مانعة من ارادة المعنى المتعارف وأما التعجب والنهي عنه فللبناء على تناسى التشبيه قياما بحق المبالغة

ـ وتنقسم الاستعارة الى ثلاثة أقسام تصريحية « وتسمى مصرحة » ومكنية « وتسمى استعارة بالكناية » ـ وتخييلية ـ وذلك أنه اذا كان المحذوف من الطرفين هو المشبه والمذكور هو المشبه به فالاولى وان كان المحذوف هو المشبه به والمذكور هو المشبه وقد أشير فى الكلام الى المشبه به المحذوف بذكر شيء من لوازمه فالثانية وان كان المستعار غير محقق لا حسا ولا عقلا فالثالثة

الاستعارة التصريحية

هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ولو تقديرا نحو رأيت بدرا فى البستان ونحو نعم جوابا لمن قال هل رأيت بدرا فى البستان

ـ وتنقسم الى اصلية وتبعية فالاصلية ما كان المستعار فيها اسم جنس أي اسما غير مشتق حقيقة نحو رأيت أسدا فى الحمام أو تأويلا كالاعلام المشتهرة بوصف نحو رأيت حاتما أي رجلا كريما فهو بمنزلة اسم الجنس كما تقدم تحقيقه واجراء الاستعارة فى المثال الأول أن

يقال شبه الرجل الشجاع بالاسد بجامع الشجاعة فى كل واستعير الاسد للرجل الشجاع على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية واجراء الثانية أن يقال شبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم فى كل واستعير حاتم للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية

وأما التبعية فهي ما كان المستعار فيها غير اسم الجنس المذكور بان كان فعلا أو اسما مشتقا كاسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وأسماء الزمان والمكان والآلة أو اسم فعل أو مصغرا أو منسوبا أو حرفا ـ مثال الاستعارة فى الفعل نطقت الحال بكذا وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع ايضاح المعنى فى كل واستعير النطق للدلالة الواضحة واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ونحو يحيي الارض بعد موتها يشبه تزيينها بالنبات ذى الخضرة والنضرة بالاحياء بجامع الحسن أو النفع فى كل و يستعار الاحياء للتزيين و يشتق من الاحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين استعارة تبعية لجريانها فى الفعل تبعا لجريانها فى المصدر هذا اذا كانت الاستعارة فى الفعل باعتبار مدلول صيغته أي مادته وهو الحدث وأما اذا كانت باعتبار مدلول هيأته وهو الزمن كما فى قوله تعالى أتى أمر الله فتقريرها أن يقال شبه الاتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل واستعير الاتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ونحو ونادى أصحاب الجنة أي ينادى شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى بجامع تحقق الوقوع ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل ثم اشتق منه نادى بمعنَى ينادى ـ ونحو قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا ان قدر المرقد

للرقاد مستعارا للموت فالاستعارة أصلية وان قدر لمكان الرقاد مستعارا للقبر فالاستعارة تبعية لانها فى اسم المكان فلا يستعار المرقد للقبر الا بعد استعارة الرقاد للموت فاحفظ ذلك وقس عليه ـ ومثال الاستعارة في اسم الفاعل زيدٌ قاتلٌ عمرا اذا كان عمرو مضروبا ضربا شديدا ـ ومثالها في اسم المفعول عمرو مقتول لزيد اذا كان زيد ضاربا لعمرو ضربا شديدا واجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثالها في الصفة المشبهة هذا حسن الوجه مشيرا الى قبيحه واجراء الاستعارة فيه أن يقال شبه القبح بالحسن بجامع تأثر النفس في كل واستعير الحسن للقبح تقديرا واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل هذا أقتل لعبيده من زيد أي أشدّ ضربا لهم منه ـ ومثال اسم الزمان والمكان هذا مقتل زيد مشيرا الى مكان ضربه او زمانه ـ ومثال اسم الآلة هذا مفتاح الملك مشيرا الى وزيره واجراؤها أن يقال شبهت الوزارة بالفتح للابواب المغلقة بجامع التوصل الى المقصود في كل واستعير الفتح للوزارة واشتق منه مفتاح بمعنى وزير ـ ومثال اسم الفعل المشتق نزال بمعنى انزل تريد به أبعد فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى ابعد ـ ومثال اسم الفعل غير المشتق صه بمعنى اسكت عن الكلام تريد به ترك فعل كذا فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل واشتق منه اسكت

بمعنى اترك الفعل وعبر بدل اسكت بصه ـ ومثال المصغر رجيل لمتعاطى ما لا يليق ـ ومثال المنسوب قرشي للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم ـ ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا واجراؤها أن يقال شبهت العداوة والحزن بالمحبة والتبنى اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله تعالى ولأُصلبنكم في جذوع النخل واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هي معانى الحروف فاستعير لفظ في الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية لمعنى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

وتنقسم الاستعارة باعتبار ملائم المستعار منه أوله الى مطلقة ومرشحة ومجردة فالمطلقة هي التى لم تقترن بملائم أصلا نحو قولك رأيت أسدا فى الحمام

والمرشحة هي التى قرنت بملائم المستعار منه أي المشبه به نحو قولك رأيت أسدا في الحمام له لبد أظفاره لم تقلم اذ اللبد بزنة عنب جمع لبدة وهي شعر الاسد المتلبد على كتفيه من خواص المشبه به وكذا عدم تقليم الاظفار الذى هو انسب بالمشبه به ففى هذا المثال ترشيحان ونحو قول كثير

رمتنى بسهم ريشُه الكحل لم يَضِر * ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

يقول رمتنى المحبوبة بسهم النظر الذى ريشه الكحل بحيث صار منه قلبي مجروحا ولم يضر ظاهر جلد البدن فقد استعار السهم للنظر بجامع التأثر من كل ورشح الاستعارة بذكر الريش الذى هو من ملائمات

المستعار منه وهو السهم ونحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم استعير الشراء للاستبدال والاختيار ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة وسميت مرشحة لترشيحها أي تقويتها بذكر الملائم

والمجردة هي التي قرنت بملائم المستعار له أى المشبه نحو قولك رأيت أسدا شاكى السلاح أى حامله أو تامه وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بعد وذلك يبعد دعوى الاتحاد الذى هو مبنى الاستعارة والقرينة هنا ينبغى أن تكون حالية حتى يكون هذا تجريدا للمصرحة والا فهو قرينتها وقد اجتمع الترشيح والتجريد في قوله

لدى أسد شاكى السلاح مُقَذَّف * له لبد أظفاره لم تُقَلَّم

فالقرينة هنا حالية أو هى لفظ لدى بتقدير أنا عند أسد والمقذف يصح أن يراد به الذى رمى باللحم أى عظيم الجثة فيكون ملائما للطرفين فلا يكون ترشيحا ولا تجريدا وأن يراد به الذي رمى بنفسه الى الوقائع كثيرا سواء كان بآلة حرب أم لا فكذلك وأن يراد به الذي قذف بنفسه اليها بآلة حرب فيكون تجريدا وأما له لبد فترشيح قطعا لانه من خواص الاسد كما علمت بخلاف أظفاره لم تقلم الذي هو كناية عن نفى الضعف فانه قدر مشترك بين الطرفين وان قيل هو بالاسد أليق فيكون ترشيحا قلنا يلزم حينئذ عدم اشتراط كون الترشيح من خواص المشبه به وأنه يكفى أن يكون أخص به * ثم اعتبار الترشيح والتجريد انما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها فلا تعد قرينة المصرحة تجريدا ولا قرينة المكنية ترشيحا بل الزائد على ما ذكر

تتمة

الملائم قسمان صفة وتفريع والمراد الصفة المعنوية فيشمل الخبر والحال واضافة الوصف لمرفوعه ونحوه فمن الترشيح بالصفة نحو زيد رداؤه سابغ وزيد سابغ الرداء أي كثير العطايا استعير الرداء للجود لستره عرض صاحبه كستر الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالسبوغ أى الطول يناسب المشبه به ومن التجريد بها قوله

غَمْر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غَلِقت لضَحْكته رقاب المال

فوصف الرداء بالغمر أى الكثرة يناسب المستعار له وهو العطاء والقرينة باقى البيت أى اذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدي السائلين من غلق الرهن في يد المرتهن اذا لم يقدر على فكاكه فان جعلت غمر قرينة كان قوله تبسم الخ من التجريد بالتفريع كما لايخفى — والمراد بالتفريع ذكر حكم يلائم أحد الطرفين كما تقدم في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وكقوله

ويصْعَد حتى يظنّ الجهول * بأن له حاجة فى السماء

حيث استعير الصعود لعلو الرتبة وفرع عليه ماينا سبه وقد اجتمع ترشيح الاستعارة بالصفة والتفريع في قوله

هى الشمس مسكنها في السماء * فعَزِّ الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

بناء على مذهب السعد في نحو زيد أسد أو انه ترشيح للتشبيه

ثم ان الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه لاشئ شبيه به والاطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع لان به تضعف دعوى

الاتحاد واذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة اذ بتعارضهما يتساقطان وجوز بعضهم ترجيح جانب السابق لسبقه هذا وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضا في المكنية كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

وتنقسم الاستعارة المصرحة أيضا الى عنادية والى وفاقية فالعنادية هى التي لايمكن اجتماع طرفيها في شيء والوفاقية هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء ومثالهما قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه أى ضالا فهديناه في الآية استعارتان الاولى استعارة الموت للضلال والثانية استعارة الاحياء للهداية والاولى عنادية لانه لايمكن اجتماع الموت والضلال فى شيء والثانية وفاقية لامكان اجتماع الاحياء والهداية فى شيء ومن العنادية أيضا الاستعارة التهكمية والاستعارة التمليحية وهما اللتان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح كما سبق ومثال ذلك قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم استعيرت البشارة التى هى الخبر السارّ للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ونحو قول بشار

اذا المَلِك الجبار صعَّر خدّه * مشَينا اليه بالسيوف نعاتبه

وقول بعضهم * تحيَّة بينهم ضرب وجيع *

(وتنقسم المصرحة أيضا) باعتبار الجامع الى عامية وخاصية فالعامية هى المبتذلة كرأيت أسدا يرمى والخاصية هي الغريبة التي لايدركها الا أهل الذوق وأصحاب المدارك من الخواص كقول بعضهم فى صفة فرسه

عوّدته فيما أزُور حبائبي * اهمالَه وكذاك كل مُخَاطر

واذا احتبى قَرَبُوسه بعنانه * علك الشكيمَ الى انصراف الزائر

القربوس بفتحتين قائمة السرج والشكيم واحده شكيمة وهى الحديدة

تجعل في حنك الفرس معترضة وأراد بالزائر نفسه شبه الشاعر هيأة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا الى جهة فم الفرس بهياة وقوع الثوب فى موقعه من ركبتى المحتبي ممتدا الى جانبي ظهره ثم استعار الاحتباء وهو جمع الشخص ظهره وساقيه بثوب أو غيره لهيأة وقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه

(وتنقسم باعتبار الجامع أيضا) الى داخل وخارج ـ فالاول ما كان داخلا فى مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى وقطّعناهم فى الارض أمما فاستعير التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام الملتزقة بعضها ببعض لتفريق الجماعة وابعاد بعضها عن بعض والجامع ازالة الاجتماع وهي داخلة فى مفهومها وهي فى القطع أشد والثاني وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين نحو رأيت أسـدا أى رجلا شجاعا فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للاسد لا داخل فى مفهومه

(وتنقسم أيضا) باعتبار الطرفين والجامع ستة أقسام لان الطرفين اما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس والجامع في الاول من الصور الاربع تارة يكون حسيا وتارة يكون عقليا وأخرى مختلفا وفى الثلاث الاخيرة لايكون الا عقليا ـــ مثال ما اذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى فأخرج لهـم عجلا جسدا له خوار فان المستعار منه وهو ولد البقرة والمستعار له وهو المصوغ من حلي القبط بعد سبكها بنار السامري والقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه السلام عليه والجامع الشكل فانه كان على شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر وبحث بعضهم بان ابدال جسدا من عجلا يمنع الاستعارة ـــ ومثال ما اذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلي قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فان المستعار منه أعني

السلخ وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهو موضع القاء ظله حسيان والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على ازالة الضوء عن مكان الليل والترتب عقلي — ومثال ما اذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسي و بعضه عقلي قولك رأيت بدرا تريد شخصا مثل البدر في حسن الطلعة وعلو القدر فحسن الطلعة حسي وعلو القدر عقلي — ومثال ما اذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيه الا عقليا كباقي الاقسام قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فان المستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور الفعل والجميع عقلي وقال بعضهم عدم ظهور الفعل في الموت أقوى وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى فليجعل الجامع هو البعث الذي هو في النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون — ومثال ما اذا كان المستعار منه حسيا والمستعار له عقليا قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فان المستعار منه كسر الزجاجة وهو أمر حسي والمستعار له التبليغ جهرا والجامع التأثير أى أظهر الامر اظهارا لا ينمحي كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم — ومثال ما اذا كان المستعار منه عقليا والمستعار له حسيا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فان المستار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبر والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان

قرينة الاستعارة

هي ما يمنع من ارادة المعنى الموضوع له وهي اما أمر واحد نحو رأيت أسدا يرمى واما أكثر نحو قوله

وان تَعافُوا العدل والإِيمانا * فان في أيماننا نيرانا

أي سيوفا تلمع كالنيران فتسلط قوله تعافوا على كل من العدل والايمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربوا وتلجؤا الى الطاعة بالسيوف — وإما معان ملتئمة مع بعضها فيكون مجموعها قرينة لا كل واحد على حدته كقوله

وصاعقةٍ من نصله تنكفي بها * على أرؤس الأقران خمسُ سحائب

أي ربَّ نار من حد سيفه يقلبها على رؤس أقرانه أنامله الخمس التي هي في الجود والعطاء سحائب أي يصبها على أكفائه في الحرب فيهلكهم ولما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة لما بينها و بين السحائب من الارتباط وانها من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الانامل

تقسيم الاستعارة المصرحة عند السكاكى

(وتنقسم أيضا) عند السكاكى الى تحقيقية وتخييلية ومحتملة لهما فالتحقيقية ما كان المستعار له فيها محققا حسا او عقلا بمعنى انه يمكن ان تستعمل له الاشارة الحسية نحو قوله

لدَى أسد شاكى السلاح مقَذَّف * له لبد أظفاره لم تُقَلم

أو الاشارة العقلية نحو اهدنا الصراط المستقيم فان المستعار له في البيت الرجل الشجاع وهو محقق حسا وفى الآية الشريفة ملة الاسلام بمعنى الاحكام الشرعية وهى محققة عقلا

والتخييلية ما كان المستعار له غير محقق لا حسا ولا عقلا كلفظ أظفار في قول الهذلي الآتي لانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم

في تصوير المنية بصورة السبع فاخترع لهـا مثل صورة الاظفار ثم أطلق على الصورة التى هي مثل صورة الاظفار لفظ الاظفار فتكون الاظفار تصريحية تخييلية اذ المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الاظفار الحقيقية وقرينتها اضافتها الى المنية

والتخييلية عنـد السكاكى قد تنفك عن الاستعارة بالكناية على ما سيأتي نحو أظفار المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان فصرح بالتشبيه المنافى للاستعارة بالكناية مع كون الاستعارة في الاظفار تخييلية

والمحتملة لهما قول زهير

صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُه * وعرّى أفراس الصّبا ورواحله

فان الصحو في الاصل خلاف السكر وهنا أراد به السلو وانه انتهى عن ميله ومعاودة ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والغىّ فشبه الصبا بجهة سفر قضى منها حوائجه فبطلت آلاته تشبيها مضمرا فى النفس واستعار في نفسه الجهة للصبا وحذفها ورمز اليها بالافراس والرواحل فالجهة عند القوم هى المكنية واثبات الأفراس والرواحل لها عندهم تخييلية وهما عندهم أيضا مستعملان في حقيقتهما كما سيأتي قريبا — أما عند السكاكى فيجوز أن تكون الافراس استعارة تحقيقية ان أريد بها دواعى النفس وشهواتها أو أريد بها أسباب اتباع الغى من المال والاعوان لتحقق معناها عقلا ان أريد منها الدواعى او حسا ان أريد بها الاسباب فالمراد بالصبا ايام الشباب ويصح ان تكون تخييلية ان جعلنا الافراس والرواحل مستعارا لامر وهمى تخيل للصبا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفتوّة

الاستعارة بالكناية

وتسمى أيضا استعارة مكنية وهي ما حذف فيها لفظ المشبه به ودل عليه بذكر لازمه المسمى تخييلا

وتنقسم الى أصلية وتبعية والى مطلقة ومرشحة ومجردة كالتصريحية كما تقدم فاما المكنية الاصلية فهى ما كان المستعار فيها اسم جنس اى اسما غير مشتق نحو

واذا العناية لاحظتك عيونها * نَمْ فالمخاوف كلهنّ أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتَدْ بها الجوزاء فهى عنان

شبه العناية بانسان واستعاره لها وحذفه ورمز له بالعيون التي هى من لوازم الانسان وهو المشبه به ونحو

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا * فلسان حالي بالشكاية أنطق

شبه الحال بانسان متكلم واستعاره لها وحذفه ورمز له باللسان الذي هو من لوازم المشبه به ونحو قول الهذلي

واذا المنية أنشبت أظفارَها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

واجراؤها في لفظ المنية ان يقال شبهت المنية بالسبع بجامع الاغتيال في كل واستعير السبع للمنية وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الاظفار على سبيل الاستعارة المكنية واثبات الاظافر للمنية تخييل وهو قرينة المكنية

وأما المكنية التبعيه فهي ما كانت فى الاسم المشتق والاسم المبهم دون باقى أنواع التبعية المتقدمه ومثالها فى الاسم المشتق يعجبنى اراقة الضارب دم الباغى واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايذاء فى كل واستعير القتل للضرب الشديد واشتق من

القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية ومثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك أنت مطلوب منك أن تسير الآن الينا شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثانى للاول ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب وحذف وذكر المخاطب ورمز الى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه اليك واثباته له تخييل فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هي نفس اثبات اللازم وسميت استعارة لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به للمشبه وتخييلية لان اثباته المشبه خيل اتحاده مع المشبه به فذلك اللازم عندهم حقيقة أي مستعمل فيما وضع له لان المراد من قولنا أظفار المنية نشبت بفلان حقيقتها وانما التجوز فى اثباتها للمنية أي ان ذلك الاثبات اثبات الشيء لغير ما هو له فالتخييلية عندهم من المجاز العقلى لا من المجاز اللغوى بمعنى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له ثم المكنية والتخييلية عند الجمهور متلازمان ضرورة ان التخييلية قرينة المكنية ولا توجد استعارة بدون قرينتها ولا تكون قرينة المكنية الا تخييلية ـ وأما السكاكى فيقول ان الاستعارة المكنية هي لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء أن المشبه عين المشبه به وانكار أن يكون غيره بقرينة ذكر اللازم فالمنية عنده فى المثال المذكور يراد بها السبع بادعاء أن الموت عين السبع وانكار أن يكون غيره بقرينة اضافة الاظفار التى هي من خواص السبع ولوازمه اليه وليس المراد عنده من المنية مجرد الموت حتى تكون مستعملة فى معناها الحقيقى بل الموت المفروض عين السبع فلفظ المنية الموضوع للموت الحقيقى مستعمل فى الموت المفروض عين السبع وهو غير الموضوع له

فيكون استعارة وهو ظاهر التعسف ولفظ الاظفار استعير عنده لأمر تخييلي وهمي لانه لما استعملت المنية فى الموت المتحد بالسبع ادعاء أخذ الوهم يتخيل للمنية صورة شبيهة بالاظافر ـ واجراء الاستعارة التخييلية هنا على مذهبه أن يقال شبهت صورة الاظافر المتخيلة بالصورة المتحققة وهي أظافر السبع واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التخييلية وبذا تعلم أنه لا تلازم عنده بين التخييلية والمكنية ـ وذهب الخطيب الى أن الاستعارة بالكناية هي التشبيه المضمر فى النفس والاثبات تخييل فاخرجهما من المجاز بمعنى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له الخ اذ التشبيه والاثبات فعل من أفعال النفس فكل من الاظفار والمنية عنده مستعمل فى معناه الحقيقى هذا ـ ثم ما زاد عن قرينة المكنية من الملائمات يسمى ترشيحا كما فى التصريحية فنحو شم زيد رائحة العلم يقال فيه شبه العلم بالمسك وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه فان جعل اللازم الرائحة كان الشم ترشيحا أو بالعكس ـ ومثال المكنية المجردة قوله

نَقْرِيهمو لِهْذِمِيَّات نقُدّ بها * ما كان خاط عليهم كلّ زرّاد

اللهذميات الاسنة القاطعة والقد القطع والزرّاد ناسج الزرد وهو درع الحديد والمعنى نقد بتلك اللهذميات دروعهم فبجعل اللهذميات استعارة بالكناية عن الطعام بقرينة نقريهم يكون قوله نقدّ تجريدا لانه من ملائمات المستعار له وهو اللهذميات وفى البيت ايضا استعارة الخياطة التى هي ضم قطع الثوب لضم حلق الدرع بجامع مطلق الضم وقد اجتمعت الاستعارة التصريحية والمكنية والتخييلية فى قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف واجراء الاستعارة التصريحية أن يقال شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس

بجامع الاشتمال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية واجراء الاستعارة الثانية أن يقال شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المرّ البشع بجامع الكراهة في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الاذاقة على سبيل الاستعارة المكنية واثبات الاذاقة تخييل واجراء الثالثة ان يقال شبهت الاذاقة المتخيلة بالاذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكاكى

المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة معناه الاصلى فان كانت العلاقة غير المشابهة فمجاز مرسل مركب وذلك كجميع المركبات الخبرية المستعملة فى الانشاء وعكسه فمن الاوّل قوله

ذهب الصِّبا وتولت الايام * فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

فانه وان كان أصل وضعه الاخبار الا أنه فى هذا المقام مستعمل فى انشاء التجسر والتحزن على ضياع الشباب. والقرينة المانعة من ارادة معناه الاصلى الذى هو الاخبار قوله فعلى الصبا وعلى الزمان سلام ومثله قوله

هواي مع الركب اليمانينَ مصعد * جنيب وجُثْمانى بمكة موثَق

فان المراد من هذا البيت التحسر والتحزن والقرينة المانعة من ارادة الاخبار حال المتكلم فانه يشير فى هذا البيت الى الحزن الذى ألم به من فراق المحبوب وما توالى عليه بسبب هذا الفراق من الكروب وقوله

تصرمت منا أويقات الصبا * ولم نجد من المشيب مهربا
ونحو قولك الحمد لله اذا كان القصد انشاء الحمد والعلاقة اللازمية لان الاخبار بكونه تعالى محمودا مستلزم لانشاء الحمد الذى هو الوصف بالجميل وهذا النوع كثير * ومن الثانى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار بمعنى يتبوّأ والعلاقة السببية أو المسببية متى أريد أن انشاء المتكلم لهذه العبارة سبب لاخباره بمضمونها أو غير ذلك من العلاقات حسبما يرشدك اليه المقام

ـ وان كان المجاز المركب علاقته المشابهة سمى استعارة تمثيليه وهي كون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد كما فى قوله تعالى أولائك على هدى من ربهم على احتمال فى ذلك وتقرير الاستعارة فيها على هذا الاحتمال أن يقال شبهت هيأة المؤمنين فى اتصافهم بانواع الهدى على أوجه متفاوتة بهياة جماعة على رواحل منهم السابق والمسبوق والقوى والضعيف وغير ذلك واستعير التركيب الدالّ على ذلك من المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وسميت بالتمثيلية مع أن التمثيل عامّ فى كل استعارة تنويها بعظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل ولذا كانت محط أنظار البلغاء لا يتنحون عنها الى غيرها عند امكان الاتيان بها ـ واذا فشت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها كانت مثلا ويخاطب به المفرد والمذكر وفروعهما من غير تغيير ومن ذلك الصيفَ ضيعت اللبن بكسر التاء وانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ونحو أحشفا وسوأ كيلة * المثل الاول يضرب لمن فرط فى تحصيل شيء فى زمن يمكنه تحصيله فيه ثم طلبه فى زمن لا يمكنه فيه تحصيله وأصله أن امرأة كانت متزوجة بشيخ ذى ثروة فطلبت منه الطلاق لضعفه وكان فى وقت الصيف فطلقها وتزوجت بشاب فقير

ثم طلبت من زوجها الاول لبنا فى وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل واجراء الاستعارة فيه أن يقال شبهت هياة من فرط فى شئ فى زمن يمكنه تحصيله فيه بهيأة امرأة تركت زوجها وعنده لبن وأتت بعد فراقها تطلب اللبن منه بجامع التفريط فى كل واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية * والمثل الثانى يضرب لمن يتردد فى أمر فتارة يقدم وتارة يحجم واجراء الاستعارة فيه أن يقال شبهت هيأة من يتردد فى الاقدام على فعل شئ والاحجام عنه بهيأة من يقدّم رجلا ويؤخر أخرى بجامع التحير فى كل واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية * والمثل الثالث يضرب لمن يظلم من وجهين وأصله ان رجلا اشترى تمرا من آخر فاذا هو حشف وناقص المكيال فقال المشترى ذلك — وتقرير الاستعارة فيه أن يقال شبهت هيأة من يظلم من وجهين بهيأة رجل باع آخر تمرا حشفا وكان مع ذلك يطفف المكيال بجامع الظلم من وجهين فى كل واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية وقس على ذلك جميع الامثال السائرة نثرا ونظما فمن الاول « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها » و « ان المُنْبتَّ لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى » ومن الثانى قوله

اذا قالت حذام فصدّقوها * فان القول ما قالت حذام

وقوله « الذئب خاليا أسد » وقوله

اذا جاء موسى وألقى العصا * فقد بطل السحر والساحر

هذا وكما تكون الاستعارة التمثيلية منتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا تكون ايضا منتزعة من عدّة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها فى الخارج ولا فى الذهن وتسمى الاولى تمثيلية تحقيقية

والثانية تمثيلية تخييلية كقوله تعالى انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها الآية على احتمال فانه لم يحصل عرض واباء واشفاق منها حقيقة بل هذا تصوير وتمثيل بان يفرض تشبيه حال التكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها وخطارة شأنها بحال انها عرضت على تلك الاشياء مع عظم أجرامها وقوة متانتها فأبين وأشفقن فالعرض على الجمادات واباؤها واشفاقها محال مفروض يتخيل فى الذهن كالمحقق ونحو قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين فان معنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما واجابتهما له بالطاعة فرضا وتخييلا من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشاف * والوجه الثانى انه تعالى خلق في تلك الجمادات نطقا وادراكا وخاطبهما بما ذكر فأجابت وأبت حقيقة * وبما تقرر علم انّ الاعتراضات على مقامات الحريرى بانها كذب محض لا يجوز شرعا مدفوع بانها منظومة في سلك الحكايات على لسان الجمادات والعجماوات فتكون كلها مجازات مركبة وما قيل ان مثل الحرث ابن همام وابى زيد يصح ان يقع منه مانسب اليه ولا كذلك الجمادات والعجماوات اذ ماحكى على لسانها مستحيل والاستحالة قرينة التمثيل ولا قرينة فيما نسب لمثل الحرث وأبى زيد مدفوع بما ذكره المفسرون في قصة داود عليه السلام في قوله تعالى خصمان بغى بعضنا على بعض فاننا لو لم نقل ان ذلك تصوير وتمثيل لحال داود مع وزيره للزم كذب الملائكة مع انهم معصومون وبما ذكر من التصوير والتمثيل يجاب عما

وقع لمثل ابن الفارض وأضرابه من العارفين فنحو قوله

قلبي يحـدثني بانك متلفي * روحى فداك عرفت أم لم تعرف

يشبه فيه حال الذوق الوجدانى القائم بالشيخ بحال من وقع على لسانه ذلك القول من عشاق الاشباح ويستعار التركيب الثانى للاول على طريق الاستعارة التمثيلية ومثله قوله

لهم أبدا منى حنوّ وان جفوا * ولى ابدا ميل اليهم وان ملوا

فانا لو لم نقل بالتصوير والتمثيل للزم احد امرين الكفر والعياذ بالله ان حمل على مخاطبة الحضرة الالهية أو عدم اللياقة باحوال المشايخ ان حمل على ظاهره من مخاطبة الاشباح المعشوقة والله أعلم

محسنات الاستعارة

حسن الاستعارة غير التخييلية لا يكون الا برعاية جهات التشبيه وذلك بان يكون وافيا بافادة الغرض منه لانها مبنية عليه فهي تابعة له حسنا وقبحا نعم يستثنى من جهات حسنه عدم قوة الشبه بين الطرفين حتى كأنهما متحدان كالشبهة والظلمة في قوله

وكانّ النجوم بين دُجاه * سُنَن لاح بينهنّ ابتداع

فان عدم القوة ليس من محسنات الاستعارة وان كان شرط حسن التشبيه عدم قوة الشبه بين الطرفين أى انه يقبح التشبيه عند قوة الشبه وتحسن الاستعارة عند ذلك فيحسن أن تقول في قلبي نور على سبيل استعارته للعلم دون أن تقول فى قلبي علم كالنور وبان لا تكون مبتذلة وبزيادة بُعدها عن الحقيقة بالترشيح ولذا ترجح على أخويه وبان لا يكون وجه الشبه خفيا جدا بحيث يعدّ الغازا كاستعارة الاسد للانسان الأبخر وان كان ذلك جائزا على الصحيح وبان لا يشم منه رائحة

التشبيه لفظا فالاستعارة في قوله

لا تعجبوا من بِلَى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر

قليلة الحسن فان الضمير فى أزراره لمحبوبه ولا يقال الاستعارة لا يجمع فيها بين الطرفين وقد جمع بينهما هنا فلا استعارة لانا نقول لم يخرج الى باب التشبيه لان ذكر المشبه فيه جاء على وجه لا يشعر بكونه مشبها بل فيه رائحة الاشعار بذلك فقط هـذا وحسن الاستعارة التخييلية تابع لحسن المكنية وليس لها في نفسها تشبيه بل هي حقيقة فحسنها تابع لحسن متبوعها

تتمة

قد يطلقون المجاز لا بالمعنى السابق بل بمعنى خلاف الأصل ويسمى مجاز الاعراب وهو اما بالزيادة نحو ليس كمثله شيء أى ليس مثله على قول ونحو « ثم اسم السلام عليكما » أى ثم السلام عليكما ونحو فاضربوا فوق الاعناق أى اضربوا الاعناق وأدخلوا آل فرعون أى أدخلوا فرعون واما بالحذف نحو وجاء ربك أى أمر ربك ونحو واسال القرية أى أهلهـا على احتمال وسمى مجاز اعراب لتغير الاعراب بالزيادة والحذف وهذا المجاز لا يعم كل زيادة وكل نقص بل يخص بما تغير به الاعراب بخلاف نحو أو كصيب من السماء بمعنى أو كمثل ذوي صيب ونحو فبما رحمة من الله أي فبرحمة

الكناية

الكناية لغـة مصدر كنيت أو كنوت بكذا عن كذا اذا تركت التصريح به واصطلاحا لفظ أطلق وأريد منـه لازم معناه مع قرينة

لا تمنع من ارادة المعنى الاصلى نحو زيد طويل النجاد أى علاقة السيف وليس مرادا بل المراد طول قامته وان لم يكن له نجاد ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقى

واختلف فى الكناية فقال بعضهم انها واسطة بين الحقيقة والمجاز وليست حقيقة لعدم استعمالها فى الموضوع له ومجرد جواز ارادته لا يوجب كون اللفظ مستعملا فيه ولا مجازا لجواز ارادة الموضوع له فيها وقال السعد انها حقيقة فان الكناية عنده لفظ استعمل فيما وضع له لكن لا ليتعلق به الاثبات والنفى ويرجع اليه الصدق والكذب بل لينتقل منه الى لازمه فاللازم هو مناط الاثبات والنفى والصدق والكذب كما يقال فلان طويل النجاد قصدا الى طول قامته وان لم يكن له نجاد بل وان استحال المعنى الحقيقى كما فى قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى كناية عن الاستيلاء والملك فكل هذه كنايات من غير لزوم كذب لان استعمال اللفظ في معناه الحقيقى وطلب دلالته عليه انما هي لقصد الانتقال منه الى لازمه وقال بعضهم انها مجاز وكانه أراد بالمجاز الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لملاحظة علاقة وقرينة منعت أم لم تمنع

وتنقسم الى ثلاثة أقسام ـ الاول كناية يطلب بها صفة من الصفات وهذا القسم نوعان ـ قريبة وهى ما يكون الانتقال فيها الى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمنتقل اليه كالمثال السابق وهو طويل النجاد وقول الشاعر

أكلت دما ان لم أرُعْك بضرة * بعيدة مهوى القُرْط طيبة النشر

فانه كناية عن طول العنق ــ و بعيدة وهي ما يكون الانتقال فيها الى

المطلوب بواسطة أو وسائط كقولك فلان كثير الرماد كناية عن الكرم والوسائط هى الانتقال من كثرة الرماد الى كثرة الاحراق ومنها الى كثرة الطبخ والخبز ومنها الى كثرة الأكَلة ومنها الى الكرم وهو المقصود

ـ الثانى كناية يراد بها نسبة أمر لآخر اثباتا او نفيا نحو

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضُرِبت على ابن الحَشْرج

فان جعل هذه الاشياء في مكانه المختص به يستلزم اثباتها له ونحو المجد بين ثوبيه والكرم بين بُرْديه

ـ الثالث كناية لايراد بها صفة ولا نسبة بل موصوف نحو جاءني حيّ مستوي القامة عريض الاظفار كناية عن الانسان لاختصاص مجموع هذه الاوصاف به ونحو

الضار بين بكل أبيض مِخْذَم * والطاعنين مجامع الأضغان

الضار بين منصوب بامدح المحذوف والابيض السيف والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع والاضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد كنى الشاعر بمجامع الاضغان عن القلوب وهي لاصفة ولا نسبة بل موصوف

وتنقسم أيضا الى تعريض وتلويح ورمز وايماء فالاولى هى التي عرّض فيها بشيء نحو المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده تعريضا بنفى صفة الاسلام عن المؤذى ونحو أنا أعتقد وجوب الصلاة تعريضا لمن يتركها و يعتقد عدم وجوبها بأنه كافر — والثانية هي التي كثرت وسائطها بلا تعريض ككثير الرماد السابق — والثالثة هى التي قلت وسائطها مع خفاء اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القفا او عريض الوسادة كناية عن بلادته و بلاهته — والرابعة هي التي قلت وسائطها

مع وضوح اللزوم بلا تعريض نحو

أو ما رأيت المَجْد ألقى رحله * فى آل طلحة ثم لم يتحوّل

كناية عن كونهم أمجادا أجوادا

نهاية

اتفق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح لانهما كدعوى الشئ بدليل فكأنك تقول في زيد كثير الرماد زيد كريم لانه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ وفى أعتقت رقبة العبد أعتقت العبد لاني أعتقت رقبته وهلم جرا — وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه لان مبناها على ادعاء اتحاد المشبه بالمشبه به ومعنى أبلغية الثلاثة انها تفيد فى اثبات المعنى تاكيدا لا تفيده مقابلاتها والله أعلم

تمرين

بين أنواع التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية فيما يأتى

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ـ فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ـ ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ـ القضاة دعائم العدل وبأيديهم أزمة الفصل والفضل ـ وقول الحريرى فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجوَّ الضياء لبثنا فى الانتظار الى ان هَرِم النهار وكاد جُرُف اليوم ينهار ـ وقوله أيضا ولما قوّض الليل خيامه ورفع الصبح اعلامه كان كذا وكذا ـ وقول ابن الساعاتى

والطل فى سلك الغصون كلؤلؤ * رطب يصافحه النسيم فيسقط

والطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقّط

ـ له راحة ينهل جودا بنانها * ووجه اذا قابلته يتهلل
يرى الحق للزوّار حتى كأنه * عليهم وحاشا قدره يتطفل
ـ وقول الصفدى
اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحرّ منا ونابا
صبرنا ولم نشك أحداثه * لأنا نعاف التشكي ونابى
ـ وقول الآخر
وقفتَ وما بالموت شك لواقف * كأنك في جفن الردَى وهو نائم
تمرّ بك الابطال كَلْمَى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم
ـ فلان طاهر الذيل نقي الكف ـ وقول الشاعر في وصف عفيفة
يبيت بمَنجاة من اللوْم بيتها * اذا ما بيوت بالملامة حلتِ
ـ وقول ابن حبيب الحلبي في وصف السماء

أيقظتني ليلةً دواعى الهموم فنظرة نظرة في النجوم فاذا السماء روضة زاهره أو صرح أضواؤه مسفره أو غدير تطفو عليه الفواقع أو بنفسج نَوْر أقاحه لامع أو جمر في خلال رماد أو كما قال من أجاد

بساط زمرد بسطت عليه * دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرّة يجري في سندسها و يسري ليسقي ذوابل نرجسها فبينما أسرح في درر الدرارىّ نظري وأروض في رياضها جواد فكري وأقدّس من هي مسخرات بامره وأنزه من هدي خلقه بها في بره وبحره اذهب نسيم السحر يروى عن أهل نجد أطيب الخبر فعطر الكون بعَرْفه وملك الفؤاد برقته ولطفه فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده فلما أتممت الانشاء والانشاد وشرعت في طلب الاسعاف والاسعاد تبسم الفجر ضاحكا من شرقه ونصب أعلامه على منازل أفقه واقتنص بازى الضوء غرابَ الظلام وفض كافور النور مسك الختام

القسم الثالث البديع

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة على المراد كما عرفت من علمي المعاني والبيان فتحسين الكلام بهما ذاتي وبه عرضيّ كما سبق

وأول من اخترعه وسماه بهذا الاسم عبدالله بن المعتز سنة أربع وسبعين ومائتين وكان قد جمع منه سبعة عشر نوعا وقال ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ومن أراد أن يقتصر على ما اخترعناه فليفعل ومن رأى اضافة شيء من المحاسن اليه فله اختياره وجمع معاصره قدامة بن جعفر الكاتب عشرين نوعا في كتابه المعروف بنقد قدامة اتفق معه في سبعة وسلم له ثلاثة عشر فكان المجموع ثلاثين اذ ذاك ثم اقتدى بهما كثير من الفضلاء أولهم أبو هلال العسكري ثم ابن رشيق القيرواني ثم شرف الدين التيفاشي ثم جاء من بعدهم الشيخ عبد العزيز الملقب بالصفي الحلي ونظم فيه قصيدة نبوية ميمية وذكر اسم كل نوع بجانب البيت وجعل نفس البيت مثالا شاهدا لذلك النوع وقد جمع فيها مائة وأحدا وخمسين نوعا وان عدت أصناف التجنيس نوعا واحدا كان ذلك مائة وأربعين ثم جاء بعده الشيخ عز الدين الموصلي وعارضه بقصيدة على منوال قصيدته وزاد بعض أنواع معجبا بذكر اسم النوع البديعي في البيت مورّيا به ثم جاء بعده تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي فعارضه وزاحمه ولم يزد عليه في الانواع بل ربما نقص والتزم أيضا تسمية النوع في البيت ثم جاءت بعده الفاضلة عائشة الباعونية ونظمت قصيدة على مثال قصيدته ولم تذكر في البيت اسم النوع محافظة على سلاسة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرح كلٌّ قصيدته

بحسب ما رأى من الاختصار أو التطويل ثم تبعهم الشيخ عبد الغني النابلسي وألف قصيدتين على منوال ما سبق وشرح احداهما وما زال الفضلاء يؤلفون في هذا العلم القصائد والاراجيز مع اختلاف المشارب في تسمية النوع أو تعريفه في نفس النظم والتمثيل له الى أن جاوز مائة وستين نوعا ولنقتصر من هذه الانواع على المهم المتداول والمستعمل حسبما اقتضته دواعى الاختصار بالنسبة لهذا المؤلف المختصر فنقول

تنقسم المحسنات البديعية الى معنوية ولفظية — فالمعنوية ما كان التحسين فيها راجعا الى المعنى أصالة — واللفظية ما كان التحسين فيها راجعا الى اللفظ كذلك وسترد عليك مرتبة على حسب ما ورد فى البديعيات المتداولة

حسن الابتداء أو براعة المطلع

وهى من برع اذا فاق قال العلماء ينبغى للمتكلم أن تزيد عنايته ويكثر اهتمامه في أربعة مواضع وان كان ينبغى عليه أن يتحرى الاجود في سائر عباراته وهى براعة المطلع وحسن التخلص وحسن الطلب وحسن الختام ـ فبراعة المطلع أن تكون الالفاظ مختارة لاينفر منها السامع ولا يتعلق بها نقد وان كان الكلام شعرا أو نثرا مسجعا لزم أن يكون كل من الشطرين أو القرينتين مستقلا بالافادة مع المناسبة بينهما واشتمال أول الكلام على اشارة لطيفة الى المقصود ـ وسموا ذلك براعة الاستهلال أيضا كقول الشاعر يهنئ بمولود

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا * وطالع السعد في أفق العلا صعدا
لم يتخذ ولدا الا مبالغة * في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

وكقول المتنبي يهنئ بالصحة بعد المرض

المجد عُوفي اذ عوفيت والكرم * وزال منك الى أعدائك السقم
وكقول القَطامى في الوعظ
ألا أيها اللاحى كفاك عتابا * ونفسك وفّقْ ما استطعت صوابا
وكقول بعضهم يهنئ ببناء قصر
قَصْر عليه تحية وسلام * خلعَتْ عليه جمالها الايام
وكقول أبي تمام في مطلع قصيدة رثاء
كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
وينبغي أن يتجنب في مطالع المديح والتهاني ما يتطير منه كقول مقاتل ابن ضرير يمدح الداعى العلوي * موعد أحبابك بالفرقة غد * فعند انشادها تطير الداعى فقال بل موعد أحبابك ولك المثل السوء وكقول آخر في تهنئته بيوم المهرجان
لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرّة الداعى ويوم المهرجان
فأمر بضربه خمسين وقال اصلاح أدبه خير من اثابته وكقول اسحق الموصلي في مطلع قصيدة يهنئ بها المعتصم العباسي بقصر بناه
يا دار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعري ما الذي أبلاك
فتطير المعتصم وأمر بهدمه ومدح جرير بعض الأمراء فقال في مطلع قصيدته * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال الممدوح بل فؤادك فمثل هذا لا ينبغي أن يفتتح به الكلام بل تلاحظ المناسبات

الجناس

ويقال له التجنيس والتجانس والمجانسة ولا يستحسن الا اذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير وتمكن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسى من الالفاظ ما يزينها

حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام موقعا صاحبه في قول من قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة * أو ما ترى تأليفه للاحرف

وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء اليه لان النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب — وينقسم الى لفظي ومعنوي فاللفظي أنواع

منها « الجناس التام » وهو ايراد اللفظين المتشابهين المتفقين فى أنواع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها مع اختلاف المعنى فان كانا من نوع كاسمين سمى مماثلا نحو ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة المراد والله أعلم بالساعة الأولى القيامة وبالثانية الساعة من ساعات ايام الدنيا ونحو رَحْبة رَحْبة الأولى فناء الدار والثانية بمعنى واسعة — وان كانا من نوعين سمى المستوفى كقوله

ما مات من كرم الزمان فانه * يحيا لدى يحيي بن عبد الله

فيحيا الأولى فعل مضارع والثانية علم على الكريم الممدوح — ويحسن من هذا النوع قول بعضهم

اذا رماك الدهر في معشر * قد اجمع الناس على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم * وارضهم مادمت في ارضهم

— وقول الآخر

وَخْز الأسنة والخضوع لناقص * أمران في رأى النهى مُرّانِ
والرأي فيما دونه الامران أن * تختار وقع اسنة المرّان

ومنها « الجناس المطلق » وهو توافق ركنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق كقوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعُصَيَّة عصت الله ورسوله فان جمعهما اشتقاق

نحو لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد فقيل يسمى جناس الاشتقاق وقيل هو غير جناس والصواب الاول

ومنها « الجناس المذيل » و «الجناس المطرف» فالاول يكون بزيادة احد ركنيه فى آخره والثانى فى اوله فالمذيل كقول ابى تمام

يمدون من ايد عواصٍ عواصم * تصول باسياف قواضٍ قواضب

وقول الخنساء

ان البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح

والمطرف كقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقت منه اليّ عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * لِشُكْرى على تلك اللطائف طائف

ومنها « الجناس المضارع » و « الجناس اللاحق » فالاول يكون باختلاف ركنيه فى حرفين لم يتباعدا مخرجا اما فى الاول نحو ليل دامس وطريق طامس او فى الوسط نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه او فى الآخر نحو الخيل معقود فى نواصيها الخير والثانى يكون فى متباعدين اما فى الاول نحو همزة لمزة او فى الوسط نحو قوله تعالى انه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او فى الآخر نحو واذا جاءهم امر من الامن او الخوف

ومنها « الجناس اللفظى » وهو ما تماثل ركناه لفظا واختلف احد ركنيه عن الآخر خطا اما بالكتابة بالنون والتنوين واما بالاختلاف فى الضاد والظاء او الهاء والتاء فالاول نحو

اعذب خلق الله نطقا وفما * ان لم يكن احق بالحسن فمن

مثل الغزال نظرة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

والثانى نحو قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكقول ابى فراس

ما كنت تصبر فى القديــم فلِمْ صبرت الآن عنا *
ولقد ظننت بك الظنــون لانه من ضن ظنا *

والثالث نحو قوله

اذا جلست الى قوم لتؤنسهم * بما تحدّث من ماض ومن آت
فلا تعيدنْ حديثا ان طبعهمو * موكل بمعاداة المعــادات

ومنها «الجناس المحرّف» و «الجناس المصحف» فالاول ما اختلف ركناه في هيآت الحروف اي حركاتها وسكناتها نحو جُبَّة البُرْد جُنَّة البَرْد ونحو الكَلْم والكَلِم والثانى ما تماثل ركناه وضعا واختلفا نقطا بحيث لو زال اعجام احدهما لم يتميز عن الآخر كقول بعضهم غرّك عزك فصار قَصارُ ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى وكقول ابى فراس

من بحر شعرك أغترف * وبفيض علمك اعترف

وكقول آخر

فان حلوا فليس لهم مقرّ * وان رحلوا فليس لهم مفرّ

ومنها « الجناس المركب » و « الجناس الملفق » فالاول ما اختلف ركناه افرادا وتركيبا فان كان من كلمة وبعض أخرى سمى مرفوّا كقول الحريرى

ولا تلهُ عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يضاهى المزن حال مَصابه
ومثل لعينيك الحِمَام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان كان من كلمتين فان اتفق الركنان خطا سمى مقرونا كقوله

اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه

والاسمى مفروقا كقوله

لا تعرضنّ على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدّوه منك وساوسا تهذى بها

واما الثانى وهو الملفق فيكون بتركيب الركنين جميعا كقوله

وليت الحكم خمسا وهي خُمْس * لعُمْري والصبا في العنفوان
فلم تضع الاعادى قدر شانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

وقول بعضهم

فكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

ومنها «جناس القلب» وهو ما اختلف ركناه في الترتيب نحو حسامه فتح لاوليائه وحتف لاعدائه ويسمى قلب كل لانعكاس الترتيب ونحو اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ويسمى قلب بعض واذا وقع احدهما في اول البيت والآخر في آخره سمى مقلوبا مجنحا كأنه ذو جناحين كقوله

قد لاح أنوار الهدى * فى كفه فى كل حال

وان كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه « فالمستوى » وهو أخص من المقلوب المجنح ويسمى ايضا ما لا يستحيل بالانعكاس نحو كل فى فلك ونحو ربك فكبر ونحو قول الحريرى

أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

ونحو مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودّته تدوم

وللمرحوم الشيخ احمد الحلوانى رسالة كبيرة فى خصوص مالا يستحيل بالانعكاس سماها الرسالة الآصفية

الجناس المعنوى

والجناس المعنوى نوعان جناس اضمار وجناس اشارة فالاول أن تأتى بلفظ يحضر فى ذهنك لفظا آخر وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه بدلالة السياق كقول الشريف ابن طباطبا العلوى

منعم الجسم تحكى الماء رقته * وقلبه قسوة يحكى أبا أوس

وأوس شاعر مشهورمن شعراء العرب واسم ابيه حجر فلفظ أبى أوس يحضر فى الذهن اسمه وهو حجر وهو غير مراد وانما المراد الحجر المعلوم وكان هذا النوع فى مبدئه مستنكرا ولكن المتأخرين ولعوا به وقالوا منه كثيرا فمن ذلك قول البهاء زهير فى ذم جاهل

وجاهل طال به عنائى * لازمنى وذاك من شقائى
أبغض للعين من الاقذاء * أثقل من شماتة الاعداء
فهو اذا رأته عين الرائى * ابو معاذ او اخو الخنساء

« وجناس الاشارة » هو ما ذكر فيه احد الركنين وأشير للآخر بما يدل عليه وذلك اذا لم يساعد الشعر على التصريح به كقول امرأة عربية من عقيل

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشدّ الاباعر

أرادت ان تقول تشد الجمال للتجانس مع الجمال فأبت عليها القافية وكقول بعضهم

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خدّ ندى

اراد ان يقول العقارب فتعاصى عليه اللفظ ولم يحمله البيت وكقول النابلسى فيمن اسمه حمزة

يا حمزة اسمح بوصل * وامنن علينا بقرب

في ثغرك اسمك أضحى * مصحفا وبقلبي

فقد ذكر احد المتجانسين وهو حمزة واشار الى الجناس فيه بأن مصحفه في ثغره أي خمرة وفي قلبه اي جمرة ـ الى هنا تمت انواع الجناس بقسميه واليك بقية أنواع البديع وهي

(الاستطراد) هو ذكر الشيء في غير محله لمناسبة بان يخرج المتكلم من الكلام الذي هو مترسل فيه الى غيره باستدعاء مناسبة ثم يرجع الى ما كان فيه وبهذا يعرف الفرق بينه وبين حسن التخلص الآتي نحو قول السموأل بن عاديا اليهودي

وإنا أناس لا نرى الموت سُبَّة * اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا واحد حَتْف أنفه * ولا طُلّ منا حيث كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر وتنسيق مآثر المجد واستطرد منه الى هجاء عامر وسلول ثم عاد لغرضه المقصود ومنه قول عبد المطلب على ما قاله النابلسي في شرح بديعيته

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * فان تسلت اسلناها على الأسل

لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

قال فسياق الكلام في الفخر واستطرد منه الى ذكر النوم وفيه شيء وهذا النوع في القرآن المجيد وفي اشعار العرب كثير وأكثر مايكون في الهجاء نحو قول بعضهم

لله بستان حللنا دوحه * في جنة قد فتحت ابوابها

والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضي القضاة فنفشت أذنابها

(والمقابلة) هي الجمع بين أمور متقابلة كل بضده على الترتيب وقد تكون بين اثنين نحو قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فالمقابلة

بين الضحك والبكاء والقلة والكثرة ـ و بين ثلاثة نحو قوله تعالى يحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث وهي ظاهرة ونحو قول الشاعر

ما أحسنَ الدينَ والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفرَ والافلاس بالرجل

ـ و بين اربعة نحو قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومعنى استغنى زهد فيما عند الله واستغنى عنه فلم يراقب مولاه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة ـ و بين خمسة كقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثني وبياض الصبح يُغرِى بى

وأخذ بعضهم معنى هذا البيت فقال

أقلى النهار اذا اضاء صباحه * واظل انتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر عابسا

ـ وتكون بين ستة كقول الشاعر

على رأس عبد تاج عزٍ يزينه * وفى رجل حرّ قيد ذل يشينه

(والمشاكلة) هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبة ذلك الغير تحقيقا او تقديرا فالاول كقوله

قالوا اقترح شيأ نُجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أي اطلب شيأ نجد بضم النون مجزوم فى جواب الامر أي نحسن لك طبخه قلت اطبخوا لى أى خيطوا لي جبة وقميصا فذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام ونحو قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أطلقت النفس على ذات المولى سبحانه وتعالى لوقوعها فى صحبة لفظة نفسى ـ والثانى كقوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة أي تطهير الله فهو مصدر مؤكد لمضمون قوله آمنا بالله اذ الايمان مطهر لنفوس المؤمنين والاصل فيه ان النصارى كانوا

يغمسون اولادهم فى ماء اصفر بسمونه المعمودية و يقولون على زعمهم ان الولد صار بذلك نصرانيا حقا فأمر المؤمنون ان يقولوا صبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم ايها النصارى فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة وهي وقوعه فى صحبة صبغة النصارى تقديرا لدلالة الحال وهو سبب النزول

(والاستخدام) هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره أو الاشارة اليــه معناه الآخر أو يراد باحد ضميريه أحدهما و بالآخر معناه الآخر فالاول بقسميه كقول ابن معتوق الموسوى

تالله ما ذكر العقيق وأهله * الا وأجراه الغرام بمحجرى

وكقول الآخر

رأى العقيق فاجرى ذاك ناظرهُ * متيم لج فى الأشــواق خاطره

ذكر العقيق بمعنى المكان المعلوم وأعاد عليه الضمير فى الاول وأشار اليه فى الثاني بمعنى الحجر المعلوم بحمرة اللون يريد تشبيه دموعه به ونحو

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث و بضميره فى رعيناه النبات وكلاهما معنى مجازيّ للسماء ـ والثاني كقوله

فسقى الغضا والساكنيه وان همو * شبُّــوه بين جوانحي وضلوعى

الغضا بالقصر شجر شديد الاشتعال تمكث به النار زمنا وشبوه أوقدوه أى اللهم اسق شجر الغضا والساكنيه أى الغضا بمعنى المكان المعلوم وهم أحباؤه فدعا لأحبته النازلين بذلك المكان بالسقيا وان أحرقوا قلبه بنار الجوى أراد باحد ضميرى الغضا المجرور بالاضافة المكان و بالآخر المنصوب في شبوه النار الحاصلة من شجر الغضا وكلاهما مجاز للغضا

وثم استخدام آخر أثبته بعضهم وهو أن تكون كلمة لهــا معنيان

فتذكرها وتريد أحدهما ثم تعيدها مريدا الآخر ناصبا في الكلام لكل منهما دليلا كقول بعضهم

دع الهُوَيْنا واكتسب وانتصب * واكدَحْ فنفس الحر كَدَّاحه
وكن عن الراحة في معزل * فالصَّفع موجود مع الراحه

أراد بالراحة في الاول البطالة وفي الثاني راحة الكف ويسميه بعضهم شبه استخدام

(والافتنان) هو أن يجمع المتكلم في كلامه بين فنين من المعاني مثل الغزل والحماسة والمدح والهجاء والتهنئة والتعزية فمن ذلك قول عبد الله ابن همام السلولى يوم مات معاوية وتولى ابنه يزيد ودخل عليه الناس وكانوا في حيرة مما يقولون — آجرك الله على الرزيه وبارك لك في العطيه وأعانك على الرعيه فقد رزئت عظيما وأعطيت جسيما فاشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رُزِيت فقد فقدت الخليفه واُعطِيت الخلافه ففارقت خليلا ووهبت جليلا ثم أنشد

اصبر يزيد فقد فارقت ذاثقة * واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح في الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ونحو قول ابن نباتة المصري في الجمع بين التهنئة والتعزية يوم مات الملك المؤيد وتولى بعده ابنه الأفضل

هناء محا ذاك العزاء المقدّما * فما عَبَس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

ومن الجمع بين الغزل والحماسة قول عبد الله بن طاهر

نحن قوم تذيبنا الأعين النجـ * ـل على أننا نذيب الحديدا
طوع أيدي الغرام تقتادنا الغيـ * ـد ونقتاد بالطِّعان الاُسُودا

ومن ذلك أيضا قول عنترة يخاطب عبلة

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهـل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها * لمعت كبـارق ثغرك المتبسم

وقد أكثر الناس من ذلك النوع نثرا ونظما — واذا جمع المتكلم بين معان كثيرة خص من بين الافتنان باسم التمريج أي جعل الكلام مثل المرج الذي يشتمل على أنواع من النباتات المختلفة

(واللف والنشر) وهو ذكر متعدد ثم ذكر ما لكل واحد من المتعلقات من غير تعيين ثقةً بان السامع يردّ الى كل ما هو له -- وهو قسمان — الاول أن يذكر المتعدد على سبيل التفصيل لفا ثم يذكر ما لكل واحد منه نشرا سواء كان النشر على ترتيب اللف كقوله تعالى ومن رحمتـه جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ذكر الليـل والنهار ثم ذكر ما لليل من السكون فيه وما للنهار من الابتغاء من فضله تعالى فيه على الترتيب وكقول ابن حيوس

فِعلُ المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وكقول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهـدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وكقول حمدونة الاندلسية

ولما أبى الواشون الا فراقنا * وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشـنوا على أسماعنـا كل غارة * وقلّ حُمَـاتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهمو من مقلتيّ وأدمعي * ومن نَفَسي بالسيف والسيل والنار

أم لم تكن على ترتيب اللف بأن كان النشر معكوسا كقوله

كيف أسلو وأنت حِقـف وغصن * وغزال لحظـا وقدّا وردفا

فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف وهو الرمل المتراكم —

أو مختلطا كقوله هو شمس وأسد وبحر جودا وبهاء وشجاعة فالجود للبحر والبهاء للشمس والشجاعة للاسد — والثانى أن يذكر المتعدد على سبيل الاجمال ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده نحو قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فالواو فى قالوا عبارة عن اليهود والنصارى أى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى اذ كل أمة منهما تكفر الأخرى ومنه قول ابن حيوس

وأربعة لم تفترق مذ جمعتَها * فلا افترقت ماذب عن ناظرى شَفْر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

(والاستدراك) وهو رفع وهم نشأ من الكلام السابق وشرطه أن يكون بلفظ لكن وبه يظهر الفرق بينه وبين القول بالموجب الآتى وبعضهم لم يفرق بينهما في الشواهد ولا يعدّ هذا النوع من البديع الا اذا اشتمل على نكتة زائدة يعترف بها الذوق كقول ابن دويدة المعرّي يخاطب رجلا أودع قاضيا مالا فادّعى ضياعه

ان قال قد ضاعت فصدّق أنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
أو قال قد وقعت فصدّق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ولبعضهم

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرّم
ويزعم كل أن تُحَط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

ولبعضهم

واخوان حسبتهمو دروعا * فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهمو سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد سعينا كل سعى * فقلت نعم ولكن في فسادي

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي

(والابهام) بالباء الموحدة ويسمى التوجيه أيضا وهو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين على السواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه * يحكى أن محمد بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته بوران التي ينسب اليها الاطبخة البورانية بالخليفة المأمون العباسي مع من هناه فاثابهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرماني قلت فيك بيتا لا يعرف أهو مدح أم ذم فاستحضره وسأله فأقرّ فقال الحسن لا أعطيك أو تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يدر ببنت من في العظمة وعلو الشان ورفعة المنزلة أم في الدناءة والخسة فاستحسن الحسن منه ذلك وسأله أمن مبتكراتك فقال لا بل نقلته من شعر بشار بن برد وكان كثير العبث بهذا النوع وذلك أن بشارا فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا تدري أهو جبة أم قَبَاء فقال بشار اذا أنظم فيك بيتا لا يدرى أدعوت لك ام عليك فلما خاطه له كذلك قال بشار

خاط لى عمرو قَبَاء * ليت عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا * أمديح ام هجاء

قيل ومنه ايضا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه يردّ على من هجا النبي صلى الله عليه وسلم

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

ورده بعضهم وهو الظاهر

ومنه ما يحكى ان أعجميا سأل ابن الجوزى بقوله أيّ الرجلين افضل ابو بكر ام عليّ فقال ابن الجوزى من كانت ابنته تحته فالضمير الاول ان عاد على من فهو تفضيل لابي بكر وابنته عائشة رضي الله عنها والضمير الثانى يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم وان عاد الضمير الثانى على من والأول على النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة فهو تفضيل لعلي

(والمطابقة)وتسمى الطباق والتكافؤ والتضادّ وهى الجمع بين معنيين فقط متقابلين أي متضادّين وخرج بفقط المقابلة كما تقدم ويشترط في المعنيين أن يكون بينهما تناف ولو من بعض الوجوه * وتكون بين اسمين نحو وتحسبهم أيقاظا وهم رقود أو فعلين نحو يحيي ويميت ونحو ثم لا يموت فيها ولا يحيا ونحو تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وكقول الشاعر

أمَا والذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأَحيا والذى أمره الأمر
لقد تركَتنى أحسد الوحش أن أرى * خليلين منها لا يروعهما الذُعر

أو حرفين نحو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وكقول الشاعر

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخرج منه لا عليّ ولا ليا

فان فى اللام معنى المنفعة وفي على معنى المضرة ـ أو مختلفين نحو أومن كان ميتا فأحييناه ونحو وأحيي الموتى باذن الله * ثم التقابل اما ظاهر كما مر واما خفيّ نحو قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا نارا فادخال النار مستلزم للاحراق المضادّ للاغراق ونحو قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة * ثم هما اما متفقان فى الايجاب والسلب كما مر أو مختلفان نحو ولكن أكثر الناس لا يعلمون

يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ونحو ولا تخشوا الناس واخشون ونحو قول الشاعر

لقد خرجت من الجُثمان روحي * وما خرجت سعاد من الخيام

و يسمى هذا طباق السلب فان عبر عن المعنيين الغير المتقابلين بلفظين متقابلين سمى ايهام التضاد كقوله

لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فانّ ضحك بمعنى ظهر و بكى بمعناه الحقيقي — ومن الطباق ما يسمى بالتدبيج مأخوذ من دبج المطر الارض زينها وهو أن يؤتى في معنى من المعانى بألوان متقابلة لقصد الكناية أو التورية فالاول نحو قوله

تردَّى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

يعنى ارتدى الثياب الملطخة بالدم من الجراح فلم ينقض يوم قتله الا وقد دخل الجنة فلبس الثياب السندسية فكنى بالحمرة عن القتل و بالخضرة عن دخول الجنة والثانى (المحبوب الاصغر) من قول الحريرى « قد اغبر العيش الاخضر وازورّ المحبوب الاصفر واسودّ يومى الابيض وابيض فودى الأسود حتى رثى لي العدوّ الازرق فياحبذا الموت الاحمر » فاخضرار العيش كناية عن طيبه واغبراره كناية عن ضيقه وازورّ بعد واسودّ كناية عن الحزن وابيض كناية عن السرور والفود بفتح الفاء وسكون الواو شعر جانب الرأس مما يلى الاذن وابيضاضه كناية عن الهم والحزن ورثى عطف عليّ والعدوّ الازرق الشديد العداوة وأصله الروم والموت الاحمر الشديد فانّ المعنى القريب المحبوب الاصفر انسان به صفرة والبعيد هو الذهب المتعامل به وهو المراد هنا هذا ولا تحسن المطابقة الا اذا صحبها ما يكسوها جمالا كما فى الامثلة السابقة وكقول بن مكانس يمدح بعض الملوك العباسيين

يا ابن عم النبيّ ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا امامي ومن سواك مَجَاز

(وارسال المثل والكلام الجامع)فالاول هو عبارة عن أن يأتى المتكلم في بعض كلامه بما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها مما يحسن التمثل به ويكون بعض بيت والثانى هو الاول الا أنه يكون بيتا كاملا أو كلاما مستقلا يتمثل به فمن ارسال المثل قول المتنبي

فان حلمك حلم لا تَكَلَّفه * « ليس التكحل في العينين كالكحل »

وقوله أيضا

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * « في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل »
وما ثَنَاك كلام الناس عن كرم * « ومن يسدّ طريق العارض الهطل »

وقول النواجى

بدا ليل العذار فلمت قلبي * وقلت سلوت اذ طلع العذار
فاشرق صبح غرّته ينادي * « كلام الليل يمحوه النهار »

ولهذا الشطر الأخير واقعة حال مشهورة عند أهل الادب * ومن الثانى أي الكلام الجامع قول امرىء القيس

اذا المرء لم يخزُن عليه لسانَه * فليس على شيء سواه بخزان

والاحسن فى الاثنين جعلهما نوعا واحدا والضابط أن يكون الكلام صالحا لان يتمثل به في مواطن كثيرة كتشجيع الجبان وتسلية المحزون وتسكين الغضب وتبكيت الخصم وتصبير الجازع وتحلية العتاب وتحسين السكن الى غير ذلك مما يقتضيه مقام التكلم أو الخطاب من الاغراض المتنوعة * والسنة الغراء ملأى بهذا النوع ولهذا قال عليه الصلاة والسلام أعطيت جوامع الكلم فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام آفة العلم النسيان واضاعته أن تحدّث به غير أهله ــ وقوله الحزم سوء

الظن ـ وقوله الحياء من الايمان ـ وقوله لاضرر ولا ضرار فى الاسلام ـ وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة ـ وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ـ وقوله الحكمة ضالة المؤمن ـ وقوله الآمر بالمعروف كفاعله ـ وللخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم خصوصا سيدنا علىّ كرم الله وجهه القدح المعلى في ذلك وكذا بعض مجيدى الشعراء ومن تتبع كلام أبى الطيب المتنبي وجد فيه الكثير الطيب من هذا النوع

(والتخيير) وهو اختيار قافية للبيت من قواف شتى يمكن ان يتم باحداها بدون خلل ويكون ما اختاره أمكن من سواه كقول الحريرى

انّ الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

اذ يمكن أن يتم البيت بقوله ماله مال او نشب او خل الخ ولكن لفظ القوت أمكن رعاية لغرض الشكوى وصفة الفاقة وقد مثل علماء هذا الفن لهذا النوع بقول عبد السلام الحمصي المشهور بديك الجن

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعى وقت المنام

ويمكن أن يتم البيت هكذا وقت الرقاد ـ الهجوع ـ الهجود ـ الوسن

فعسى أنام فتنطفى * نار تأجج فى العظام

ويمكن تمامه هكذا فى الفؤاد ـ في الضلوع ـ في الكبود ـ في البدن

دنف تقلبه الأكف * على فراش من سقام

ويمكن تتميمه باحدى هذه من قتاد ـ من دموع ـ من وقود من حزن

أما أنا فكما علمت * فهل لوصلك من دوام

ويمكن أن يتم هكذا من معاد ـ من رجوع ـ من وجود ـ من ثمن

(والنزاهة) وهي أن يسلم شعر الهجاء من الافحاش بحيث تنشده العذراء في خدرها بدون استحياء منه وهذا النوع خاص بالهجاء والأحسن أن يفسر بسلامة الكلام فى أىّ معنى كان من مستكره

القول وفحشه وشاهده قول أوس

اذا ناقة شُدّت برحل ونمرق * الى حسن بعدى فضل ضلالها

وقول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقول الحطيئة يهجو الزبرقان

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لايذهب العرف بين الله والناس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

ويقال لهذا هجاء الاشراف وأما هجاء السباب فمنه قول جرير

والتغلبيّ اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وقد جمع جرير النوعين فى قوله

ويقضي الامر حين تغيب تيم * ولا يستؤمرون وهم شهود

وانك ان لقيت عبيد تيم * وتيما قلت أيُّهم العبيد

وذم اعرابى قوما فقال هم اقل الناس ذنوبا الى اعدائهم واكثرهم جُرما الى اصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على المنكر ألسنة مملوأة بالوعد وقلوب خربة من المجد

(والتهكم والهزل الذي يراد به الجد) هذان النوعان متشابهان غير ان الاول ظاهره الجد وباطنه الاستهزاء والثانى عكسه ـ فمن الاول قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وقوله فبشرهم بعذاب أليم فذكر ما يلائم النفوس من الالفاظ الدالة على الاجلال والتعظيم والتبشير والتهنئة مرادا به الاهانة والسخرية مدلولا على ذلك بقرينة يقال له تهكم ومن الثانى قوله عليه الصلاة والسلام لعجوز لن يدخل الجنة عجوز على سبيل المزاح وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فضاقت لذلك ذرعا فتبسم صلى الله عليه وسلم واخبرها ان اهل

الجنة لا يدخلونها الا شبابا ومنه قول الشاعر

اذا ما تميميّ أتاك مفاخرا * فقل عدّ عن ذا كيف اكلك للضب

اى لا تتفاخر واخبرنى الخ فهو اما استفهام عن الكم اى أتأكله بقلة ام بكثرة او عن الكيف اى أتأكله نيئا ام مطبوخا وهو الظاهر

(والقول بالموجب) وهو نوعان أحدهما أن يقع فى كلام أحد اثبات صفة لشيءٍ وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشيءٍ ساكتا عن الحكم كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أراد المنافقون بالاعز أنفسهم وبالاذلّ المؤمنين ورتبوا على ذلك الاخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين وأبقيت صفة الاذلية للمنافقين * وثانيهما ويسمى بالاسلوب الحكيم كما تقدم في اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر هو حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه اشارة الى انه الاولى والاليق كقوله

قلت ثقّلتُ اذ أتيت مرارا * قال ثقلتَ كاهلى بالايادى

وقوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك

قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى ياغصن ان يستميلك

(والتسليم) وهو أن تنفى شيأ ثم تفرض ثبوته وتبين أنه لا فائدة فيه على كل حال كقوله

اذا أنا عاتبت الملوم فانما * أخط باقلامى على الماء احرفا

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودّته طبعا فصارت تكلفا

وكقول المعتمد بن عباد

ثلاثة منعتها من زيارتنا * خوف الوشاة وخوف العاذل الحنق

ضوءالجبين ووسواس الحُلِيِّ وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحَلْي تنزِعه ما حيلة العرق

(والاقتباس) وهو ان يضمن الكلام نظما كان أو نثرا شيأ من القرآن أو الحديث لاعلى أنه منه ويحسن اذا وطن للمقتبس بحيث يكون داخلا فى الكلام دخولا تاما وأحسنه ما كان فى المواضع الشريفة كالوعظ والتذكير والزهد والمدائح النبوية وهو ضربان ـ أحدهما ما لم ينتقل فيه المقتبس عن معناه الاصلى كقول الحريرى من القرآن فلم يك الا كلمح البصر او هو اقرب حتى أنشد فأغرب وقول الآخر

ان كنت أزمعت على هجرنا * من غير ما جُرْم فصبر جميل
وان تبدّلت بنا غيرنا * فحسبنا الله ونعم الوكيل

والثانى ما نقل فيه عن معناه الاصلى كقول ابن الرومى

لئن أخطأت في مدحيـ * ـك ما أخطأت فى منعى
لقد أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

فمعناه فى القرآن المجيد الوادى الذى لا ماء به ولا نبات ونقله الشاعر الى جناب لا خير فيه * ولا يضر يسير التغيير للوزن او غيره كقوله

قد كان ما خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

ونحو قول الصاحب من الحديث

قال لى انّ رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنـ * ـة حفت بالمكاره

ولفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ـ وكقول بعضهم

أيها السائل قوما * مالهم فى الخير مذهب
اترك الناس جميعا * والى ربك فارغب

وقول بعضهم

اعبد الله ودع عنـ * ـك التوانى بالهجود
ومن الليل فسبحـ * ـه وادبار السجود

(والتفويف) وهو أن يأتى الشاعر بجمل متناسقة متتابعة وحسنه اذا كان خاليا من الركاكة المؤدية لثقل النطق ومنه قول ابن زيدون

تِـه أحتمل واستطل أصبر وعِـز أهُـن * وولّ أقبل وقل أسمع ومر أطع

وهو اما بالجمل المتوسطة كما فى هذا البيت واما بالطويلة وهو قليل واما بالقصيرة وهو الاكثر ولا يخلو من تعسف ومنه قول المتنبي

أقل أنل أقطع احمل علّ سلّ أعد * زد هش بش تفضل أدن سرّ صل

أقل العثرة أي سامح وانل اعط واقطع اي اعط قطعة ارض واحمل اي اعط فرسا للحمل وعلّ ارفع الشأن وسلّ من التسلية عن فائت واعد من اعاد اي كرر له سؤله وهشّ وبشّ اي اظهر البشر وتفضل من الفضل وادن اي قرّبه منك وسرّ اي اعطه سرية اي جارية للفراش ولا يخفى ما في ذلك من شديد التكلف

(والمواربة) بالراء المهملة والباء الموحدة وهي فى الاصل المخادعة والدهاء وفى الاصطلاح ان يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه ان يغير معناه بتحريف او تصحيف ليسلم من المؤاخذة ويصل الى غرضه مع سلامة العاقبة كقول ابن منهال عتبان بن وصيلة وكان من قوم خرجوا على عبد الملك بن مروان ثم قدر عليهم وخضعوا

وأبلغ امـير المؤمنـين رسالة * وذو النصح لو يدعى اليه قريب
فلا نصح ما دامت منابر ارضنا * يقوم عليها من ثقيفَ خطيب
وانك الا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب
فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب
فلما استحضره عبدالملك قال ياعدوّ الله ألست القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال قلت ومنا امير المؤمنين شبيب فنصب ما كان مرفوعا فأفرده بالامارة — ومثله ان اسعد بن مماتى القاضى دخل يوما على عبد الرحيم الفاضل وكان قاضى قضاة مصر وذا نفوذ تام عند الملك يوسف صلاح الدين وكان قاضى القضاة أحدب وامامه اترجة كبيرة مساوية لرأسه فأخذ اسعد يفكر فى تلك الحالة فقال له الفاضل عبد الرحيم ما بالك تفكر فقال حضرنى شيء فقال هات فقال

لله بل للحسن اترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

فاستحسنه منه ولما خرج قال له بعض من كان حاضرا أما خشيت ان يصحف هيبة بهيئة فتكون قد جلبت على نفسك الويل فقال اسعد هذا ما قصدت ولكن الله سلم ومنه قول ابى نواس

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

ولما استحضر مسح تجويف العين من الموضعين وقال لما أنب انما قلت ضاء فقال بعض الادباء هذا بيت قلعت عيناه فأبصر

(ومراعاة النظير) وهو ذكر متناسبين فأكثر ويسمى التناسب والتوافق والائتلاف والتلفيق ايضا وذلك بايراد الفاظ بين معانيها تناسب كقوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ويلحق بها ما يتناسب فى بعض الاحيان لفظا كالنجم مع الشمس والقمر فى هذه الاية فان المراد به هنا النبات الذى لا ساق له مع كونه يستعمل بمعنى الكوكب فى غير هذا التركيب فيتناسب مع الشمس والقمر تناسبا معنويا ومن التناسب المعنوى قوله

كأنّ الثريّا علقت فى جبينها * وفى نحرها الشعرى وفى خدها القمر

ومن اللفظى قوله

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤمّ الرسم غيّره النقط

أي وناقة فى نحافتها وانحنائها كنون تحت راء اي راكب يضربها على رئتها ولم يكن بذى رفق بها ويؤمّ يقصد الطريق الذى غيره وازال آثاره قطر الماء وهذا يسمى بايهام التناسب * ومن مراعاة النظير ذكر أسماء الكتب او المؤلفين او ما شاكل ذلك كقول النابلسى يمدح عالما

منار التقى تنقيح كل ملمه * ومرقاة أوج المجد رب الندى الرحب

خلاصة اهل العصر مجمع شملهم * هدايتهم ايضاح اصلاح ذى اللب

هو الشهم مصباح العلوم وذو يد * عن العيش للاقوام كافية الكرب

مطوّل مدحى صار مختصرا به * ألا انه المفتاح للمنزل الخصب

(والتورية) وتسمى الايهام بالياء المثناة تحت بعد الهمزة وهي أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما اعتمادا على قرينة خفية ثم هي اما مجردة واما مرشحة فالمجردة هي ما لم تقترن بما يلائم القريب نحو الرحمن على العرش استوي أي استولى لا جلس ولم تقترن بما يلائم الجلوس والمرشحة هي ما قرنت بما يلائم المعنى القريب سواء ذكر قبله نحو والسماء بنيناها بأيد أراد بالايدى القدرة لا الجارحة المعروفة وقرنها بالبناء المناسب لها أو ذكر بعده نحو

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحُلَل

أو الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرّق بين الجدي والحمل

أراد بالغزالة الشمس لا الحيوان المعروف وقرنها بالخرافة والجدي والحمل المناسبة لها يشكو الشاعر شدة البرد في غير اوانه وان الشمس لم تفرق بين برج الجدي وبرج الحمل فنزلت بالاول فى اوان الثانى ونحو قوله

حملناهمو طرا على الدُّهم بعد ما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فالدهم هنا القيود لا الخيل السود كما تدل عليه القرينة وكقول الحريرى

يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف فى الانديه
قتلتها لا أتقى وارثا * يطلب منى قودا او ديه

فمن سمع العانس وهي البكر التى فات أوان زواجها وسمع القتل ظن أنه اراد قتل البكر مع انه يريد قتل الخمرة بمزجها بالماء وقد يكون كل من توريتين فأكثر ترشيحا للاخرى كقول المعرى

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

أراد بالجد الحظ وبالعم عامة الناس أي جماعتهم وبالخال المخيلة وفى هذا البيت ايضا مراعاة النظير ومثل هذا البيت فيهما ما سبق فى قوله وحرف كنون الخ

(والمزاوجة) وهي ترتيب فعل واحد مختلف المتعلق على شرط وجزائه نحو قول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلَجَّ بى الهوى * أصاخت الى الواشى فلج بها الهَجْر

زاوج بين نهي الناهى واصاختها الى الواشي الواقعين فى الشرط والجزاء حيث رتب أمرا واحدا على كل منهما وهو اللج ومثله قول بعضهم

اذا ما بدت فازداد منها جمالها * نظرت لها فازداد منى غرامها

وهذا النوع قليل فى الكلام

(والعكس) ويسمى القلب والتصدير وهو أن تقدم جزأ فى الكلام ثم تؤخره بأن تؤخر ما قدمت وتقدم ما أخرت ويقع العكس على وجوه منها ان يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف اليه ذلك الطرف نحو عادات السادات سادات العادات ومنه قول المتنبي

أرى كل ذى مُلك اليك مصيره * كأنك بحر والملوك جداول
اذا أمطرت منهم ومنك سحابة * فوابلهم طَلٌّ وطلك وابل

- ومنها ان يقع بين متعلقي فعلين فى جملتين نحو قوله تعالى يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ - ومنها ان يقع بين لفظين فى طرفي جملتين نحو قوله تعالى لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن فقدّم اوّلا لفظ هن على لفظ هم وثانيا هم على هن وهما لفظان وقع أحدهما فى جانب المسند اليه والآخر فى جانب المسند - او بين طرفي الجملتين كقول سعد الدين التفتازانى

طويت باحراز الفنون ونيلها * رداء شباب والجنون فنون
فحين تعاطيت الفنون وحظها * تبين لى أن الفُنُون جنون

وقد يكون بترديد مصراع البيت معكوسا ليقوم منه بيت كامل نحو

ندیمتی جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

وقد عرّف بعضهم هذا النوع بأنه تقديم لفظ من الكلام وتأخيره فيكون صادقا بما تقدم ورد العجز على الصدر الآتى بعد

(والجمع) وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر فى حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكقول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دَجَوْن نجوم

وكقول ابى العتاهية

ان الشباب والفراغ والجِدَه * مفسدة للمرء ايّ مفسده

وقول ياقوت الرومى والشاهد فى البيت الثانى

بديع جمال بان صبرى لبينه * وعرّضنى إعراضه لِحَمامى
حياتى وموتى فى يديه وجنتى * وناری وریّى فى الهوى وأوامى

(والتفريق) وهو عكس الجمع وذلك بأن يوقع المتكلم التفريق بين أمرين فى الحكم نحو قوله فى المدح

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير وقت سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وكقول الواوا الدمشقى فيه أيضا

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين مثلين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامعُ العين

ومن معناه وفيه الشاهد ايضا

من قاس جدواك يوما * بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكى * وأنت تعطى وتضحك

ونحو قول الشاعر فى الغزل

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

فقد فرق بين النوالين فى الاول و بين الجودين والعطاءين فى الثانى والثالث و بين الجمالين فى الرابع

(والتقسيم)وهو ذكر متعدد واضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر اذ لا تعيين فيه بل هو موكول الى الافهام كقول السلمى

ولا يقيم على ضيم يراد به * الا الأذلان عَيْر الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

ذكر العير بفتح العين وهو الحمار الوحشي او الأهلى والوتد ثم اضاف الى الاول الربط على الخسف اي الذل والى الثانى الشج

(والجمع مع التفريق) وهو ان يدخل شيئين فى معنى و يفرق بين جهتي الادخال كما تقول قد اسودّ كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا وكقوله

فوجهك كالنار فى ضوئها * وقلبيَ كالنـار فى حرها

أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ثم فرق بينهما بان وجه الشبه فى الوجه الضوء و فى القلب الحرارة وكقول البحتري .

ولما التقينا والنَّـقا موعد لنا * تعجب رائى الدرّ منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عنـد ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وجعل النابلسي من هذا النوع قول ابن الوردي فى امام مليح الصورة صلى بسورة يوسف

صلى بنا عذب اللمى * وذو القوام الأهيف

فسمعت سورة يوسف * ورأيت صورة يوسف

(والجمع مع التقسيم) وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو بالعكس فالاول كقول المتنبي يمدح سيف الدولة

حتى أقام على أرباض خَـرْشَـنَـة * تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فقد جمع في البيت الاول شقاء الروم المقيمين بنواحى تلك البلدة وذلك بما يلحقهم من الشدائد التي هي السبي والقتل والنهب والاحراق وقسم فى البيت الثـاني فاضاف كلا الى ما يناسبه ـ والثاني أى التقسيم ثم الجمع كقول حسان رضي الله عنه

قوم اذا حاربوا ضروا عـدوّهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك فيهـم غير محـدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البـدع

قسم في البيت الاول صفة الممدوحين الى الضر بالاعداء والنفع للأولياء ثم جمع في الثاني بان كلا منهما سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم

(والجمع مع التفريق والتقسيم) كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقيّ وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الآية وأما الذين

سعدوا ففي الجنة الآية فقد جمع النفوس بقوله جل شأنه لاتكلم نفس ثم فرق بكون البعض شقيا والبعض سعيدا بقوله فمنهم شقي وسعيد ثم قسم باضافة عذاب النار الى الاشقياء ونعيم الجنة الى السعداء وهو ظاهر وكقول الشاعر

فكالنار ضوأ وكالنار حرا * محيَّا حبيبي وحرقة بالي
فذلك من ضوئه في اختيال * وهذا لحرقته فى اختلال

جمع محيا حبيبه وحرقة باله في كونهما كالنار ثم فرق بين وجهى المشابهة ثم قسمه الى اختيال واختلال * وقد يكون باستيفاء الأقسام للشئ كقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما واستيفاء المعنى في الآية ظاهر ومنه قول العماني العلوي

وفي خمسة منى حَلَت منك خمسة * فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعَرْفك في أنفي

(وتجاهل العارف) وهو سوق المعلوم مساق المجهول لنكتة كالمبالغة فى المدح أو الذم أو التوبيخ فالاول نحو قوله

ألمعُ برق سرى أم ضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظَر الضاحى

وكقوله

أهذه جنة الفردوس أم إرم * أم حضرة حفها العلياء والكرم

فهو في كل منهما يعلم حقيقة الحال لكنه تجاهل وأظهر أنه التبس عليه الامر فلم يدر الحقيقة ليكون غاية فى المدح ـ والثاني كقول زهير

وما أدري وسوف إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

المراد بالقوم في كلامه الرجال ـ والثالث كقول فاطمة الخارجية أخت الوليد بن طريف رئيس الخوارج

أياشجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
ـ ويأتي للتحير والاندهاش فى الحب كقول بعضهم
بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلَى من البشر
أو للاستعطاف كقول الشيخ عبد القادر الكيلاني
أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعارٌ على راعى الحمى وهو قادر * اذا ضاع فى البيدا عِقال بعير

وهذا من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر كما تقدم فى موضعه (والمبالغة المقبولة) المبالغة مطلقا هى ادّعاء بلوغ وصف فى الشدّة أو الضعف حدّا يستحيل أو يبعد فان كان المدعى ممكنا عقلا وعادة فهو تبليغ أو عقلا لاعادة فهو اغراق وان كان مستحيلا عقلا وعادة فهو غلو والأوّلان مقبولان مثال أولهما قول الصفى الحلى يصف فرسا

وعاديَة الى الغارات صبحا * تريك بقدح حافرها التهابا
كأن الصبح ألبسها حجولا * وجنح الليل قمصها اهابا
جواد في الجبال تُخال وعلا * وفى الفلوات تحسبها عقابا
اذا ما سابقتها الريح فرت * وألقت في يد الريح الترابا

وهذا ممكن عقلا وعادة لكنه بعيد جدا ومن هذا النوع أيضا قوله

ونكرم جارنا ما دام فينا * وتتبعه الكرامة حيث مالا

ومثال ثانيهما قول المتنبي

روح تردّد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنها الثوب لم تبن
كفى بجسمى نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

اذ يجوز عقلا وصول الشخص فى النحول الى هذه الحال وان امتنع عادة ـ وأما الغلو فمنه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود فالمقبول ثلاثة أنواع ـ أحدها ما يقترن به ما يقرّبه الى الصحة نحو كاد فى قوله تعالى

يكاد زيتها يضيءُ ولو لم تمسه نار وكقول المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا

ـ ثانيها ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبي يصف فرسا

عقدت سنابكها عليها عِثْيرا * لو تبتغى عَنَـقا عليه لأمكنا

وقول المعري يصف سيفا

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمـد يمسكه لسالا

وقول الأرجاني يصف الليل بالطول

يخيل لي أنْ سمر الشهب في الدجى * وشُـدّت باهدابي اليهن أجفانى

ـ ثالثها ما خرج مخرج الخلاعة كقول النظام

توهمــه طـرفي فآلم طرفه * فصار مكان الوهم في خده أثر

ومرّ بفكري خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

وكذا قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب * غدان ذا من العجب

والمردود ما لم يكن ممكنـا لا عقلا ولا عادة ولم يقترن به ما يقربه الى الصحة كقول أبي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى إنه * لتخافك النطف التي لم تخلق

(وتشابه الاطراف) وهو ختم الكلام بما يناسب صدره كقوله تعالى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فان اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالابصار والخبير يناسب كونه مدركا للاشياء لان المدرك للشيء يكون خبيرا به ـ أو هو جعل عجز جملة صدر تاليتها أو قافية بيت صدر ما يليه كقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّيّ وقوله تعالى ولـكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وكقول ليـلى

الاخيلية تمدح الحجاج بن يوسف

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها * اذا جمحت يوما وحف أذاها

(والارصاد) و يسمى التسهيم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو السجع أو البيت ما يدل عليه نحو قوله تعالى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحو قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

وقول بعضهم

أحلَّت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللتِه بمحلل * وليس الذي حرمتِه بحرام

وقول بعضهم

وان كنت محتاجا الى الحلم إنني * الى الجهل في بعض الأحايين أحوج
فلي فرس للخير بالخير ملجَم * ولي فرس للشرّ بالشرّ مسرج
فمن رام تقويمي فاني مقوّم * ومن رام تعويجي فاني معوّج

(والتوشيح) هذا النوع يقرب مما قبله الا أنه يشترط فيه أن تكون فاتحة الكلام دالة على خاتمته كقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وكل آى القرآن المجيد شواهد لهذا النوع الذي يستدعى أن يكون الكلام في شدة الائتلاف وقوة التلاؤم وكقول أبى فراس الحمدانى في ابن عمه سيف الدولة

فلما ثار سيف الدين ثُرْنا * كما هيجت آسادا غضابا
أسنته اذا لاقى طعانا * صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مشرَعات * فكنا عند دعوته الجوابا

(والرجوع) وهو أن تحكم بحكم ثم ترجع عنه اظهارا لقوة المعنى الذي تريد افادته بالكلام كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفُها القِـدم * بلى وغيرها الارواح والديَـم

طلب الوقوف بالديار التي لم يبلها تطاول العهد ثم عاد الى نقض ما تضمنه الكلام السابق موهما أنه تردد في الحكم عليها بالبلى والتغير ، والارواح جمع ريح والديم جمع ديمة وهو المطر بلا رعد والنكتة اظهار الدهشة كأنه تكلم أوّلا من غير تحقيق ثم رجع الى التحقيق ومنه قول أبى البيداء

ومالي انتصار ان غدا الدهر جائرا * عليّ بلى ان كان من عندك النصر

(وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه) وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قِرَاع الكتائب

ـ والثانى أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب باداة استثناء يليها صفة مدح أخرى له كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش وكقول النابغة الجعدي

فتى كملت اخلاقه غير أنه * جواد فلا يبقى من المال باقيا

والاستدراك في هذا النوع كالاستثناء كقول بعضهم

هو القطب الا أنه البدر طالعا * سوى انه المرّيخ لكنه السعد

وقول الآخر

هو البدر الا أنه البحر زاخرا * سوى أنه الضِّـرغام لكنه الوبل

فلفظ الا وسوى استثناء مثل بيد ولفظ لكن يفيد فائدة الاستثناء في هذا الضرب لان الا في الاستثناء المنقطع بمعنى لكن * وتأكيد المدح بما يشبه الذم قد يأتى بلا استثناء أيضا كقوله

أمير أمير عليه الندى * جواد بخيل بان لا يجود

ـ وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح فهو ضربان أيضا احدهما ان يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم بتقدير دخولها فيها كقولك فلان لا خير فيه الا أنه يسيء الى من أحسن اليه وثانيهما ان يثبت للشيء صفة ذم وتعقب باداة استثناء يليها صفة ذم أخرى كقولك فلان فاسق الا أنه جاهل

(والاستتباع) ويسمى التعليق وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول المتنبي

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

مدحه بنهاية الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لنظام الدنيا حيث حكم بانه لو ورث اعمار من قتلهم لخلد في الدنيا وكانت مهنأة بخلوده وذلك لما فيه من صلاحها به وكقول الخوارزمى

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

مدحه بطلاقة اللسان على وجه استتبع مدحه بالكرم

(والادماج) وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر لم يصرح به كقول المتنبي

أقلب فيه أجفانى كأنى * أعد بها على الدهر الذنوبا

ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر فضمير فيه راجع الى الليل وذلك أنه ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج مستتبعا الشكاية من الدهر والاستتباع السابق نوع من الادماج

(والمذهب الكلامي) وهو ذكر الحجة للمطلوب على طريقة اهل الكلام بان تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب نحو قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا واللازم وهو الفساد باطل فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة ونحو قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده

وهو أهون عليه اى وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الامكان فالاعادة ممكنة ومنه قول النابغة يخاطب النعمان وكان غضب عليه بسبب مدحه لملوك غسان بالشام

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب * من الارض فيها مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم * فلم أرهم في مدحهم لك أذنبوا

أي لا تعاقبني على مدح الغسانيين المحسنين الىّ كما لا تعاقب قوما أحسنت اليهم فمدحوك فكما أن مدح أولئك لا يعدّ ذنبا فمدحى لمن أحسن الىّ كذلك ومنه قول أبى تمام يستنهض المعتصم لمناجزة الحرب وان لا يعوّل على كلام المنجمين

دع النجوم لطُرْقىّ يعيش بها * وبالعزائم فانهض أيها الملك
ان النبي واصحاب النبي نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

(وحسن التعليل) وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف مشتمل على دقة النظر ولا بد في العلة ان تكون ادّعائية ثم الوصف أعم من ان يكون ثابتا فيقصد بيان علته او غير ثابت فيراد اثباته — فالاول اما أن لا يظهر له في العادة علة كقول المتنبي

لم يحك نائلك السحاب وانما * حُمَّت به فصبيبها الرحضاء

ادعى ان علة نزول المطر عرق حمَّاها الحادثة بسبب عطاء الممدوحَ حسدا له وكقول أبى هلال العسكري

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علة له لكنه ادّعى ان علته

الافتراء ـ او تظهر له علة غير ما ذكر كقول المتنبي

ما به قتل أعاديه ولكن ※ يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الاعادي عادة ليس لخشية تخلف ما يرجوه الذئاب من أكل لحومهم وثوقا بانه متى حارب انتصر وقتل أعداءه بل قتل الاعادي عادة لدفع مضرتهم وكقول بعضهم

اتتني تؤنبني بالبكاء ※ فاهلا بها وبتأنيبها
تقول وفي قولها حشمة ※ أتبكي بعين تراني بها
فقلت اذا استحسنت غيركم ※ أمرت الدموع بتأديبها

ـ والثانى اما ممكن كقول مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا اساءته ※ نجى حِذارُك انسانى من الغرق

فاستحسان الاساءة ممكن غير ثابت فقصد اثباته ـ واما غير ممكن كقول الخطيب القزويني مترجما من شعر فارسي

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ※ لما رأيت عليها عقد منتطق

جعل علة شدّ الجوزاء النطاق قصدها خدمة الممدوح وهي صفة غير ممكنة فقصد اثباتها

(والتوشيع) وهو ان يؤتى في العجز بمثنى مفسر بمتعاطفين نحو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم و يشب معه خصلتان الحرص وطول الامل وقوله منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال وكقول بعضهم

أمسى واصبح من تذكاركم وصبا ※ يرثى لى المشفقان الاهل والولد
وخدّد الدمع خدّى من تذكركم ※ واعتادنى المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم ※ وخانني المسعدان الصبر والجلد
لاغرو للدمع ان تجرى غواربه ※ يحثه المظلمان القلب والكبد

كانما مهجتي شِلْو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والأسد
لم يبق غير خفيّ الروح في جسدي * فداكم الباقيان الروح والجسد

ولتاج الدين الكندي

دع المنجم يكبو في ضلالته * ان ادّعى علم ما يجري به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا الانسان يشركه فيه ولا الملك
اعدّ للرزق من إشراكه شركا * فبئست العدتان الشرك والشرك

وهذا النوع من الاطناب قصد به الايضاح بعد الايهام كما تقدم في مبحثه مع انواع اخرى ذكرت هناك ايضا وهى التكرار والاعتراض والتكميل والاحتراس والتتميم والتذييل والايغال فلا حاجة لاعادة ذكرها اعتمادا على ما تقدم

(والتفريع) وهو ان يثبت لمتعلق امر حكم بعد اثباته لمتعلق له آخر كقوله

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تشفي من الكلب

الكلب بفتح اللام شبه جنون يعتري من عضه الكلب الكلِب وقد زعمت العرب ان أنجع دواء له شرب دم ملك كما قال الحماسي

بُنَاة مكارم وأساة كَلْم * دماؤكمُ من الكلب الشفاء

ففرع في البيت الاول على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب اى أنتم الملوك الاشراف ارباب العقول الراجحة ومن هذا النوع نفي زيادة شيء موصوف بصفات على شيء آخر كقوله

ما بهجة الشمس في الآفاق مسفرة * يوما بابهج من لألاء حسنهم

(والتجريد) وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهو اقسام منها ما يكون بمن التجريدية كقولك لى من فلان صديق حميم اى بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه ان يستخلص

منه آخر مثله فيها ونحو

ترى منهم الأُسْدَ الغضاب اذا سطوا * وتنظر منهم في اللقاء بدورا

ـ ومنها ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم لئن سألت فلانا لتسألنّ به البحر بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها ـ ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الاعشى

يا خير من يركب المطيّ ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

أى يشرب الكأس بكف الجواد انتزع منه جوادا يشرب هو بكفه على طريق الكناية لان الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب الا بكف نفسه فاذا هو ذلك الكريم ـ ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أى الغنى فقد انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه وهذا كثير في كلام الشعراء

(والاطراد) وهو الاتيان باسم الممدوح واسماء آبائه من غير تكلف كما في قوله عليه الصلاة والسلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكقول بعض العرب

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وقول الأعشى

أقيسُ بن مسعود بن قيس بن خالد * لانت الذى ترجو بقاءك وائل

وقوله ايضا

فنعم أخو الجُلَّى ومستنبط الندى * وملجأ محزون ومفزع لاهث

عياذ بن عمرو بن الحسين بن غانم * بن زيد بن منصور بن زيد بن حارث

فالبيت كله اطراد وسمى بذلك لكونه يشبه الماء فى اطراده وجريانه
(والتلميح) وهو الاشارة فى الكلام الى قصة او شعر مشهور او حديث
كقوله

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فيه تلميح الى قصة النبي يوشع عليه السلام واستبقائه الشمس-يروى
أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف
ان تغرب قبل ان يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له
قتالهم فيه فدعا الله فابقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم ـ وكقولى
من قصيدة

بالتيه والدّلّ أعضلت الفؤاد فيا * زين الملاح أنا الحيران فى التيه

اشارة الى قصة بنى اسرائيل فى التيه مع موسى عليه السلام وكقول
بعضهم

أستودع الله أحبابا فجعت بهم * بانوا فما زوّدونى غير تعذيب
بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا * ولا انقضت حاجة فى نفس يعقوب

يشير الى قصة زيد بن حارثة المذكورة فى سورة الاحزاب والى قصة
يعقوب عليه السلام المذكورة فى سورة يوسف ونحو قول بعضهم

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * أرقّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

اشارة الى البيت المشهور الجارى مجرى المثل وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ونحو قول بعضهم

يا بدر أهلك جاروا * وعلموك التجرّى
وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى
فليصنعوا ماأرادوا * فانهم أهل بدر

يشير الى حديث «وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » قاله عليه الصلاة والسلام لما هم عمر بقتل حاطب بن أبى بلتعة حيث أرسل خطابا مع امرأة لاهل مكة سرا يخبرهم بما صمم عليه النبي وأصحابه من فتح مكة ليكون له يد عندهم وليحفظوه فى أهله بمكة وقد أطاع الله رسوله على حقيقة الامر فاستحضر الخطاب وعلم المرسِل فقال عمر ما قال فرد عليه صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث وكان حاطب ممن شهد بدرا

(والتضمين) ويسمى ايضا بالايداع بالياء المثناة من تحت وهو ان يضمن الشاعر كلامه شيئا من شعر الغير مصراعا أو بيتا مع التنبيه على ذلك الا اذا كان مشهورا فان شهرته تكفى عن التنبيه عليه فان لم يكن مشهورا ولم ينبه عليه كان سرقة كما سياتى مثال تضمين المصراع مع التنبيه قول الحريرى فى المقامة الزبيدية

على أنى سانشد عند بيعى * « أضاعونى وأيّ فتى أضاعوا »

والاصل

« أضاعونى وأيّ فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر »

ومثال تضمين المصراع بدون تنبيه عليه لشهرته قول الشاعر

قد قلت لما أطلعَتْ وجناته * حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره السارى العَجُولَ ترفّقا * « مافى وقوفك ساعة من باس »

فالمصراع الاخير المضمن مشهور لانه مطلع قصيدة لابى تمام وهو

ما فى وقوفك ساعة من باس * نقضى حقوق الاربع الادراس

ومثال تضمين البيت مع التنبيه عليه قول عبد القاهر التميمى

اذا ضاق صدرى وخفت العدا * تمثلت بيتا بحالى يليق
« فبالله أبلُغُ ما أرتجى * وبالله أدفع مالا أطيق »

ومن هذا قولى

والعجز عن شكركم شكر ومعذرة * لكن أقول كلاما صيغ من حكم
«ليت الكواكب تدنو لى فاتظمها * عقود مدح فما أرضى لكم كلمى»

ومثال تضمين البيت بدون تنبيه عليه لشهرته قوله

كانت بُلَهْنِيَةَ الشبيبة سكرة * فصحوت فاستبدلت سيرة مجمل
« وقعدت أنتظر الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل »

فالبيت الثانى لمسلم بن الوليد الانصارى وهو مشهور والبلهنية سعة العيش والسيرة الطريقة والمجمل الآتى بالشيء الجميل ــ وأحسنه ما زاد على الاول بنكتة كالتورية والتشبيه كما فى قول ابن العميد

كأنه كان مطويا على إحن * ولم يكن من قديم العهد أنشدنى
«ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

وكقول بعضهم

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدّها ومدامعى * مجَرَّ عوالينا ومجرَى السوابق

والمعنى انهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين فكانوا يجرّون الرماح ويتسابقون على الخيل عند مطاردة الفرسان فالشاعر الثاني أراد بالعذيب تصغير العذب وببارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها وهذه تورية وشبه تبختر قدّها بتمايل الرمح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق ــ وأكثر المتأخرين تضمينا مع الرقة الغريبة مجيرالدين ابن تميم ولذا يقول

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيرى
أضمن كل معنى مستجاد * فشعرى نصفه من شعر غيرى

(والعقد والحل) الاول نظم المنثور والثانى نثر المنظوم فالاول كقوله

ان القلوب لأجناد مجندة * بالاذن من ربها تهوَى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منهـا فهو مختلف

عقد قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وكقول بعضهم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

سيدى أنت أحسن الناس وجها * كن شفيعى فى هول يوم كريه
قد روى صحبك الكرام حديثا * «اطلبوا الخير من حسان الوجوه»

وكقول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفـة فلعـلة لا يظلم

عقد فيه قول حكيم الظلم من طباع النفوس وانما يصدّها عنه احدى علتين دينية وهي خوف المعاد أو سياسية وهي خوف القصاص — والثانى كقول بعض المغاربة فلما قبحت فَعَـلاته وحنظلت نَخَـلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدّق توهمه الذى يعتاده حل قول المتنبي يشكو سيف الدولة واستماعه لاعدائه

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدّق ما يعتاده من توهم

(والمراجعة) وهي حكاية ما جرى من محاورة بين متخاطبين بقال وقلت مثلا بشرط تمام المحاورة وأحسنها ما كان حسن السياق سلس المعنى كقول البحترى

ونديم حـلو الشمائل كالديـ * ـنار محض النّجار عذب المصفَّى
بت أسقيه صفوة الراح حتى * وضـع الكأس مائلا يتكفى
قلت عبدَ العزيز تفديك نفسى * قال لبيـك قلت لبيـك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها * قال لا أستطيعهـا ثم أغـفى

وكقول بعض كرماء العرب يخاطب زوجته

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شيءٌ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة * قد طعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالثوب والدرهم

(والمناقضة) وهي تعليق شيءٌ فى الكلام على أمرين أوّلهما ممكن والثانى غير ممكن كقول النابغة فى الهجو

وانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ما شبت او شاب الغراب

أي سوف يكون لك حلم أي عقل أو تتظاهر بالنهي ادراكا لفضيلة العقل فتعليقه حلم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب غير ممكن وحسن هذا النوع لما فيه من الهزل أو الاطماع أو التيئيس

(والمغايرة)وهي مدح الشيءُ بعد ذمه وعكسه بنفس صفات الممدوح والمذموم وهذا النوع يدل على قوة المفكرة وشدّة الذكاء وسلامة الذوق وكمال النباهة حتى أدرك المتكلم من الشيءُ محاسنه ومساويه كقول النظام وهو صغير لما أحضره أبوه للخليل بن أحمد ليتعلم منه وكان بحضرتهما قدح زجاج فقال له الخليل صف لى يا بني هذا القدح ليختبر ذهنه فقال مدحا أم ذمّا قال مدحا قال يريك القذى ولا يقبل الاذى ولا يستر ما ورا قال فذمه قال سريع الكسر بطيءُ الجبر وكانت هناك نخلة فقال صف هذه النخلة مدحا وذما فقال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنيّ نحن احوج الى التعلم منك وقد مدح بعضهم القمر ولياليه بحضرة بعض الادباء وكان ساكنا فى بيت بالكراء فقال ان فيه عيوبا لو كانت فى حمار لردّ يهدم العمر ويقرب الاجل ويحلّ الدين ويفسد اللحم ويعين السارق ويفضح العاشق ويبلى الكتان

ويشحب الالوان ويسخن الماء ويوجب كراء المنزل ـ هذا وقد ألف الناس فى مدح الشيء وذمه تآليف عديدة وللحريرى فى ذلك باع طويل فى عدّة مقامات من مقاماته فى صفة الدينار ووصف الكاتبين والبكر والثيب وللناس ولع كبير بذم ما فعله بعض الامراء بعد ما دالت الدولة عليهم وانتقلت لغيرهم وكانوا قد بالغوا فى مدحهم ايام دولتهم وقال بعضهم ان المغايرة ذم ما مدحه الغير أو مدح ما ذمه الغير لنكتة كقول بعضهم

أحب العذول لتكراره * حديث الأحبة في مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيب * يكون اذا كان حبّي معى

وكقول عنترة السابق في بيتي الافتنان ولقد ذكرتك الخ

(والهجو في معرض المدح) وهو ان يكون الهجو بالعبارات التي تستعمل في المدح مقرونة بما يصرفها الى الهجاء كقول الحماسي

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذن لقام بنصري معشر خُشُن * عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا
لكنّ قومي وان كانوا ذوي عدد * ليسوا من الشرفى شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة * ومن إساءة اهل السُّوء احسانا
كانّ ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وقول بعضهم

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

(والاستثناء) وهو المعلوم في علم النحو ولا يعدّ من البديع الا اذا كان

مشتملا على مزية بلاغية كقول النميري مخاطبا للحجاج وكان قد فر منه خائفا ولم يجد فراره نافعا

فهاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها * وان كنت قد طوّفت كل مكان
فلو كنت كالعنقاء او في أطومها * لخلتك الا أن تصدّ ترانى

فقد اشتمل على تأكيد المبالغة في وصفه بزيادة القدرة وقوة السلطان اى انه لا يفوته فائت ولا ينجو منه الا من اختار نجاته وقال بعضهم

هزوا القدود وارهفوا سمر القنا * وتقلدوا عِوَض السيوف الأعينا
وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب النجاة لنفسه الا أنا

فان في الاستثناء زيادة تظلم له وشكاية حال وما أحسن قوله بعد ذلك

وانا الفداء لبابليّ طرفه * لاتستطيع الأسدُ تثبت إن رنا

(والاكتفاء) وهو الاقتصار من كلمة على بعضها او من كلام على جزء منه وهو بقسميه نادر الوقوع في كلام العرب وقد روى اهل هذا الفن منه قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا اى شاهدا وقد اكثر منه المتأخرون كابن نباتة المصري ومعاصريه ومن سبقهم بقليل ولم يستعمله من تقدمهم واحسن القسم الاول ما كان بعض الكلمة المقتصر عليه فيه مفيدا لمعنى مستقل وبذلك يكون الكلام مشتملا على التورية ايضا كقول ابن مكانس

نزل الطلّ بكرة * وسروري تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندا مى

وكقوله أيضا

لله ظبي زارنى في الدجى * مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر حبا

واحسن الثانى ما كان فيه بعض الكلام المقتصر عليه دالا دلالة ظاهرة

على المحذوف كقول سديد الدين في النيل لما زاد زيادة أغرقت كثيرا من مزارع مصر

يانيل ياملك الانهار قد رزقت * منك الاراضي شرابا سائغا وغذا
وقد أتيت القرى تبغي منافعها * فنالها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكر عني أني ملك * وتغتدي ناسيا ان الملوك اذا

وكقول الآخر

أقول لذات حسن قد توارت * مخافة كاشح في الحي فاتن
أريني وجهك الوضاحَ قالت * ألم تؤمن فقلت بلى ولكن

وكقولي

المرء يفنى و بعد الموت تذكره * آثاره الغرّ بالحسنى وتحييه
وكل ذي همة في الناس مجتهد * لنشر فضل وفضل الله يؤتيه

(والتمثيل) وهو تقرير المعنى بذكر نظائره وفيه تشبيه ضمني كقوله صلى الله عليه وسلم لمن رآه منهمكا في العبادة حتى أنهك نفسه ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبَتّ لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى مثل صلى الله عليه وسلم حال ذلك العابد بحال مسافر استجاد راحلته فاشتد في السير حتى فات رفاقه فكلت دابته فلا هو وصل المقصود ولا هو أبقى راحلته وكقول بعضهم في رئيس أغضبه قومه حتى اضطروه الى مفارقة سجاياه من العطف عليهم والرأفة بهم واصلاح شأنهم الى تأديبهم وردّ جماح طغيانهم

أخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تنتضي من ناضر السلم
أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يُحْرَج الليث لم يخرج من الأجم

(وعتاب المرء نفسه) وهو ان يوجه الانسان الخطاب لنفسه ويعاتبها على امر من الامور كقول الحمامي

أقول لنفسي فى الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وكقول أبى تمام

أقول لنفسي حيث مالت بصفوها * الى خطرات قد نتجن أمانيا
هبيني من الدنيا ظفرت بكل ما * تمنيت أو أعطيت فوق منائيا
ألسن الليالى غاصباتيَ مهجتى * كما غصبت قبلي القرون الخواليا

وكقول ابن المقرب

رِدِى ماء الحتوف ولا تراعى * فما خوف المنية من طباعى
ذريني والملوكَ بكل ارض * أكايلها الردى صاعا بصاع
فما أيمانهم تعلو شمالي * ولا أبواعهم تعلو ذراعى

(والقسم) وهو حلف المتكلم بما يكون مدحا له او ما يكسبه فخرا أو ما يكون هجاء لغيره او نحو ذلك وينبغي ان يقسم بما لا تنفر منه نفس المسلم كبرئت عن الاسلام او اموت على غير الدين مثلا — ومن أمثلة القسم قول الاشتر النخعي

أبقيت وَفْرِي وانحرفت عن العلى * ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وكقول بعضهم يمدح شجاعا جوادا

حلفت بمن سوّى السماء وشادها * وَمن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام في المعقول من غير رؤية * بأثبت من ادراك كل عيان
لَمَا خلقت كفاك الا لأربع * عقائل لم تعقل لهن تواني
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هنديّ وحبس عنان

وكقول مهذب الدين الشيعي يخاطب الشريف الموسوى وقد أهداه هدية وأرسلها مع مملوك له اسمه تتركان شقيق روحه فحجزه الشريف

وظنه بعض الهدية فكتب اليه يداعبه قصيدة طويلة مشهورة والشاهد فيها قوله

نومى المحرّم بعده * وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوى ابن الشريف أبو مضر
أبدى الجحود ولم يردّ اليّ مملوكى تتر
واليت آل أمية الط * هر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر ، الى اخرها

(ورد العجز على الصدر) وهو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أي المتفقين فى اللفظ والمعنى أو المتجانسين فى اللفظ دون المعنى أو الملحقين بالمتجانسين وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق فى أول الفقرة والاخر فى اخرها نحو قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فى المكررين ونحو سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل فى المتجانسين ونحو قوله تعالى استغفروا ربكم إنه كان غفارا فى الملحقين اشتقاقا ونحو قوله تعالى قال انى لعملكم من القالين فى الملحقين بشبه الاشتقاق ـ وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر اما فى صدر المصراع الاول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثانى كقوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وكقوله

فيا سعد حدّثنا بأخبار من مضى * فأنت خبير بالاحاديث يا سعد

فيما يكون فيه المكرر الآخر فى صدر المصراع الاول وكقوله

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

عرار نجد وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة وهذا فيما فيه المكرر الآخر في حشو المصراع الاول وكقوله

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما

فيما فيه المكرر الآخر فى آخر المصراع الاول وكقوله

أمّلتهم ثم تأمّلتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

فيما كان المكرر فيه فى صدر المصراع الثانى

(والترديد) وهو تكرار اللفظ المختلف التعلقات كقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان فى سورة الرحمن وكقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات والمردد قد يكون جملة أو مفردا واسما او فعلا او حرفا واقله تكرار الكلمة مرتين كقول ابى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

وقد تقدم ذلك فى الاطناب

(والمناسبة) إما معنوية وهي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ - واما لفظية وهي الاتيان بكلمات متزنات فان كان مع الاتزان تقفية فهي تامة والا فناقصة - مثال المناسبة المعنوية قول القاضى الفاضل

وبدر بافلاك الخواطر طالع * وغصن بريحان العذار وريق

لئن بتُّ فى بحر من الفكر سابحا * فانسان عينى فى الدموع غريق

فيه المناسبة فى المعنى بين السابح والغريق وكقول ابن السمعانى

ولما برزنا لتوديعهم * بكوا لؤلؤا وبكينا عقيقا

أداروا علينا كؤوس الفراق * وهيهات من سكرها أن نُفيقا

تولوا فأتبعتهم أدمعا * فصاحوا الغريق وصحت الحريقا

فبين صياح الغريق وصياح الحريق مناسبة لاتخفى وهذا النوع قريب

الشبه من مراعاة النظير ولذا لم يذكره بعضهم ـ ومثال اللفظية التامة قول ابن هانئ الاندلسى

وعوابس وقوانس وفوارس * وكوانس وأوانس وعقائل

وقول ابن خلوف المغربى

كالورد خدّا والغزالة بهجة * والغصن قدّا والغزال مقَلَّدا

وكقول مروان بن حفصة

همالقوم انقالوا أصابوا وان دُعُوا * أجابوا وانأعطوا أطابواوأجزلوا

و بعضهم جعل هذا القسم نوعا مستقلا وسماه الموازنة والاحسن ما هنا ـ ومثال اللفظية غير التامة قول بعضهم

حسدت نسيم الروض فى كل حالة * ولا سيما يوما قطعناه بالحِمَى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدّا للقضيب مقوّما

فقد ناسب بين عِطفا وقدّا و بين الغصون والقضيب و بين مرنحا ومقوّما مناسبة غير تامة

(والانسجام) ويقال له السهولة أيضا وهو أن يكون النثر او النظم خاليا من التعقيد وتكلف السبك بحيث يكاد يكون كالماء فى انسجامه وسهولة انحداره عذب الالفاظ متين السياق مع لطافة المعنى و رشاقته وخلوه من أنواع البديع الا ان أتت بغير قصد و بدون تكلف وجميع الكتاب العزيز شاهد لهذا النوع ومنه قصيدة الفرزدق المشهورة فى سيدنا عليّ زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم التى قال فيها

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجدّه أنبياء الله قد ختموا
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم

الى آخر القصيدة ـ ومن شواهده ايضا قصيدة ابن زريق المشهورة التى أولها

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

الخ وكل ما كان من الشعر السلس والنثر الرائق فهو شاهد لهذا النوع كقول البهاء زهير فيمن أمسك عن الشهوات

قالوا فلان قد غدا تائبا * واليوم قد صلى مع الناس
قلت متى كان وأنّى له * وكيف ينسى لذة الكاس
أمس بهذي العين أبصرته * سكران بين الورد والآس
ورحت عن توبته سائلا * وجدتها توبة افلاس

ومن هذا المعنى وفيه الشاهد قول بعضهم

يقول أبو سعيد مذ رآني * عفيفا منذ عام ما شربت
على يد أيّ شيخ تبت قل لي * فقلت على يد الافلاس تبت

(وحسن البيان) وهو الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس وقد تكون العبارة تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما تقتضيه الحال ـ ومطلق البيان على ثلاثة أقسام حسن وقبيح ومتوسط فالحسن مثل قول أبي العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب أو فكّرا

فقد أراد وصف الممدوح بالخلافة وعظم المهابة فاذا نظر نظرة أو حرك القضيب مرة أو أطرق مفكرا لحظة اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس فابان عن ذلك المعنى أحسن ابانة ـ ويحكى أن عبدالصمد دخل على عيسى بن جعفر حين بنى قصره بالرصافة فقال بنيت أجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء على احسن بهاء بين صحار وجنان وجناء فقال له عيسى كلامك أحسن من بنائها * ومثل هذا لما دخل أبو العيناء

على المتوكل في قصره فقال له المتوكل كيف ترى ديارنا فقال الناس بنوا دورهم في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

لما بنى الناس في دنياك دورهم * بنيت في دارك الغراء دنياها
فلو رضيت مكان البُسط أعيننا * لم تبق عين لنا الا فرشناها

* والبيان القبيح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي اشتراه فاراد أن يقول احد عشر فادركه العى حتى فرق أصابع يديه وأدلع لسانه فافلت الظبي ولذا ضرب به المثل في العى * والبيان المتوسط مثل ان يقال ستة وسبعة أو عشرة و واحد في التعبير عن ثلاثة عشر وأحد عشر وكقول السيد عز الدين المرتضى

أفي الحق أن تمضي ثلاث وأربع * وخمس وسبع بعدهن ثمان
ومالن رأى شمس الضحى قمر الدجى * ولا هو حاشاه الخسوف يرانى

(واتصال النتائج) وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وكقول بعضهم

تأمل بعينيك كيف الذهاب * فان لكل حياة مماتا
فمن عاش شب ومن شب شاب * ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا

وكقول بعضهم

قريش خيار بني آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالَم

(والاحتباك) وهو أن تجعل الكلام شطرين وتحذف من كل منهما نظير ما اثبت في الآخر قصد الاختصار البلاغى وهو في القرآن الكريم كثير كقوله تعالى ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم أى ان شاء

يعذبهم فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وكقول بعض العرب

وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

أى هزة وانتفاض كما اهتز وانتفض

(والتفصيل) بالصاد المهملة وهو أن يأتى الشاعر بشطر بيت من شعر له متقدم في نظمه سواء كان صدرا أو عجزا يفصل به كلامه بعد أن يوطيء له بما يلائمه كقول النابلسي في بديعيته

انى دعوتك لما الدهر جار على * ضعفي وقاسيت منه بأس منتقم

أخذ الشطر الاول من قصيدة له نبوية سابقة مطلعها

قف بالمحصب تحت الاثل يا حادي * ان المطايا بارواح واجساد

ومنها وفيه الشاهد

ياسيدي يارسول الله ياسندي * يامن أنا بمزايا مدحه شادي

انى دعوتك لما الدهر جار على * صبري فاعدمه من فرط ابعادي

(والنوادر) وتسمى أيضا بالاغراب بالغين المعجمة وهو أن يقصد المتكلم الى معنى مشهور مبتذل فيبرزه بما تخيله في صورة تكسوه ندرة وغرابة حتى يعدّ كأن لم يكن مستعملا أو هو القصد الى معنى قليل الاستعمال فمن الاول قول القاضي الفاضل عبد الرحيم

تراءى ومرآة السماء صقيلة * فاثر فيها وجهه صورة البدر

فان تشبيه الوجه بالبدر شائع ولكن زيادة هذه النوادر البديعة مما كسته حلة الرونق والغرابة وكقول ابن سنا الملك

ولو أبصر النظّام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

ومن قال ان الخيزرانة قدّها * فقولوا له اياك أن يسمع القد

فان تشبيه الثغر بالجوهر والقد بالخيزران أمر مشهور ولكن هذه الزيادة أكسبته غرابة وزادته حسنا ومثله قول بعضهم

قد زارني مُنْيَتي من بعد جفوته * وعاد جودا بلين القد يسعفني
فكيف لا أدّعي اني نبيّ هوى * والغصن قد حنّ لي والظبي كلمني

ومن الثاني قول بعضهم

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا * خيفة منهم عليه وشُحّا
كان من قبل ذاك ليل وصبح * فمَحَوا ليله وابقوه صبحا

(والفرائد) وهي أن يأتي المتكلم بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تكون منزلتها في الكلام منزلة الفريدة من العقد بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت لا يسدّ غيرها مسدّها كقول أبي تمام

ومعترك للشوق أهدَى به الهوى * الى ذي الهوى نُجل العيون ربائبا

فالفريدة هي لفظة معترك ولكن ابن الفارض سبكها أحسن من أبي تمام في قوله

ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهذا النوع كثير الوجود في كلام من غزرت مادّته وسلم ذوقه ورق طبعه من المولدين

(وائتلاف المعنى مع المعنى) وهو قسمان الاول أن يشتمل الكلام على معنى من المعاني كالمدح أو الحماسة أو الغزل وعلى أمرين ملائمين له فيقرن بهما ـ والثاني أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران احدهما ملائم له والآخر بخلافه فيقرن بالملائم فمثال الاول قول أبي تمام

سلبنا بعده غَفَلات عيش * كأن الدهر عنها في وثاق
وأياما له ولنا لِدَانا * عرتنا من حواشيها الرقاق

فعجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وانما اختار هذا الترتيب في الاقتران لان غفلات العيش يناسبها كون الدهر في وثاق والايام اللدان يلائمها رقة الحواشي ومثله قول الحاجري

وفي الركب مطوىّ الضلوع على جوى * متى يدْعُه داعى الغرام يلبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يُصبه

ومثال الثانى قول المتنبي

فالعرب منه مع الكُدْرِىّ طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

الكدرىّ القطا وهو يناسب العرب لانه ينزل في السهل من الارض و في المهامه ولا يأوى الى العمران الا عند العطش وقلة المياه في الجبال والحجل تناسب الروم لانها تسكن الجبال وتنزل في المواضع المعروفة بالشجر والفريقان متناسبان يعني أن وقائع الممدوح عمت السهل والجبل وهذا النوع بقسميه يستدعى من الناثر أو الناظم أو مريد فهم كلام الغير دقة نظر وشدّة عناية ليعرف حسن الملاءمة وتمام المناسبة بين اجزاء الكلام و بعضها — يحكى أن مغربيا قصد بهاء الدين زهيرا ليتعلم منه الرقة فقال له بهاء الدين ليس ذلك بالتعلم وانما هو بادمان المطالعة واعمال الفكر في تراكيب كلام البلغاء ولكن سأتي عليك صدر بيت واجتهد أنت في تكميله وهو * يابان وادي الأجرع * فجاءه من الغد وقال أتممته وهو

يابان وادي الاجرع * سقيت غيث الادمع

ففكر المغربى في أن البان شجر وهو يحتاج للسقى وحيث كان المقام مقام ذكر الغرام المستلزم لكثرة الدموع ناسب أن يقول ماقال ولكن زهيرا قال له هلا قلت يابان وادي الاجرع * هل ملت من طرب معى فصفق المغربى وكاد يطير فرحا وقال ذلك مالا يتأتى لمثلى

(وائتلاف اللفظ مع المعنى) وهو عبارة عن أن تكون الالفاظ لائقة بمعناها فالمعنى الغريب يناسبه اللفظ الغريب والمولد يناسبه مثله والمتوسط كذلك كقول أبى تمام

وفي الكِلَّة الوردية اللون جُؤْذُر * من الانس يمشي في رقاق المجاسد
رماني بخلف بعد ما عاش حِقْبة * له رَسَفان في قيود المواعد

فاعل رماني يعود على الجؤذر فلما كان معنى البيت الاول متوسطا بين الغرابة والتوليد أتى له بما يناسبه من الالفاظ ولما كان البيت الثاني غريبا أتى له بالفاظ كذلك وكقول أبي العلاء المعري

وخوف الردي آوى الى الكهف أهله * وعلم نوحا وابنه عمل السفن
وما استعذبته روح موسى وآدم * وقد وعدوا من بعده جنتي عدن

فان معنى هذين البيتين لما كان متولدا جاء له بالفاظ كذلك

(وائتلاف اللفظ مع الوزن) وهو أن تكون الكلمات تامة لا يضطر الشاعر في الوزن الى النقص أو الزيادة أو التقديم أو التأخير أو الى ارتكاب ما سومح به في الضرورة الشعرية كما فعل الفرزدق فى بيته المشهور وهو قوله

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

وكقول المتنبي

نحن ركب مِلْجِنّ في زيّ ناس * فوق طير لها شخوص الجمال

ومراده من الجن فحذف نون من الجارة لالتقاء الساكنين وهذا نوع خاص بالشعر وشاهده قول بعضهم

سعد الزمان وساعد الاقبال * ودنا المنى وأجابت الآمال

(وائتلاف المعنى مع الوزن) وهو ان تكون المعاني فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر معها فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا خروجها عن صحتها ونحو ذلك كما فعل عروة بن الورد فى قوله

فانى لو شهدت أبا سعاد * غداة غدًا بمهجته يفوق (١)
فديت بنفسه نفسي ومالى * وما آلوه الا ما أطيق

فانه أراد أن يقول نفسه بنفسي ومالى فاضطره الوزن الى قلب المعنى وأراد ايضا أن يقول وما آلوه الا ما لا أطيق فحذف لا لضرورة الوزن وكقول الحماسي

ليَهْنِك امساكى على الكف بالحَشا * ورقراق دمعى خشية من زيالك

أي فراقك أراد أن يقول امساكى على الحشا بالكف ولكن تعاصى عليه الشعر فقال ما ذكر

(وائتلاف اللفظ مع اللفظ) وهو أن يكون فى الكلام معنى يصح معه واحد من عدّة معان فيختار منها ما بين لفظه و بين بعض الكلام ائتلاف وملاءمة كقول أبى تمام

قالوا الرحيل غدا لا شك قلت لهم * اليوم أيقنت أن اسم الحِمام غد
كم من دم يُعْجز الجيش اللُّهام اذا * بانوا استحكم فيه العِرْمِس الأُجد

اللهام العظيم والشاهد فى العرمس الأجد وهي الناقة الموَثَّقة الخلق ولو قال مكانها (للحسان يد) أو (للظباء يد) أو نحو ذلك لصح ولكن قصد مناسبة الجيش بذكر آلاته وهي العرمس وكقول البوصيرى

يجرّ بحر خميس فوق سابحة * يرمى بموج من الابطال ملتطم

فانه كان فى امكانه أن يقول كالعيم أو نحو ذلك ولكنه قصد المناسبة بين موج البحر وتلاطمه وهذا النوع فيه شبه من نوعي المناسبة ومراعاة النظير

(والسلب والايجاب) وهو أن يقصد المتكلم إفراد شخص بصفة

(١) قوله يفوق أي يجود كناية عن الاحتضار وخروج الروح يقال فاق بنفسه يفوق فواقا اذا كانت على الخروج أو مات أو جاد بها اه منه

لا يشاركه فيها غيره فينفيها فى أوّل كلامه عن جميع الناس ثم يثبتها لذلك الشخص كقول الخنساء فى أخيها صخر

وما بلغت كف امرئ متناوَلا * من المجد الا والذي نلت أطول
ولا بلغ المُهْدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

فانه على تقدير بلغ الناس متناولا من المجد وما بلغوا ما بلغت و بلغ الشعراء مدح الاجواد وما بلغوا مدحك ومن البيت الثانى يعلم أنه لا يلزم التصريح بالجزأين ومنه قول ابن هانئ الاندلسى

ولم أرَ زَوّارا كسيفك للعِدا * فهل عند أهل الروم اهل وترحيب

ومنه قول بعضهم فى الهجاء

خُلِقوا وما خلقوا لمكرمة * فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رُزِقوا وما رزقوا سماح يد * فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وفى هذين البيتين تقديم الايجاب على السلب وقد اجازه بعضهم كابن هلال العسكرى

(والتهذيب والتأديب) هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن ترديد النظر فى الكلام بعد الفراغ منه وامعان الفكر فى تهذيبه وتنقيحه نثرا كان او نظما وتغيير ما يجب تغييره وكشف ما يشكل عن غريب معانيه واعرابه وطرح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الالفاظ وكل كلام قيل فيه لو قدّمت هذه الكلمة على غيرها أو وضع مكانها كذا أو لو حذف هذا اللفظ أو لو اتضح هذا المقصد لكان الكلام أرق والمعنى أدق كان ذلك الكلام غير داخل فى هذا النوع وانّى لبشر ان يكون كلامه هكذا والله سبحانه وتعالى يقول فى كلامه العزيز ولو كان من

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وما احسن قول أبي تمام مشيرا الى التهذيب

يا خاطبا مدحى اليه بجوده * فلقد خطبت قليلة الخطاب
خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل أسود رقعة الجلباب
بكر تورّث فى الحياة وتنثنى * فى السلم وهي كثيرة الاسلاب
ويزيدها مر الليالى جدّة * وتقادم الايام حسن شباب

وانما خص الدجى لانه الوقت الذى تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات وتأخذ النفس حظها من الراحة بالنوم ويخف ثقل الطعام فيجمّ الفكر وتكثر الواردات ويصفو الذهن وفى ذلك الوقت يمكن الشاعر أن يسخى بشعره البخيل ويشجع الجبان ويفرّج عن المهموم ويرضى الغضبان ويسلى المحزون وينفس عن المكروب الى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر من الأوصاف ولما كان هذا النوع من دون أنواع البديع بمكان عظيم قال بعض الشعراء

لا تعرضنّ على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدّوه منك وساوسا تهذى بها

(والتوليد) وهو اما لفظى واما معنوى (فاللفظى) أن يستحسن الشاعر او الناثر لفظا من كلام غيره فى معنى فياخذه ويضعه فى معنى آخر فان كان الثانى وضعه أليق من الاول كان مقبولا مستحسنا والا كان من المردود المسترذل ومثال الاخير قول أبي تمام

لها منظر قَيْد النواظر لم يزل * يروح ويغدو فى خِفارته الحب

استلب كلمة قيد من قول امرئ القيس فى وصف الفرس

وقد أغتدِى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

الاوابد جمع آبدة أي شاردة وهي الوحش فامرؤ القيس استعمل لفظ

القيد مع الحيوان الذى هو موضعه و بلغ به غرضه وأبو تمام وضعه بعد سلبه مع النواظر فكان فى غير موضعه (والمعنوى) هو أن يجد الشاعر أو الناثر معنى لغيره فيأخذه ليزيد فيه ويحسن العبارة عنه فيعدّ بديعا لما فيه من النقد الذى به يحصل التعليم والادب كقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثني وبياض الصبح يغرى بى

مولد من قول ابن المعتز

لا تَلْقَ الا بليل من تواصله * فالشمس نَمَّامة والليل قوّاد

فبيت المتنبي أرق وأدق لما فيه من البعد عن الالفاظ الساقطة وهي نمامة وقوّاد وابدالهما بلفظ الشفاعة والاغراء مع سلاسة التركيب وكقول بعضهم

فلا تغل فى شيءٍ من الامر واقتصد * كلا طرفى كل الامور ذميم

توليدا من قول الآخر

عليك بالقصد فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى بعده الخلق

توليدا من قول القطامي

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزَّلَل

عقد فيه قوله صلى الله عليه وسلم « من تأنى أصاب أو كاد ومن استعجل أخطأ أو كاد »

(والتعطف) وهو أن يأتى المتكلم بلفظ فى صدر البيت ثم يأتى فى العجز به أو بشيءٍ من مشتقاته كقول المتنبي

فساق اليَّ العُرْف غيرمكدَّر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وكقول الاصمعى يعظ الرشيد ويذكره وقد ساله ذلك

فلا تعجل على أحد بظلم * فان الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحُش وان ملِئت غيظا * على أحد فان الفحش لوم

ولا تقطع أخا لك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر * فان الصبر آخره عظيم

(وايهام التوكيد) وهو تكرار لفظ لتأسيس المعانى فيوهم التوكيد كقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أوّل يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا وكقول على بن احمد المروزي

لقد حل بى عجب عاجب * تقاصر وصفىَ عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

وكقول الاخر

قالت لترب وهي تنكر وقفتي * في حيّنا هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الغرام مُوَلَّع * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(والارداف) وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ يؤدي معناه كقول البحتري يصف طعنة

فاوجرته أخرى فاحللت نصلها * بحيث يكون الاب والرعب والحقد

وقول المتنبي

لو كنت حشو قميصي فوق نمرقها * سمعت للجن فى غِيطانها زجلا

وقول ابن الحجاج

اشربوها فكل أثم عليكم * ان شربتم بالرطل فى ميزان
فى ليال لو أنها دفعتني * وسط ظهري وقعت فى رمضان

ومراده أواخر ليالي شعبان وقال أستاذنا المرحوم الشيخ حسين المرصفي هذا النوع بعض انواع الكناية المبينة فى علم البيان ولكنه خالف قول ابن حجة بالفرق بينهما قال وذلك ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة برديفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء

الى ما يلزم وليس فى الارداف انتقال من لازم الى ملزوم اه ببعض تصرف

(وسلامة الاختراع) وهو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبع فيه أحدا ولا يتأتى ذلك الا لمن أحاط بجميع اطراف المعانى المتداولة واستعمالاتها وقد يكون ذلك المعنى مسبوقا ويظنه الشاعر غير موجود فيأتى به مفتخرا فيظهر انه مسبوق به فيعد ايضا من هذا النوع ويقال انه من توافق الخاطر ومن شواهده قول بعضهم

وقنديل كأن الضوء فيه * سنا وجه الحبيب اذا تجلَّى
اشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله هربا وولى

وقول المتنبي

صدمتَهم بخميس انت غرّته * وسمهريته فى وجهه غمَم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

اخذه من قول الحماسي

فلو انا شهدناكم نصرنا * بذي لَجَب أزَبّ من العوالي

الأزب كثير الشعر وجعل مكانه المتنبي الغمم وكقول المتنبي ايضا

والنجم تستصغر الأبصار طلعته * والذنب للعين لا للنجم فى الصغر

(وحسن الاتباع) وهو ان يقصد الشاعر معنى اخترعه غيره فيأخذه ويكسوه من البهجة وعذوبة السبك ما يجعله فى غاية الرونق كقول أبى نواس

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

تبع فيه قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * وجدت الناس كلهمُ غضابا

وكقول ابن نباتة

قدجدت لي باللّهاحتى ضجرت بها * فكدت من ضجري أثني على البخل
ان كنت تطمع فى بذل النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أو لا فلا تُنِل
لم يُبْق جودك لي شيأً أؤمله * تركتني اصحب الدنيا بلا امل

تبع فى ذلك قول المصري

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وكقول سَلْم الخاسر (١)

من راقب الناس مات هما * وفاز باللذة الجَسُور

تبع فى ذلك قول أستاذه بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللّهِج

ولكن صاحب الاول اختصر واجاد ولذا انطبق عليه قولهم من سرق واسترق فقد استحق

(ونفي الشيء بايجابه) وهو ان يقصد المتكلم الى أثر شيء يظهر فى الكلام ثبوته فينفيه ليكون نفيه نفيا للشيء على طريق الكناية من باب نفي الملزوم بنفي اللازم والاعتماد فى ذلك على معونة المقام وقرائن الاحوال كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع النفي منصب على القيد فكأنه قيل لا يطاع لهم شفيع اي لا شفيع لهم اذ لو كان لأُطيع وكقولك لا ينتفع فى هذا البلد بعاقل أي ليس فيه عاقل اذ لو كان فيه لانتفع به وكقول مسلم بن الوليد

لا يعْبَق الطيب خدّيه ومفرقه * ولا يمسّح عينيه من الكُحُل

ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل ولكن الحقيقة نفي نفس

---

(١) قوله سلم الخاسر هو بفتح السين واسكان اللام وانما سمى الخاسر لانه باع مصحفا واشترى بثمنه ديوان شعر أو لانه حصلت له اموال فبذرها اه من القاموس

الطيب ونفس الكحل مطلقا

(والمشاركة) وتسمى الاشتراك وهو ان ياتى المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين اشتراكا اصليا او عرفيا فيسبق ذهن السامع الى ما لم يرده المتكلم ثم ياتى بعده بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه السامع كقول كثير عزة

وأنت التى حببت كل قصيرة * اليّ ولم تعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخُطَا شر النساء البَحَاتر

فقد أثبت فى البيت الثانى ما أزال وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا والفرق بين هذا النوع و بين نوعي التوهيم والايضاح أن الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها و بغيرها من تصحيف او تحريف وان الايضاح فى المعانى خاصة بخلاف الاشتراك فانه فى الالفاظ

(والترتيب) وهو ذكر اوصاف متعددة لموصوف واحد مرتبة ترتيبا طبيعيا كقول مسلم بن الوليد

هيفاء فى فرعها ليل على قمر * على قضيب على (١) حِقف النقا الدَّهس

فقد رتب اوصاف الانسان الخلقية من الاعلى الى الاسفل وكقول بعضهم

حاشا لمثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا فى القِمَاط وأمردا * و بلحية واذا علاه مشيب

(والاتفاق) وهو ان يتفَق للمتكلم واقعة واسماء مطابقة لتلك الواقعة تبين له العمل بها اما بالمشاهدة او بالسماع — يحكى أن بعضهم

(١) أي على قطعة عظيمة من الرمل السهل اه

كان يلقب بياقوت وله صديق يلقب بالعنكبوت فكتب الاول للثانى مداعبا

ألقِنِى فى لَظَى فان احرقتنى * فتيقن أن لست بالياقوت
أتقن النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فرد عليه صديقه

أيها المدعى الفَخَار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفَخَار للعنكبوت
و بقاء(١) السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

(والاشتقاق) وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من هجاء او مدح او غير ذلك كقول ابن دريد فى نفطويه النحوى

لو أوحي النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صراخا عليه

وللصاحب بن عباد وقد استأذن حاجبه للطرسوسى مداعبة الطرفى لحيته والسوس فى حنطته ـ ودخل محمد العباسى وكان مشهورا بالهزل على رجل اسمه كلثوم فسال كلثوم محمدا عن اسمه فقال له اسمى كل بصل فقال له ما معنى هذا الاسم فقال له معناه معنى كل ثوم وكقول صديقنا المرحوم الشيخ احمد مفتاح فى قصيدة قالها لحضرة صديقنا المرحوم حسن افندى توفيق وقت سفره الى برلين عاصمة المانيا لتدريس العلوم العربية بالمدرسة الشرقية فيها ولتلقى العلوم الاوربية

سر فى امان الى برلين مدّرعا * سيفا من الحزم ينضى حدّه اللسنُ
فيها الاشارة فاتلوها مصحفة * البِرُّ واللين او فالبُرُّ واللبَن

(١) السمند والسمندل والسندل طائر او دابة لا تؤثر فيها النار اهـ منه

(والابداع) بالباء الموحدة وهو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة مشتملة على عدة أنواع من أنواع البديع وأكرم شاهد لهذا النوع قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فانها اشتملت على اثنين وعشرين نوعا من البديع وهي سبع عشرة لفظة ـ الاول المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي ـ الثاني الاستعارة فيهما ـ الثالث الطباق بين الارض والسماء ـ الرابع المجاز في قوله ياسماء فان الحقيقة يامطر السماء ـ الخامس الاشارة في وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء فيغيض الحاصل على وجه الارض من الماء ـ السادس الارداف في قوله واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى ـ السابع التمثيل في قوله وقضي الأمر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع ـ الثامن التعليل فان غيض الماء علة الاستواء ـ التاسع صحة التقسيم فانه استوعب أقسام الماء حالة نقصه ـ العاشر الاحتراس في قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء يشعر بانهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق ـ الحادي عشر الانسجام فان الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته ـ الثاني عشر حسن النسق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب ـ الثالث عشر ائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها ـ الرابع عشر الايجاز فانه سبحانه وتعالى أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقص من الانباء ما لو شرح لجفت الاقلام ـ

الخامس عشر التسهيم اذ أول الآية يدل على آخرها ـ السادس عشر التهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليهـا رونق الفصاحة سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التركيب ـ السابع عشر حسن البيان لان السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شئ ـ الثامن عشر الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي ـ التاسع عشر الكناية فانه لم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضي الامر وسوّى السفينة ولا بمن قال وقيل بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية ـ العشرون التعريض فانه تعالى عرض بسالكى مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما وان الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت الا بظلمهم ـ الحادي والعشرون التمكين لأن الفاصلة قارّة متمكنة في موضعها ـ الثانى والعشرون الابداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له وفيها غير ذلك مما يستنبط بقوة النظر ودقة الفكر ـ وقد أفردت هذه الآية الشريفة بالتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى أوصلها بعضهم الى مائة وخمسين مزية وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة اللفظ وحسن النظم وجودة المعنى في تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال ـ ومن شواهد هذا النوع أيضا قول ابن أبى الاصبع

فضحت الحيا والبحر جودا فقد بكى الحيا من حياء منك والتطم البحر *

ففيه الجناس التام بين الحيا والحياء ورد العجز على الصدر فى ذكر البحر والبحر والجمع في قوله فضحت الحيا والبحر والتقسيم على ما تقدم وحسن التعليل في قوله بكى من حياء منك والمبالغة

(والمماثلة) وهي أن تماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الوزن دون التقفية والفرق بينهما و بين المناسبة اللفظية المتقدمة توالي الكلمات المتزنات في المماثلة وتفريقها في المناسبة ومن شواهد المماثلة قول بعضهم

صفوح كريم رزين اذا * رأيت العقول بدا طيشها

فهذا البيت من المماثلة لتوالي كلماته المتزنة لا من المناسبة وكقول ابن حمديس الصقلي الازدي

أيارب انّ البين زادت صروفه * عليّ ومالي من معين فكن معي
على قرب عُذّالي وفقد أحبتي * وأمواه أجفاني ونيران أضلعي

وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد اذ التقفية فى هـذا النوع غير لازمة كقول امرئ القيس

كأنّ المُدام وصوب الغمام * وريح الخُزامى ونشر القطر (١)

(وحصر الجزئى و إلحاقه بالكلي) وهذا النوع عزيز الوقوع وبيانه أن يأتى المتكلم الى نوع من الانواع فيجعله جنسا تعظيما له وتفخيما لامره بعد ان يحصر جميع أقسامه والمراد بالنوع هنا أعم من أن يكون صادقا على متعدد ذهنا كالنوع عند المناطقة أو لا يصدق الا على فرد واحد كالجزئى المعروف عندهم والمراد بالكلي الجنس وهو ما صدق على متعدد اختلفت حقيقة أفراده وشاهده قول المتنبي

هى الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

فقد جعل منزل ممدوحه الذي هو جزئى كليا وهو الدنيا وجعل ذاته التي هى جزئية كلية وهي الخلائق وكقول أبى الحسن السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا * قُصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر

(١) القطر بالضم و بضمتين العود الذي يتبخر به ونشره رائحته اه منه

وبشرت آمالي بمَلْك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فقد جعل الممدوح هو الورى وداره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزئى كليا بعد أن حصر أقسام الجزئى في الازمنة والامكنة والاشخاص — وأول من فتح هذا الباب أبو نواس في قوله يمدح الفضل بن يحيي ويخاطب الرشيد

أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

(والعنوان) وهو أن يشرع المتكلم في معنى من المعانى كالمدح أو الهجاء أو الغزل أو الفخر أو الحماسة ثم يكمله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة كقول ابن قلانس

حَلَّت عرا النوم عن أجفان ساهرة * ردّ الهوى هُدْبها بالنجم معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضربها * فذكرتنيَ موسى والجلاميدا

فيه الاشارة والعنوان الى ضرب موسى عليه السلام الحجر بالعصا وتفجر العيون منه وكقول ابن الاعرابى

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يلاقى كما لاقَى مجيرُ أم عامر

ومن خبرها ان فئة قصدوا صيد ضبعة فلجاءت الى بيت أعرابي فخرج عليهم وقد تبعوها مصلتا سيفه قائلا لا تتعرضوا لضيفي وقد استجار بى فالحوا عليه بامساكها فابى ومكثت عنده أياما يطعمها ويسقيها ألبان اللقاح ويكرمها بما يقدر عليه وفي يوم تجرد عن ثيابه ليغتسل فرأته على تلك الحال فبقرت بطنه وولغت دمه

(والتنكيت) وهو أن يخص المتكلم شيأ بالذكر لا يستحق الاختصاص لذاته بل هو وغيره سواء لكونه دل على أمر انفرد به ولذلك يقال لم خص هذا بالذكر كقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى فيقال لم خص

الشعرى مع انه رب كل شيء فيقال ذلك لان أمة من العرب كانت تعبدها وامامهم في ذلك ابن أبي كبشة الذي تحدثت به العرب في زمن نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكقول الخنساء

يذكرني طلوعُ الشمس صخرا * وأذكره بكل مغيب شمس

خصت الوقتين بالذكر دون باقي النهار لان طلوع الشمس وقت الركوب الى الغارات وغروب الشمس وقت تلقى الضيفان وا كرامهم وكقول أبي تمام

تسعون ألفا كآساد الشرى نَضِجت * جلودهم قبل نُضْج التين والعنب

وانما خص الوقتين لانه بلغ المعتصم ان في عمورية من بلاد الروم امرأة هاشمية اسيرة وكلما تعذب تقول وامعتصماه فقال المعتصم لبيك لبيك وأمر باعداد الجيوش فقال المنجمون هذا الوقت لا يصلح للغزو وقد كاد يركن الى اقوالهم فكتب اليه بعض الشعراء ويقال انه ابو تمام

دع النجوم لطُرْقيّ يعيش بها * وبالعزائم فانهض ايها الملك

ان النبي واصحاب النبي نهوا * عن النجوم وقد ابصرت ماملكوا

فحشد الجيش وفتح البلد في اقرب ما يمكن وكان المنجمون يقولون لا يفتحها الا بعد زمن نضج التين والعنب والا فلا تفتح ابدا ولما تم له النصر المبين واستنقذ الهاشمية قام ابو تمام فأنشد قصيدته التى اولها

السيف أصدق انباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجد واللعب

بيضُ الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب الخ

(والتوهيم) وهو الاتيان بكلمة لها معنيان مثلا وباقي الكلام قبلها او بعدها يوهم ان المتكلم اراد بها غير المعنى المقصود له منها او اراد

تصحيفها او تحريفها او اختلاف اعرابها او وجها من اوجه الاختلاف نحو قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فان ذكر الشمس والقمر يوهم ان النجم احد نجوم السماء مع ان المراد به هنا النبت الذى لا ساق له وكقول أبى تمام

من كل ابيض يجلو منه سائله * خدًّا اسيلا به خد من الاسل

فالخد الاسيل اي الناعم المشرق يوهم ان الخد الثانى مثله مع ان المراد به الجرح ـ ومثال توهم التصحيف قوله تعالى قال عذابى أصيب به من أشاء فالكلام يوهم أساء بالسين المهملة لوقوعها بعد عذابى أصيب به ـ ومثال توهم التحريف قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فان غير الحافظ للقرآن يتوهم من ذكر الوفاء انه اراد دينهم بفتح الدال ـ ومثال توهم اختلاف الاعراب قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون الكلام يوهم ثم لا ينصروا بالجزم عطفا على المجزوم لكن لما كان الغرض الاخبار بانهم لا ينصرون ابدا ألغى العطف وأبقيت صيغة الفعل على حالها دالة على الحال والاستقبال ـ ومثال توهم اختلاف المعنى قوله تعالى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم هذا يوهم ان الله غفور رحيم المكره وانما هو لهن

(والتفسير) و يقال له التبيين وهو عبارة عن ان يأتى المتكلم فى اول كلامه بما فيه ابهام ولا يستقل الفهم بمعرفة المقصود منه فيعقبه بما يكشف و يبين الغرض منه كقول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجـوم

منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأُخْـريات رُجوم

فلو وقف على قوله دجون لم يكن مقصوده مفهوما فبينه بانها تشبه النجوم ثم فسر بما للنجوم من الخصائص على سبيل التقسيم وكقول

محمد بن وهب

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر
يحكِي أفاعيله فى كل نائبة * الغيثُ والليث والصَّمْصامة الذكر

وكقول محمد بن شمس الخلافة

شيآن حدّث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبيَ والحجر
وثلاثة بالجَود حدّث عنهمو * البحر والمِلك المعظم والمطر

وكقول ابن هانئ الاندلسى

المدْنَفات من البرية كلها * جسمى وطرف بابليّ أحور
والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

(والايضاح) وهو ان يذكر المتكلم ما فى ظاهره خفاء والتباس فلا يفهم حتى يوضحه فى بقية كلامه كقول حسان رضي الله عنه

أكلفها ان تُدْلج الليل كله * تروح الى باب ابن سلْمَى وتغتدى

فان المصراع الثانى ايضاح للاوّل وكقول الشاعر

تمنيت من ليلى بِعادا لانها * توافق دهرى فى الفعال المعاكس

ففى اوّل البيت اشكال على الذهن وفى آخره ايضاح للمعنى ففى اوّل الامر يقول السامع كيف يتمنى بعد محبوبته ثم فى الاخر يظهر له بالايضاح الغرض المقصود ـ والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال البتة

(وحسن النسق) وهو على نوعين أحدهما سرد اوصاف لموصوف كقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الآية وما أشبهها من الآيات والثانى عطف عدد من الالفاظ المتلائمة معانيها على بعضها بحيث يكون بين المتعاطفات شدّة ارتباط وكمال تناسق كقوله تعالى

وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى الآية وكقول ابن هانئ الاندلسى

قد جالت الاوهام فيك ودقت * الالباب عنك وجلت الآلاء
فعَنَت لك الامصار وانقادت لك * الاقدار واستحييت لك الانواء

وكقول بعضهم

مسدّد الرأي لولا خوف معصية * لقلت ان له فى الكون امكانا
أجل من احنفٍ حلما وا كرم من * كعب وافصح من قس وسحبانا

(والتعديد) وهو ذكر مفردات على نسق فان اقترن بمحسن آخر كازدواج او مقابلة او تجنيس كان أتمّ كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وكقول المتنبي

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولابن الحسين الجزار

فان يك احمد الكِنديّ متهما * بالفخر يوما فانى فيه متهم
فاللحم والعظم والسكين تشهد لى * والحد والقطع والساطور والوضم

أراد بالكندى المتنبي فى قوله فالخيل الخ

(والطاعة والعصيان) وهو ان الشاعر يريد ان يأتى ببيت فيه نوع من البديع فيعجزه شيءٌ من اركانه ويتعاصى عليه اللفظ بسبب الوزن فيعمد الى نوع آخر غيره كقول المتنبي

يردّ يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

اراد ان يقول يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ لتحصل المطابقة بقوله راقد فى قافية البيت فلما عصاه الوزن عدل الى قوله قادر اذ فيه

معنى اليقظة وزيادة وبهذا حصل الجناس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين مستيقظ وراقد وقال بعضهم ان البيت ليس من شواهد هذا النوع اذ لو أراد المطابقة لابدل قادر بساهر وبذا كان يحصل الطباق ولكن مراده بيان العفاف من القادر لا غيره والمبالغة منه فى المصراع الثانى من حيث يعصى هواه فى خيالها وهو راقد ومن شواهد النوع قول الارّجانى

كم رُعْت هذا الحيّ اما زائرا * فردا واما سائرا فى جحفل

أراد أن يقول واما محاربا في جحفل لتكون في بيته المقابلة بين زائر ومحارب اذ لاشك أن الزائر يكون مسالما و بين قوله فردا وقوله فى جحفل فعصاه الوزن وأطاعه الجناس اللاحق بين زائر وسائر وشواهد هذا النوع كثيرة في كلام الشعراء

(والاتساع) وهو أن يأتى المتكلم في اثناء كلامه بما يحتمل أن يفسر بكثير من المعانى لصلاحيته لكل منها كقوله تعالى والشفع والوتر فقد فسر العلماء ذلك بكثير من المعانى فقال بعضهم الزوج والفرد وهو تذكير بالحساب لعظم نفعه وما يضبط به من المقادير وقال بعضهم جميع الخلق لكونه اما زوجا او فردا وقيل الشفع الخلق لكونه أزواجا كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والانس والجن والكفر والايمان والوتر هو الله وقيل الشفع والوتر العشر الاواخر من رمضان ووترها وقيل الليالي العشر التي أتمّ الله بها ميقات موسى وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله وقيل غير ذلك ومثله قوله تعالى وهديناه النجدين فقد اختلف فيهما على اقوال شتى وكقول الحماسي

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا * نأسوا باموالنا آثار ايدينا

فالاتساع في قوله بيض مفارقنا قيل أراد بذلك الطهارة والعفاف كقولهم

أبيض العرض والشيم والحسب وقيل أراد أنهم كهول ومشايخ قد حنكتهم التجاريب وقيل أراد أنهم ليسوا بعبيد وقيل أراد انحسار الشعر عن مقدّم رؤسهم لشجاعتهم ولبسهم البَيْض والمغافر وقيل لكثرة حروبنا قد شابت مفارقنا من الشدائد وقيل نحن كرام نستعمل الطيب بكثرة فابيضت مفارقنا لذلك اذ يقال من أكثر استعمال الطيب أسرع الشيب اليه وقيل معناه نحن كرام فشابت مفارقنا دون القفا لان شيب غير الكرام يبدو في القفا كما قيل

فشيب لئام الناس في نقرة القفا ❊ وشيب كرام الناس يعلو المفارقا

وقيل غير ذلك

(وجمع المؤتلف والمختلف) وهو أن يسوّى بين شخصين في المدح ولكنه يريد أن يفضل أحدهما فيسلك لذلك سبيلا كقول نصر الله بن احمد البصري المعروف بالخُبْز أُرْزى وكان (١) أتيا يخبز الارز بالبصرة وينشد أشعار الغزل وهو أمى

رأيت الهلال ووجه الحبيب ❊ فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما ❊ هلال السما من هلال البشر
ولولا التورّد في الوجنتين ❊ وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب ❊ وكنت أظن الحبيب القمر

فقد سوّى أوّلا بينهما ثم رجع ففضل الحبيب على القمر وكقول الخنساء في أخيها صخر وقد أرادت مساواته لابيها حين تسابقا مع مراعاة حق الوالدين بزيادة فضل لاينتقص به فضل الوالد

جارى أباه فاقبلا وهما ❊ يتعاوران مُلاءة الحُضْر

---

(١) قوله أتيا الأتىّ على فعيل هو الرجل الغريب وجاء في الحديث هو أتى فينا ليس من قومنا اه منه

فهمـا كانهمـا وقد برزا * صقران قد حَـطَّا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العـذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المصيب هناك لا أدري
برزت صحيفـة وجه والده * ومضى على غُـلَـوائه يجري
أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

(والاعتراض) وهو الفصل بين أجزاء الكلام أو الكلامين المتصلين بجملة أو أكثر لغرض كالتنزيه أو الدعاء أو نحو ذلك مما يفيد الكلام تقوية وتحسينا سواء كان بين المتعاطفين نحو قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون او بين المبتدا ولو بحسب الاصل وخبره نحو قول ابن اللبانة في ناصر الدولة صاحب مُـيُـورقة من الاندلس

وغمرت بالاحسان أفق مُـيُـورْقة * و بنيت فيها ما بنى الإسكندر
فكأنها بغـداد أنت رشيدها * ووزيرها وله السـلامة جعفر

ونحو ان الثمانين و بلغتهـا * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

ـ أو بين الشرط وجوابه نحو قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ـ او بين الصفة وموصوفها نحو قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم ونحو

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عارٌ عليـك اذا فعلت عظيم

ـ أو بين الصلة وموصولها نحو هـذا الذي والله اكرمني ـ او بين المتضايفين نحو هذا غلام والله زيد ـ او بين الحرف وتوكيده نحو

ليت وهل ينفع شيأً ليت * ليت شبابا بوع فاشتريت

ـ أو بين سوف ومدخولها نحو

وما أدري وسوف إخال أدري * أقوم آل حصـن أم نساء

ومثال الاعتراض باكثر من جملة قوله

لعمري والخطوب مغيّرات * وفي طول المعاشرة التقالى
لقد باليت مظعن أمّ أوفى * ولكن أمّ أوفى لا تبالي

وقال بعضهم ان الاعتراض يكون بعد الكلام ومثل له بقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ومعنى الاعتراض على هذا انه فصل بين الكلام و بين ما يترقبه السامع من كلام آخر هذا وربما اشتبه الاعتراض بالحال فعلى المتفهم ان يلاحظ ان المعنى ان كان يستدعى التقييد وللتقييد غرض صحيح فالجملة حالية والا فاعتراضية وقد تقدم هذا النوع فى الاطناب

(والاشارة) وهي ايجاز فى العبارة مع كثرة فى المعنى كأنه يشير اليه اشارة كقوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقوله أخرج منها ماءها ومرعاها وقوله فاصدع بما تؤمر وكقول امرئ القيس

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقِلْ فى مقيل نحسه متغيب

فهذه عبارات وجيزة أريد بها معان كثيرة

(والتطريز) وهو على معنيين أحدهما ان يؤتى بأمور متقابلة كقول أبى تمام

أعوام وصل كاد يُنسِي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت * بؤسا فخلنا انها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

والآخر ان يبتدأ بمتعدد ثم يخبر عنه بصفة واحدة متكررة كقول ابن الرومى

أموركمو بنى خاقان عندى * عجاب فى عجاب فى عجاب
قرون فى رؤس فى وجوه * صلاب فى صلاب فى صلاب

وكقول بعضهم

أقول لصاحبي والراح روح * لجسم الكأس فى كف النديم
وقد حبس الدجى عنا بواكٍ * تسيـل نفوسها فوق الجسوم
شموعك والكؤس مع الندامى * نجوم فى نجـوم فى نجـوم

المحسنات اللفظية

تقدم منها الجناس بانواعه ورد العجز على الصدر والعكس والقلب والانسجام والمماثلة و بقيت أنواع وهي

(التصحيف) وهو التشابه فى الخط بين كلمتين فاكثر بحيث لو أزيل أو غير نقط كلمة كانت عين الثانية نحو التخلى ثم التحلى ثم التجلى الاولى بالخاء المعجمة من الخلو والثانية بالحاء المهملة من الحلية اي الزينة والثالثة بالجيم

(والازدواج) وهو تجانس اللفظين المتجاورين نحو من سبأ بنبأ ونحو من جدّ وجد ومن لَجَّ ولج

(والسجع) وهو توافق الفاصلتين من النثر او النظم على حرف واحد وهو ثلاثة أقسام أحدها المطرف وهو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن نحو قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا لاختلاف وزن وقارا واطوارا ثانيها المرصع وهو ما كان فيه ألفاظ احدى الفقرتين كلها او اكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الاخرى وزنا وتقفية نحو قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للاكثر ثالثها المتوازى وهو ما كانت المقابلة المذكورة فيه اقل من الاكثر نحو قوله تعالى فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة لاختلاف سرر وأكواب وزنا وتقفية ونحو قوله والمرسلات عرفا فالعاصفات

عصفا لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط ونحو حصل الناطق والصامت وهلك الحاسد والشامت لاختلاف ما عدا الصامت والشامت تقفية فقط * والاسجاع مبنية على سكون اواخرها واحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو قوله تعالى فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ثم ما طالت ثانيته نحو والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى أو ثالثته نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ولا يحسن عكسه لان السامع ينتظر الى مقدار الاول فاذا انقطع دونه أشبه العثار

(والتشطير) وهو من السجع على القول بعدم اختصاص السجع بالنثر وذلك بان يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة للسجعة التي في الشطر الآخر نحو قوله

تجلى به رشدي وأثـرَتْ به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

وقول الآخر

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب في الله مرتقب

أي منتظر ثوابه وخائف عقابه

(والموازنة) وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفيـة نحو ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة فان مصـفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن دون التقفية كما هو ظاهر ومثالها من الشعر قول امرئ القيس

أفاد فساد وقاد فزاد * وساد فجاد وعاد فافضل

وقول ابن هانئ

وعوانس وقوانس وفوارس * وكوانس وأوانس وقنابل

وسماها النابلسي في النظم المناسبة اللفظية كما تقدم

(والترصيع) وهو توازن الالفاظ مع توافق الاعجاز أو تقاربهـا مثال التوافق قوله تعـالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم

ومثال التقارب قوله وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم
ومثاله من النظم قول رشيد الدين الوطواط

جناب ضياء الدين للبِر مرتع * وباب ضياء الدين للحرّ مربع
وسيرته الزهراء للحق مَعْلَم * وسدّته الشماء للخلق مجمع
وعلياه فيها للخواطر مسرح * ولقياه فيها للنواظر مرتع
فنهل من يروى ثناءك مفْعَم * ومنزل من بنوى جفاءك بلقع
وصولك للاشرار مُتْوٍ ومتلف * وطولك للاخيار مُرْوٍ ومشبع

وهي قصيدة طويلة كلها من هذا النوع

(والتشريع) وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقول الحريري

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتقع * منه صدى لجهامه الغرّار
غاراتها لا تنقضي وأسيرها * لايفتدى بجلائل الاخطار

فالقافية الاولى بهذه الابيات هي الردى وغدا وصدى ويفتدى يمكن أن تنشدها قصيدة ثانية فتقول

ياخاطب الدنيا الدنيـ * ـة انها شرك الردى
دار متى ما أضحكت * في يومها أبكت غدا
واذا أظل سحابها * لم ينتقع منه صدى
غاراتها لا تنقضى * وأسيرها لايفتدى

فان كانت القصيدة في الرويّ على الراء كانت من الضرب الثانى من بحر الكامل وان كانت على الدال كانت من الضرب الثامن منه وكقول بعضهم

يا أيها الملك الذى عم الورى * ما في الكرام له نظير ينظر
لو كان مثلك آخَرٌ في عصرنا * ما كان في الدنيا فقير معسر

اذ يمكن ان يقال

يا أيها الملك الذى * ما في الكرام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

ومن هنا يظهر لك صحة بناء البيت على قافيتين مطلقا ولا يشترط الحذف من الشطر الثانى فقط بل يجوز حذف بعضه و بعض الاول كما فى هذين البيتين هذا و بعضهم يسمى هذا النوع بالتوشيح أيضا ولكن التوشيح نوع مستقل تقدم ذكره

(ولزوم ما لا يلزم) وهو أن يجيء قبل حرف الروى أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم كالتزام حرف وحركة أو أحدهما يحصل الروى أو السجع بدونه فمن التزام الحركة والحرف معا قول الطغرائى

أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ومن التزام الحركة قول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمال

التزم الفتح قبل الروى في البيتين وهو ليس بلازم ونحو فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فمجيء الهاء قبل الراء التي هي رأس الفاصلة من لزوم ما لا يلزم وكقول بعضهم

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي * أيادىَ لم تُمْنَن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خَلّتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قَذَى عينيه حتى تجلت

فاللام غير لازمة ولابى العلاء المعرى الباع الطويل في هذا النوع ـ

واصل الحسن في المحسنات اللفظية أن تراعى المعانى أوّلا ويؤتى بالالفاظ على حسبها دون العكس ولذلك قيل من يكتب كما يؤمر خير ممن يكتب كما يريد

خاتمة فى السرقات الشعرية وغيرها

اعلم أن الشاعرين ان توافقا على اللفظ والمعنى او على المعنى وحده وكانا متعاصرين او احدهما متأخرا فان لم يعلم أخذ الثانى من الاول كان من توارد الخواطر فان الخاطر قد يتوارد مع الخاطر كما قد يقع الحافر على الحافر ويخص حينئذ باسم (المواردة) كما أنشد ابن ميادة لنفسه

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته ❊ تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له هذا للحطيئة قال أكذلك قال قيل نعم قال علمت الآن أنى شاعر حيث وقعت على قوله وما سمعته الا الساعة فان حكيا معا قيل قال فلان وسبقه اليه فلان فقال كذا حيازة لفضيلة الصدق والسلامة من نسبة النقص الى الغير وان علم أخذ الثانى من الاول بقوله أو بقول غيره فان كان ما اتفقا فيه معنى سهلا مشهورا وطريقا مسلوكا لم يعدّ سرقة والا عدّ والاخذ والسرقة نوعان ظاهر وغير ظاهر أما الظاهر فهو ان ياخذ الثانى جميع ألفاظ الاول بلا تغيير او بتبديلها كلها او بعضها بمرادفات وينسبه لنفسه وهذا مذموم وسرقة محضة ويسمى نسخا وانتحالا كما فعل عبد الله بن الزبير بزنة أمير بقول معن بن أوس وقد دخل عبد الله على معاوية وأنشده

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ❊ على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تضيمه ❊ اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدى فدخل معن وعبد الله في المجلس فانشد قصيدته التي أولها

لعمرك ما ادرى وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول

وفيها البيتان فقال معاوية لابن الزبير ألم تخبرنى ان البيتين لك فقال هما له لفظا ولي معنى وهو أخى من الرضاع وانا أحق بشعره ـ وان كان ما اخذه هو الجميع مع تغيير النظم كله او بعضه سمى اغارة ومسخا كما فعل بقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقيل ذر المآثر لا تذهب لمطلبها * واقعد فانك أنت الآكل اللابس

وكذا ان كان بوضع ما يضاد الالفاظ كما فعل بقول حسان

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شُمُّ الانوف من الطراز الأول

فقيل سود الوجوه لئيمة أحسابهم * فطس الانوف من الطراز الآخر

فان امتاز الثانى بنحو حسن سبك فممدوح وهو ما يسمى بحسن الاتباع الذى سبق نحو

من راقب الناس لم يظفَرْ بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللَّهِج

مع قوله من راقب الناس مات هما * وفاز باللذة الجسور

فان الثانى أعذب وأخصر وقد تقدم ذلك ـ وان امتاز الاول فقط فالثانى مذموم أو تساويا فابعد عن الذم والفضل للاول ـ وان كان المأخوذ المعنى وحده سمى الماما وسلخا وهو ثلاثة أقسام أولها أن يكون الثاني أبلغ وهو ممدوح كقول أبى تمام

هو الصنع ان يعجل فخير وان يرث * فللَريث في بعض المواضع أنفع

الريث البطء مع قول أبى الطيب

ومن الخير بطء سيبك عني * أسرع السحب في المسير الجَهَام

الجهام السحاب لا ماء فيه لما في الثانى من زيادة البيان بضرب المثل ويسمى أيضا بالتوليد ـ وثانيها أن يمتاز الاول فيكون أبلغ فالثاني مذموم ـ وثالثها أن يتماثلا فهو أبعد عن الذم كقول الاعرابي

ولم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول أشجع

وليس باوسعهم في الغنى * ولكنّ معروفه أوسع

* وأما غير الظاهر فمنه أن يتشابه معنى كلام الاول وكلام الثانى كقول جرير

فلا يمنعك من أرب لحاهم * سواء ذو العمامة والخمار

مع قول أبى الطيب

ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب

ومن غير الظاهر ايضا ان ينقل معنى كلام الاول من محل الى آخر كقول البحترى

سُلِبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرّة فكأنهم لم يسلبوا

مع قول ابى الطيب

يبس النجيع عليه وهو مجرد * عن غمده فكأنما هو مغمد

فنقل ابو الطيب المعنى وهو السلب للثياب من القتلى والجرحى الى السيف وهو جائز اذ الشاعر الحاذق اذا قصد الى المعنى المختلس لينظمه احتال فى اخفائه فيغيره عن لفظه ونوعه ووزنه وقافيته ومن غير الظاهر ايضا ان يكون معنى الثانى اشمل من معنى الاول كقول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * وجدت الناس كلهم غضابا

مع قول ابى نواس

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فان بيت أبى نواس يشمل الناس وغيرهم فهو اشمل من بيت جرير ويسمى ايضا بحصر الجزئى والحاقه بالكلى وقد تقدم - ومن غير الظاهر ايضا القلب وهو ان يكون معنى الثانى نقيض معنى الاول كقول ابى الشيص

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوّم

مع قول أبى الطيب

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

فتجد ان قول ابى الطيب نقيض قول ابى الشيص لكن كل منهما باعتبار ولهذا قالوا الاحسن فى هذا النوع ان يبين السبب كما فعل ابو الطيب - وقد يؤخذ بعض المعنى ويضاف اليه ما يكسوه طلاوة كما تقدم فى حسن الاتباع ولذا قيل من سرق واسترق فقد استحق كقول الافوه

وترى الطير على آثارنا * رأي عين ثقة أن ستمار

مع قول أبى تمام

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا انها لم تقاتل

لما فى الاستثناء وكونها نواهل فى الدماء واقامتها على الرايات حتى كانها من الجيش مما تذوقه ألسنة افكار أولى الادب

نهاية

يتصل بالقول فى السرقات الشعرية عدة أمور - وهي حسن الابتداء وبراعة الاستهلال والاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ورد العجز على الصدر والانسجام والتوليد وسلامة الاختراع وحسن

الاتباع والتفصيل والطاعة والعصيان والتشطير والترصيع والتوشيع ولزوم ما لا يلزم وقد تقدمت و بقيت أمور وهي

(التسميط) وهو نوعان الاول جعل البيت على ثلاثة اجزاء من روى واحد ثم تعقبها القافية كقول جنوب الهذلية

وحرب وردت وثغر سددت * وعلج شددت عليه الحبالا
ومان حويت وخيل حميت * وضيف قريت يخاف الوكالا

اي اتكال بعضهم على بعض — والثانى التخميس المشهور كقول امرئ القيس

ومستلئم كَشَّفت بالرمح ذيله * أقمت بعضب ذى شقائق ميله
فَجَعت به فى ملتقى الكر خيله * تركت عتاق الطير تحجُل حوله
* كأنّ على سرباله نضحَ جِريال *

وقد حذا كثير من الشعراء هذا الحذو بان يعمد الى ابيات قصيدة لغيره ويدخل على كل بيت ثلاث شطرات ليكون الشعر بذلك مخمسا ولا بد ان تكون المعانى الجديدة متلائمة مع الاصل حتى يكون الكلام منسجما والمعانى متلائمة مثل تخميس بعضهم لمطلع همزية البوصيرى وهو فى الروضة الشريفة بين القبر والمنبر بقوله

بابن عمران شرفت سيناء * وبادريس والمسيح السماء
ولك العرش موطن ووطاء * (كيف ترقى رُقيّك الانبياء
* يا سماء ما طاولتها سماء) *

ثم أخذته سنة من النوم فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول له حسبك أي لانه أدّى ما وجب بما جمع فى هذا القليل أو لانه ما كان يقدر ان يستمر على هذا النمط وكقول المرحوم رفاعة بك مخمسا قصيدة البرعى المشهورة

تبدى الغرام واهل العشق تكتمه * وتدّعيه جدالا من يسلّمه
ما هكذا الحب يا من ليس يفهمه * (خلّ الغرام لصب دمعه دمه
* حيران توجده الذكرى وتعدمه) *

فمثل هذا وذاك من جيد التخميس لان كلا منهما نظر للاصل فاوجد له معانى مناسبة تكسبه طلاوة وتكون معه فى غاية الانسجام ونهاية الالتئام

(والتجزئة) وهو ان يجزئ البيت اجزاء عروضية مسجعة برويين مختلفين أحدهما يوافق القافية والآخر يخالفها كقول بعضهم

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

وهذا النوع قريب من الترصيع ومن السجع المتقدمين

(والمعمى) وهو قول يستخرج منه كلمة فأكثر بطريق الرمز والايماء بحيث يقبله الذوق ويكون له معنى نثرى او شعرى ويرى المعنى المعمى قائما بحسن تركيبه وذلك اما بتصحيف او قلب او نحو ذلك كما استخرج اسم هود من قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها واسم يوسف من فسوّى فى قوله تعالى فخلق فسوّى بالقلب وكقول عبد المعين فى اسم يوسف ايضا

يا سيدا حاز أوصاف العلى فغدت * كل الانام تروم الجمع من درره
أيوب هجرك ذاق اليتم من أسف * على قوامك لما غبت عن بصره

أراد بقوله ذاق اليتم اي ذهب منه لفظ أب فيكون الباقى الياء والواو وأراد بقوله من اسف على قوامك حذف الالف من اسف وكقوله ايضا فى اسم هاشم

محبك يا من نات داره * رعى الله قدّك ما أرشقه
متى هب منها نسيم الصبا * تأوه بالقلب واستنشقه

أراد بالتأوّه لفظة آه مقلوبة واراد بقوله استنشقه شم ولبعضهم فى القهوة

لها قشرة زال لبٌّ لها * وعوّض عنه ضمير مقيم

أراد بزوال اللب حذف الشين والراء من لفظ قشرة وتعويضه بلفظة هو ولبعضهم فى اسم زين

وكوكب الصبح مذ تبدّى * بشرنا باللقا صباحا
طوبى لنا اننا ظفرنا * بغاية العز حين لاحا

ومراده بغاية العز حرف الزاي وحين لا حاء موجودة فى لفظ حين ولبديع الزمان فى هذا النوع رسالة مخصوصة سماها كنز الاسما فى كشف المعمى أتى فيها بالعجب العجاب

(واللغز) وهو ان يأتى المتكلم بعدّة أوصاف فى ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويشير بها الى مقصود مجهول وقد يكون بقلب أو تصحيف بعض الالفاظ والفرق بينه وبين المعمى ان فى اللغز السؤال ولو ضمنا بخلاف المعمى كقول أكثم بن يحيي فى العين

وباسطة بلا نصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع ان يباشرها الحرير

وكقول آخر فى الضرس

وصاحب لا أملّ الدهر صحبته * يشقى لنفعى ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

وللمعرى فى ابرة

سعت ذات سم فى قميص فغادرت * به أثرا والله شافٍ من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبّعا * وكسرى وعاشت وهي عارية الجسم

وكقول بعضهم فى الكمون

يا أيها العطار بين لنا * عن اسم شيءٌ قلّ في سومك
تراه بالعين في يقظة * كما يرى بالقلب في نومك

وكقول الحريري في الخمرة

وما شيءٌ اذا فسدا * تغير غيه رشدا
وان هو راق أوصافا * أثار الشرّ حيث بدا
زكيّ العِرْق والده * ولكن بئسما ولدا

وقد خص هذا النوع ايضا بالتأليف كالمعمى ومنه ما تستعمله العامة في مسامراتهم ويسمونه بالحوازير

(والموصل) وهو ايراد كلام يكون جميع كلماته متصلة الحروف خطا كقوله

فتنتني فجننتني تَجَنِّي * بتجن يفْتَنَّ غب تجني

أي فتنته وجننته محبوبته المسماة بتجنى وهي تسلك في تجنيها عليه فنا بعد فن

(والمقطع) وهو ما انفصلت جميع حروف كلماته فصلا طبيعيا نحو قولك رزق داود وارف ودّ أروى وزار داره رب رأى زاه رأد رواح وكقوله

زر دار زرزور ودار زرارة * ودار رداح ان أردت دواء

(والحذف) وهو التزام اخلاء الكلام من حرف او اكثر او اخلاؤه من نوع كالمعجم فتكون جميع الحروف مهملة أو اخلاؤه من المهمل فتكون جميع الحروف معجمة أو أن يكون حرف من الكلمة منقوطا والاخر مهملا وتسمى الجملة حينئذ بالرقطاء أو أن تكون كلمة مهملة الحروف والثانية منقوطتها وتسمى بالخيفاء فمثال الاول ماحكي ان جمعا من الصحابة اجتمعوا بعليّ كرم الله وجهه فتذاكروا أكثر الحروف

دورانا في الكلام فقيل الالف فخطبهم عليّ رضي الله عنهم خطبة اخلاها منها وتسمى المونقة فمنها قوله رضي الله عنه حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمتـه وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت حجته وعدلت قضيته حمدته حمد مقرّ بربوبيته متخضع لعبوديته متنصل من خطيئته معترف بتوحيده مؤمّل من ربه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدتُ له بضمير مخلص موقن وفردته تفريد مؤمن متقن ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير وتنزه عن مثل ونظير علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعُصِي فغفر الى آخر الخطبة التى كلها من هذه الدرر وقد ساقها بتمامها المرحوم أستاذنا العلامة الفاضل الشيخ حسين المرصفى في كتابه الوسيلة الادبية بصحيفة ١٥٠ من الجزء الثانى وسلوك هذا المسلك يدل على قوة الحفظ وغزارة المادة وسعة الاطلاع وكثرة الاستحضار * ومثال الثانى قول بعضهم

دار لمهـدَدَ دارس أعلامها * طمس المعالم مُورها ورِهامها

مهدد اسم امرأة والمور بضم الميم الغبار المتردد والتراب المنتشر والرهام ككتاب المطر الضعيف الدائم وهذا النوع كثير في الكلام ولبعضهم تفسير للقرآن الكريم كل حروفه مهملة * ومثال الثالث قوله (فتنتنى فجننتنى) السابق في الموصل * ومثال الرابع قول الحريرى

سيد قُلَّب سبوق مُبِر * فطن مغرب عزوف عيوف

القلب المجرّب والسبوق الفائق والمبر فاعل البر والمغرب الآتى بالغريب والعزوف الراغب عن الدنايا والعيوف الكاف عما يكره * ومثال الخامس قوله

اسمح فبث السماح زين * ولا تخف آملا تضيف

وللحريرى في مقاماته من هذين النوعين كلام طويل ولكن تشم منه رائحة التعسف والتكلف هذا وقد ذكرت الموصل والمقطع باقسامه فيما يلتحق بالشعر لان الكثير منها يكون شعرا

(والتاريخ) هذا النوع اخترعه المتأخرون ولهم فيه العجب العجاب وهو عبارة عن ان يأتى الشاعر بكلمة او كلمات اذا حسبت حروفها بحساب الجمل بلغت عدد السنة التى قصدها المتكلم من تاريخ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو تاريخ الميلاد أو غيرهما من بقية التواريخ المستعملة ـ وهل تحسب الحروف المنطوق بها أو المكتوبة مشي بعضهم على الاول وهو قليل و بعضهم على الثانى وهو الكثير الغالب بل صار الآن هو المستعمل ولا بأس عند اضطرار الشاعر من العدول عن مذهب البصريين في رسم بعض حروف الكلمات المختلف في رسمها الى مذهب الكوفيين في ذلك بشرط ان تكون القصيدة كلها على مذهب واحد وقد اختلف في التاء المربوطة اذا وقعت في حشو البيت فبعضهم يعدّها هاء و بعضهم يعدّها تاء وهو الصواب وأما التى تقع في آخر البيت و يوقف عليها بالهاء فلا خلاف في اعتبارها هاء وأما الهمزة فان وقعت أول الكلمة او وسطها او منتهاها ولها صورة فيعتبر الحرف الذى رسمت به بخلاف المتطرفة بدون صورة فلا تحسب نحو همزة سماء مثلا * والاحسن في التاريخ ان يتقدم على الفاظه لفظ أرخ أو مؤرخا أي مما يشتق من التاريخ بدون فاصل ان كان التاريخ في المصراع الاخير من القصيدة وان تكون ألفاظه ظاهرة المعنى سلسة خالية من التعسف والتعقيد وألطفه ما اشتمل على اسم المؤرخ له او شيء من متعلقاته فمن ذلك ما قلته مؤرخا عام طبع

كتاب دليل المسافر في الفقه للمرحوم السيد أحمد بك الحسيني

رأيت الحسينيّ في الناس ساد * بفكر تسامى وفضل رجح
أبان خفيا وذلل صعبا * واهدى الفقيه هدى ونصح
أتى بدليل المسافر سفرا * أحاط ويا حبذا ما اقترح
ومذ فاق بالطبع أرخته * دليل المسافر هدىً وضح

سنة ١٣١٩ هـ ٧٤ ٤١٢ ١٩ ٨١٤

وكقولي أهنئ احد أصدقائي المدعو عبد الرحيم بمولود اسمه محمود بعد أبيات

فاهنأ بطلعته عبد الرحيم ودم * قرير عين تراه فاق أكفاء
فطالع اليمن والاسعاد أرخه * محمود بالحظ والاقبال قد جاء

سنة ١٣١٨ هـ ٩٨ ٩٤١ ١٧١ ١٠٤ ٤

وأرّخت ميلاد نجل لسعادة محمد باشا الوكيل واسمه محمد و بقولي بعد عدة أبيات

وتبصر الدنيا له منقادة * وفي العلى ترى له أسمى أثر
لذاك قال العز في تاريخه * محمد أجل مولود ظهر

سنة ١٣١٧ هـ ٩٢ ٣٤ ٨٦ ١١٠٥

وكقولي في تاريخ ميلاد محمد نجل حضرة حسن بك صبري بعد أبيات

فطب نفسا بمولده وأرّخ * سعود الفضل هلّ على محمد

سنة ١٣١٨ هـ ١٤٠ ٩٤١ ٣٥ ١١٠ ٩٢

وكقولي مهنئا سعادة الفاضل أحمد بك زكي مدير الاموال المقررة بنظارة مالية مصر المحروسة عند اتمام منزله الذي شيده بالظاهر

لله بيت بعين العز منظور * فيه الهناء وحسن الحظ موفور

بيت سما في سماء العز طالعــه * والخير فيــه بفضل الله ميسور
واليمن يزهو ابتهاجا من محاسنه * ومن جوانبــه قد أشرق النور
بيت (زكي) على التقوي مؤسسه * لحفظ ربك والتقوى له سـور
وراية العـز في أعلاه خافقـة * وفي رباه نفيس الدر منثور
الى آخر القصيدة و بيت التاريخ
قد تم بيتك والاقبال أرخه * بيت المعالي بنور العز معمور
سـنة ١٣١٦ هـ ٤١٢ ١٨٢ ٢٥٨ ١٠٨ ٣٦٦

وقلت فيه أيضا والبيت الاخير صدره لسنة ١٨٩٥ ميلادية وعجزه تاريخ لسنة ١٣١٦ هجرية وهو

بدا وطافت به العليا مؤرخة * بيت السعادة والاقبال قد بنيا

ولحضرة صديقنا الفاضل الشيخ حسين والى احد مدرسي الازهر المعمور قصيدة يهنئ بها مولانا واستاذنا الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوي بتوليته مشيخة الجامع الازهر سنة ١٣١٢ هـ الموافقة سنة ١٨٩٥ م عدة أبياتها خمسة وعشرون بيتا صدورها للتاريخ الهجري وأعجازها للميلادى على طريقة الرسم الكوفي منها

لعمرك مجد الدهر حسونة الاسمى * أخو الجد خدن العز رب العلى قدما
أشم الورى رأيا ومجدا ومحتدا * وأفخمهم فضلا وأطودهم علما

(وحسن التخلص) وهو الانتقال مما ابتدأ به الشاعر الكلام من الغزل أو ذكر فراق الاحبة او السير في البيداء او السهر في سوق العيس وتكليفها مشقة السرى او نحو ذلك مما جرت به عادة الشعراء في أول القصائد الى الغرض المقصـود من المديح ونحوه وذلك يكون بحسن التحيل في ادخال ابتداء المديح مثلا في غضون انتهاء ما ابتدأ به حتى ينتقل بالسامع بدون شعور وكأنه لم يزل في اسماع المعنى الاوّل وكان

وقوعه من المتقدمين على سبيل الاتفاق وهذا مانبـه المتأخرين على اعتباره نوعا بديعيا * وان عدمت المناسبة بين ابتداء القصيدة و بين المقصود سمى اقتضابا ويكثر في شعر أبى تمام والبحترى ولذا كان الصاحب بن عباد يقول البحترى يقع من السطح الى المدح فمثال الاقتضاب قول أبى تمام

لو رأى الله ان في الشيب خيرا * جاورته الابرار في الخلد شيبا
كل يوم تبدى صروف الليالي * خلقا من أبى سـعيد غريبا

فالمناسبة بين البيتين مفقودة بالمرة ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص في أنه يشوبه شئ من المناسبة كقولهم بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله أما بعد فانه كان كذاوكذا قيل وهو فصل الخطاب وكقوله تعالى هذا وان للطاغين لشرّ مآب هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب ومثال حسن التخلص قول المتنبي

نودّعهـم والبـين فينا كأنه * قنا ابن أبى الهيجاء في قلب فيلق

وقول صفي الدين الحلي في أرتقياته

فصلت ملازمة السقام مفاصلي * بيـد البعاد ونكرت تعريفي
فعرفت بالوجد المبرح مثـل ما * عرفت يد المنصور بالمعروف

وقول ابن النبيه

أيا ملك الملاح فتكت فينا * وفتكك في الرعية لايحلّ
بمنظرك البديع تدل تيها * ولي ملك بدولتـه أدل

وقول أبى نواس في قصيدة مدح بها الخصيب حاكم مصر من قبل الرشيد

تقول التي من بيتها خف محملي * عزيز علينا ان نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلَّب * بلى ان اسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في اثرهن عبير
دعيني أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب امير

وقول صديقنا المرحوم الشيخ احمد مفتاح في مخاص قصيدة وكان قبل المخلص يخاطب محبوبته ويقيم عليها الحجة في السفر والبعاد

فاعجبت من بياني وهي باسمة * ان البيان به تستعبد الفطن
واسترجعت ثم قالت ليس من شيمي * عتب الصديق ولكن مقصدي (حسن)
مسدد الرأى والأيام جائرة * وثابت العزم ان طارت بنا الفتن

وهذا النوع احد المواضع التي تنبغي العناية بها وهى حسن المطلع المتقدم وبراعة المطلب وحسن الاختتام الآتيين كما ألمعنا اليه سابقا

(وبراعة المطلب) وهى ان يلوح المتكلم بالطلب في ألفاظ مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاح والضراعة الا للمولى جل وعلا وذلك كقول المتنبي

اذا سأل الانسان أيامه الغنى * وكنت على بعد جعلتك موعدا
وقيدت نفسي في هواك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

واحسن من هذا قوله

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتى بيان عندها وخطاب

وكقول أمية بن أبى الصلت في عبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتي أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء

وما احسن الطلب في قول ابن عيين حين مرض ولم يعلم به ملك وقته وكان جليسا له ونفد ما عنده فكتب اليه

انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافي
انا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائى والثناء الوافي

فحضر الملك لعيادته واعطاه الف دينار وقال له انت الذى وهذه الصلة وانا العائد

(وحسن الختام) وهو ان يشير المتكلم في كلامه الى ما يشعر بانتهاء الغرض المقصود كقول أبى نواس في ختام قصيدته المتقدمة

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وانت بما أملت فيك جدير
فان تولني منك الجميل فاهله * والا فانى عاذر وشكور

وكقول أبى تمام

قد قلت للناس اذ قاموا بشكركم * الآن أحسنتم ان تحرسوا النعما

واحسنه ما آذن بانتهاء الكلام كقوله

بقيت بقاء الدهر يا كهف اهله * وهذا دعاء للبرية شامل

وكقول ابن هانئ الاندلسى

ولقِدْماً اخذت من شكر نعما * ك بحظى وكان اخذى كتركي
بؤت بالعجز عن نداك وقد أجـ * ـهدت نفسي فقلت للنفس قدكي

وكقول ابن حجة

عليك سلام نشره كلما بدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

ونحو قول بعضهم في مدحة نبوية

واني محب لطه ومن * يحب النبيّ فحاشا يضام
نبي كريم رؤف رحيم * عليه الصلاة وأزكى السلام

ونحو

يارب انى ذنوبى في الورى كثرت * وليس لي عمل في الحشر ينجيني
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه * حب النبي وهذا القدر يكفيني

قال مؤلفه حفظه الله قد انتهيت من تبييضه يوم الاثنين المبارك اول المحرم فاتحة سنة ١٣٢١ هـ الموافق لليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٠٣م بمدرسة المغفور له عثمان باشا ماهر بمصر المحمية وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه اجمعين

وقد قرظ طبعته الاولى المرحوم الشيخ طه محمود بقوله

﴿ يقول المتوسل بذى المقام المحمود الفقير الى الله سبحانه طه بن محمود ﴾

(رئيس تصحيح الكتب العربيه بدار الطباعة الكبرى الاميريه)

الحمد لله البديع فيما صنع الحكيم فيما وضع الهادى للجنان الى مراده الجاعل اللسان للانسان ترجمانا لفؤاده ﴿ نحمده ﴾ ان اختص لسان العرب بالفضل والرجحان في ميزان الفصاحة وحسن البيان ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة نتخـذها مفتاحا للسعد المؤبد ومصباحا نهتدى به الى النعيم المخلد ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالدين الصحيح المؤيد بالحجة الباهرة واللسان الفصيح خير نبي مرسل. بخير كتاب منزل الى خير أمـة أخرجت للناس صلى الله عليـه وعلى آله الذين لا تقاس روضـة فضلهم بقياس ﴿ أما بعد ﴾ فان من حسنات الدهر ومحاسن هذا العصر تيسير السبيل الى طبع هذا الكتاب المسمى « زهر الربيع في علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع » تأليف حضرة صديقنا العالم الفاضل والاستاذ الاوحد الكامل الشيخ «احمد الحملاوى» حفظه الله ووفقنا واياه لما يحبه ويرضاه قام « جزاه الله خيرا » في كتابه هـذا أحسن قيام لجمع شوارد علوم البلاغـه وأفرغها في أحسن القوالب وصاغها أجمـل صـياغه وأكثر في تأليفه من التمرينات والشواهد وأتى من المقاطيع الشعريه والرقائق الحكميه بما يذلل الاوابد ويلين الجلامد الى غير ذلك مما يمتاز به المؤلف والمؤلف كل الامتياز وتتبين به لاولى البصائر حقيقة الاحسان في العمل من المجاز ومما يفيد التلامذة ويعظم لهم المعونه ويريح الاساتذة من عناء التعليم ويكفيهم المؤنه فلا غرو أن تزدحم عليه الاقوام فالمورد العذب

كثير الزحام ومن أجل هذا ضاعف مؤلفه « حفظه الله » معروفه الذى هو به معروف فقام بطبعه على نفقته في احسن وضع وأجمل طبع مألوف بالمطبعة الكبرى الاميريه في عهد الدولة الخديوية العباسيه أدام الله علينا ظلالها وألهم العدل والاصلاح رجالها وتم طبعه في أواخر صفر الخير سنة ١٣٢٣ من هجرة خير الانام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام * ولما آذن طبعه بالكمال أنشأ لسان الحال مؤرخا له فقال

يا صاح سترَ الحب لا تستطيع * فالسقم يُملى والمآقى تذيع
ما الحب الا فتنةٌ ساقها * طرف لقلب في الغوانى صريع
نار تولى الشوق اذكاءها * من حرّها الاكباد كادت تميع
بالروح من ودّعتها راغماً * والقلب رهن في يديها وديع
فاستوقفتنى في الضحى والدجى * من شعرها والوجه جل البديع
وساقطت من دمعها لؤلؤا * ومن حديث ذي بيان بديع
قالت كأن الدهر حرب لنا * بالبين يُصلينا العذاب الوجيع
هل من شفيع عنده عَلَّه * يعيد بعد الشت شملى الجميع
سبحان من أحوج شمس الضحى * في أوجها الى ابتغاء الشفيع
ثم افترقنا بعد أن زوّدت * عُرْفا وعَرْفا وحِمَاها منيع
فلم يزل من طيبها في فمى * والانف حتى جاء (زهر الربيع)
تأليف مولى عالم فاضل * شهم مجدّ في المعالى سريع
كتابه أكرم به جامعا * كل رفيع مانعا للوضيع
حوى علوما لا تقل انها * ثلاثة بل قل مِلاك الجميع
قد جاءنا القرآن نسجا على * منوالها فهل له من قريع
فدونك اللبَّ كتابا له * عند أولى اللب المحل الرفيع
ولا تحاول أن ترى مثله * فليس للتأليف باب وسيع

فاربع على ظلعك يا طامعا * أن يدرك الظالع شأو الضليع
واشكر لمن أحسن واسأل له * أجرا من الله الذى لا يضيع
وانظر جميل الطبع ارّخته * حقا صفا وقى بزهر الربيع
سنة ١٣٢٣ ﻫ ١٠٩ ١٧١ ٥١٦ ٢١٤ ٣١٣

وقد قرظه حضرة مولانا واستاذنا صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى شيخ الجامع الاسبق حفظه الله فقال

الحمد لله خص الانسان ببديع المعانى والبيان والصلاة والسلام على افصح وابلغ مخلوق من انس وملك وجانّ الذى انزل عليه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان وعلى آله واصحابه الحائزين قصب السبق في مضمار العرفان ﴿ اما بعد ﴾ فقد اطلعت على الكتاب المسمى « بزهر الربيع في علم المعانى والبيان والبديع » لحضرة مؤلفه الفاضل الاستاذ الكامل « الشيخ احمد الحملاوى » وقاه الله من جميع المساوى فوجدته عزيز المبانى غزير المعانى فلله درّ مؤلفه وضعه على أحسن أسلوب وضمنه الغرض الاسمى والمقصد المطلوب نفع الله بالمؤلف والمؤلف وأيده بالقبول وشرّف ورزق مؤلفه الاخلاص باطنا وظاهرا والحمد لله أوّلا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم

وكتب تقريظا له حضرة مولانا صاحب الفضيلة الشيخ هرون عبد الرازق أحد أكابر علماء الازهر المعمور ما نصه

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿ أما بعد ﴾ فقد اطلعت على هذا الكتاب فاذا هو جامع لمهمات مسائل فنون البلاغه مع جمال الترتيب وجودة السبك وحسن الصياغه كتاب مشتمل على

هدايا يحتاج اليها الشاعر والكاتب ومزايا يهتز لها فؤاد الطالب والراغب فهو في علوم البلاغة بحر زاخر جمع فيه ما تشتت فى كتب الاوائل والاواخر فما أجمله وأجله من كتاب وما أقدره على تسهيل الصعاب كيف لا وهو لالمعى الزمان ولوذعى الاتراب والاخوان من أفاض الله تعالى نعمه عليه وجعل الاداب والعلوم العقلية والنقلية طوع قلبه ولسانه ويديه حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد الحملاوى طهر الله ظاهره وباطنه من جميع المثالب والمساوى وأدام عليه النعمة والمنه وحفظنا واياه من كل مكروه ومحنه بجاه النبي عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام

وأرّخه حضرة العلامة الفاضل الشيخ حسين والى أحد علماء الازهر الشريف فقال

من يشاهد بلاغة الحملاويّ يجد طبعا إربه وبلاغه
راع زهر الربيع واجن سرورا * ان زهر الربيع سرّ البلاغه
سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م

وأرخه حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الكنانى المدرس بالمدارس الاميرية فقال

دمت للعلم ملجأ ونصيرا * يا اماما حباه فضلا كبيرا
ان «زهر الربيع» عرف شذاه * عطر الكون والورى تعطيرا
هو سفر حوى بديع معان * ببيان أبان عنها العسيرا
كيف لا يزدهى الزمان بسفر * فيه روض العلوم أضحى نضيرا
كعبةَ الفضل كم هديت أناسا * بسناه وكم شرحت صدورا
انتهت عندك البلاغة لما * شدت للطالبين منها قصورا

هدايا يحتاج اليها الشاعر والكاتب ومزايا يهتز لها فؤاد الطالب والراغب فهو في علوم البلاغة بحر زاخر جمع فيه ما تشتت فى كتب الاوائل والاواخر فما أجمله وأجله من كتاب وما أقدره على تسهيل الصعاب كيف لا وهو لالمعى الزمان ولوذعى الاتراب والاخوان من أفاض الله تعالى نعمه عليه وجعل الاداب والعلوم العقلية والنقلية طوع قلبه ولسانه ويديه حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد الحملاوى طهر الله ظاهره وباطنه من جميع المثالب والمساوى وأدام عليه النعمة والمنه وحفظنا واياه من كل مكروه ومحنه بجاه النبي عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام

وأرّخه حضرة العلامة الفاضل الشيخ حسين والى أحد علماء الازهر الشريف فقال

من يشاهد بلاغة الحملاويّ يجد طبعا إربه وبلاغه
راع زهر الربيع واجن سرورا * ان زهر الربيع سرّ البلاغه
سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥ م

وأرخه حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الكنانى المدرس بالمدارس الاميرية فقال

دمت للعلم ملجأً ونصيرا * يا اماما حباه فضلا كبيرا
ان «زهر الربيع» عرف شذاه * عطر الكون والورى تعطيرا
هو سفر حوى بديع معان * بيان أبان عنها العسيرا
كيف لا يزدهى الزمان بسفر * فيه روض العلوم أضحى نضيرا
كعبةَ الفضل كم هديت أناسا * بسناه وكم شرحت صدورا
انتهت عندك البلاغة لما * شدت للطالبين منها قصورا

مذ هدانا بنوره قلتُ أرِّخ * فصل زهر الربيع أسفر نورا

سنة ١٣٢٣ ﻫ ٢٠٠ ٢١٢ ٣١٣ ٣٤١ ٢٥٧

وقرظه حضرة العالم الفاضل الشيخ على البرلسى أحد مدرسي الازهر الشريف فقال

بسم الله أقول ان كتاب زهر الربيع لقلوب المتأدبين أبهى ربيع ولفحول البلاغة مرجع بديع قد جمع ما تشتت في أولئك الاسفار وحوى درر هاتيك البحار جزل العباره واضح الاشاره قد أزرى صنيعه بمن يدعى حسن الصنيع أو اتقان البيان وجودة الترصيع « ماء ولا كصدّاء ومرعى ولا كالسعدان » فاليك يا امام البلاغة مؤلف هذا السفر الجليل يساق الحديث وينتهى الذميل ممن انتعشوا بشذا عرفك فوعت أفئدتهم ثناءك الجميل حينما سمت بهم من حضيض الجهالة الى ذروة المعارف وانتظروا أن تعزز تلك المنة بعارفة من ظلك الوارف فاتحفتهم بما هو أعلى واغلى وجئتهم بالاجلّ الاجلى حتى انطلقت ألسنة نوادى العلم تثنى على همتك الشماء وترتل آيات شكرك على تلك الايادى البيضاء وأنى لهم استيفاء ما يجب من الثناء ولكن عند الله فى ذاك الجزاء

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين (وبعد) فقد تم طبع هذا الكتاب المرة الثانية بمطبعة حضرة امين افندي هنديه وعلى نفقته وحفظ حقوق اعادة الطبع للمؤلف وكان تمام الطبع في شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٣ ﻫ الموافق لشهر يونية سنة ١٩١٥ م

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ فهرست زهر الربيع في المعانى والبيان والبديع ﴾

صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٤ مقدمة في الفصاحة والبلاغة ــ فصاحة الكلمة
٦ فصاحة الكلام
٨ فصاحة المتكلم
٩ البلاغة في الكلام وبلاغة المتكلم
١٠ ﴿ الفن الاول علم المعانى ﴾
١٠ الخبر والانشاء
١١ أحوال الاسناد الخبري
١٣ الحقيقة والمجاز العقليان
١٧ ينقسم الخبر الى جملة اسمية وجملة فعلية
١٨ أحوال المسند اليه
١٩ الذكر ــ الحذف
٢١ التعريف
٢١ تعريفه بالعلمية
٢٢ تعريفه بالضمير وبالاشارة
٢٣ تعريفه بالموصولية
٢٥ تعريفه بال
٢٦ تعريفه بالاضافة
٢٧ التنكير
٢٨ التقديم

صحيفة

٣٠ فصل في تقييد المسند اليه بالتوابع ونحوها ــ التقييد بالنعت
٣١ التقييد بالتوكيد و بعطف البيان
٣١ التقييد بعطف النسق
٣٢ فائدة في التقييد بعطف النسق
٣٣ التقييد بالبدل و بضمير الفصل
٣٤ أحوال المسند ــ ذكره ــ وحذفه
٣٥ تقديمه
٣٦ تأخيره وتعريفه وتنكيره ــ تتمة ــ
٣٦ أحوال الفعل ومتعلقاته
٣٩ القيد في أبواب النواسخ هو نفس النواسخ
٤٠ ويكون التقييد بالشرط لاعتبارات
٤٠ ان واذا ولو
٤٣ تتمة ــ تمرين عام على جميع ما تقدم
٤٥ القصر
٤٧ طرق القصر
٥٠ تمرين على القصر
٥٠ الانشاء
٥١ الامر النهى

صحيفة	
٥٢	التمني
٥٣	النداء
٥٤	الاستفهام وأدواته
٥٧	تمرين على الانشاء
٥٨	اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر — تجاهل العارف — التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي أو بلفظ اسم الفاعل
٥٩	الاضمار في مقام الاظهار وعكسه
٦٠	التغليب
٦٠	الالتفات
٦١	فائدة مما هو شبيه بالالتفات الخ
٦٣	القلب
٦٤	الفصل والوصل
٦٥	مواضع الفصل
٦٨	مواضع الوصل
٦٩	الجامع العقلى
٧٠	الجامع الوهمي ـ الجامع الخيالي
٧٢	خاتمة في واو الحال
٧٥	تمرين على الفصل والوصل
٧٦	الايجاز والاطناب والمساواة
٧٩	ومن الاطناب ذكر الخاص بعد العام ـ ومنه الايغال

صحيفة	
٨٠	ومنه الايضاح والتوشيع ـ والاعتراض ـ والتكميل
٨١	ومنه التتميم ـ والتذييل ـ والتكرير
٨٢	﴿ الفن الثانى البيان ﴾
٨٣	الدلالة وأنواعها
٨٥	التشبيه
٨٥	أركانه — الغرض منه
٨٧	تقسمات التشبيه باعتبار طرفيه — الطرفان الحسيان والعقليان والمختلفان
٨٨	الطرفان المفردان والمركبان
٩٠	التشبيه الملفوف والمفروق وتشبيه التسوية وتشبيه الجمع
٩١	وجه الشبه
٩٣	تقسيم التشبيه باعتبار الوجه
٩٤	التشبيه المجمل والمفصل
٩٥	القريب المبتذل والبعيد الغريب
٩٦	تقسيم التشبيه باعتبار الاداة
٩٧	تقسيمه باعتبار الغرض ـ تذييل
٩٨	تمرين على التشبيه
١٠٠	باب المجاز ـ المجاز اللغوي المفرد
١٠١	المجاز المرسل
١٠٤	الاستعارة

صحيفة
١٠٦ الاستعارة التصريحية وتقسيمها الى أصلية وتبعية
١٠٩ تقسيم الاستعارة باعتبار الملائم
١١١ تتمة الملائم قسمان صفة وتفريع
١١٢ تقسيم الاستعارة الى عنادية و وفاقية
١١٢ تقسيم المصرحة باعتبار الجامع الى عامية وخاصية
١١٣ تقسيمها باعتبار الجامع الى داخل وخارج — وباعتبار الطرفين والجامع الى ستة أقسام
١١٤ قرينة الاستعارة
١١٥ تقسيم الاستعارة المصرحة عند السكاكى
١١٧ الاستعارة بالكناية — تقسيمها الى أصلية وتبعية
١١٩ مذهب الخطيب في الاستعارة بالكناية
١٢٠ المجاز المركب
١٢١ الاستعارة التمثيلية
١٢٤ محسنات الاستعارة
١٢٥ تتمة في مجاز الاعراب
١٢٥ الكناية
١٢٨ نهاية اتفق البلغاء الخ

صحيفة
١٢٨ تمرين على الكناية وما تقدمها
١٣٠ ﴿ الفن الثالث البديع ﴾
١٣١ حسن الابتداء أو براعة المطلع
١٣٢ الجناس
١٣٣ الجناس التام والمطلق
١٣٤ والمذيل — والمطرف — والمضارع — واللاحق — واللفظي
١٣٥ المحرف — والمصحف — والمركب — والملفق
١٣٦ جناس القلب
١٣٧ الجناس المعنوي — جناس الاشارة
١٣٨ الاستطراد — المقابلة
١٣٩ المشاكلة
١٤٠ الاستخدام
١٤١ الافتنان
١٤٢ اللف والنشر
١٤٣ الاستدراك
١٤٤ الابهام المسمى بالتوجيه
١٤٥ المطابقة أى الطباق
١٤٧ ارسال المثل والكلام الجامع
١٤٨ التخيير — النزاهة
١٤٩ التهكم والهزل الذي يراد به الجد
١٥٠ القول بالموجب — التسليم
١٥١ الاقتباس

صحيفة

١٥٢ التفويف — الموازبة
١٥٣ مراعاة النظير
١٥٤ التورية أي الايهام
١٥٥ المزاوجة ـ والعكس ويسمى القلب والتصدير
١٥٦ الجمع
١٥٧ التفريق ـ التقسيم — الجمع مع التفريق
١٥٨ الجمع مع التقسيم — الجمع مع التفريق والتقسيم
١٥٩ تجاهل العارف
١٦٠ المبالغة وأقسامها
١٦١ تشابه الاطراف
١٦٢ الارصاد ويسمى التسهيم — التوشيح
١٦٣ الرجوع — تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه
١٦٤ الاستتباع ويسمى التعليق ـ الادماج — المذهب الكلامى
١٦٥ حسن التعليل
١٦٦ التوشيع
١٦٧ التفريع — التجريد
١٦٨ الاطراد
١٦٩ التلميح
١٧٠ التضمين

صحيفة

١٧١ العقد والحل
١٧٢ المراجعة
١٧٣ المناقضة — المغايرة
١٧٤ الهجو في معرض المدح ـ الاستثناء
١٧٥ الاكتفاء
١٧٦ التمثيل — عتاب المرء نفسه
١٧٧ القسم
١٧٨ رد العجز على الصدر
١٧٩ الترديد — المناسبة
١٨٠ الانسجام ويسمى السهولة
١٨١ حسن البيان
١٨٢ اتصال النتائج — الاحتباك
١٨٣ التفصيل ـ النوادر وتسمى بالاغراب
١٨٤ الفرائد — ائتلاف المعنى مع المعنى
١٨٥ ائتلاف اللفظ مع المعنى
١٨٦ ائتلاف اللفظ مع الوزن — ائتلاف المعنى مع الوزن
١٨٧ ائتلاف اللفظ مع اللفظ — السلب والايجاب
١٨٨ التهذيب والتأديب
١٨٩ التوليد امالفظى واما معنوى
١٩٠ التعطف

صحيفة

١٩١ ايهام التوكيد — الارداف
١٩٢ سلامة الاختراع — حسن الاتباع
١٩٣ نفي الشيء بايجابه
١٩٤ المشاركة — الترتيب — الاتفاق
١٩٥ الاشتقاق
١٩٦ الابداع
١٩٨ المماثلة — حصر الجزئي والحاقه بالكلي
١٩٩ العنوان — التنكيت
٢٠٠ التوهيم
٢٠١ التفسير
٢٠٢ الايضاح — حسن النسق
٢٠٣ التعديد — الطاعة والعصيان
٢٠٤ الاتساع
٢٠٥ جمع المؤتلف والمختلف
٢٠٦ الاعتراض

صحيفة

٢٠٧ الاشارة — التطريز
٢٠٨ المحسنات اللفظية — التصحيف — الازدواج — السجع —
٢٠٩ التشطير — الموازنة — الترصيع
٢١٠ التشريع
٢١١ لزوم ما لا يلزم
٢١٢ خاتمة في السرقات الشعرية وغيرها
٢١٥ نهاية تتعلق بالسرقات الشعرية
٢١٦ التسميط
٢١٧ التجزئة — المعمى
٢١٨ اللغز
٢١٩ الموصل — المقطع — الحذف
٢٢١ التاريخ
٢٢٣ حسن التخلص
٢٢٥ براعة المطلب
٢٢٦ حسن الختام
٢٢٧ تقاريظ